www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

خلفيات مأساة الزهراء (س)

آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي

المجلد ١

بسم الله الرحمن الرحيم

خلفيات مأساه الزهراء

كاتب:

علامه سيد جعفر مرتضى عاملى

نشرت فى الطباعة:

آية الله السيد جعفر مرتضى العاملى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
خلفیات مأساه الزهراء (المجلد ۱) ----- ۹
اشارة ----- ۹
الاهداء ----- ۹
اشاره ----- ۹
تنبیه من کلام البعض ----- ۹
هکذا هو شعورنا ----- ۱۰
قبل المقدمة ----- ۱۰
اشاره ----- ۱۰
لولا کتاب مأساة الزهراء ----- ۱۰
المقدمة ----- ۱۱
اشاره ----- ۱۱
هذا الکتاب ----- ۱۲
الدوافع والنوایا ----- ۱۳
لا سباب ولا شتائم ----- ۱۳
الردود فی المیزان ----- ۱۳
دعوات فاشلة إلی الحوار ----- ۱۴
لا بد من إعلان التصحیح ----- ۱۵
لماذا السباب، ولماذا الاتهام؟ ----- ۱۵
لا بد من الإنصاف ----- ۱۵
موقف مراجع الأمة ----- ۱۶
خطر التحصن بالمرجعیة ----- ۱۶
ما یهمنا هنا ----- ۱۶

اعتذاراته الموجهة إعلاميا ----- ۱۶
هذه هی قناعاته ----- ۱۷
انظر إلی ما قیل ----- ۱۷
الفات نظر ----- ۱۸
تمهید ----- ۱۸
المنهج الفکری والإستنباطی (قواعد و مبان للفکر والإستنباط) ----- ۲۱
قواعد و مناهج ----- ۲۱
بدایة ----- ۲۱
المنهج الاستنباطی ----- ۲۱
وقفة قصیرة ----- ۲۳
وقفة قصیرة ----- ۲۴
وقفة قصیرة ----- ۲۵
وقفة قصیرة ----- ۲۶
وقفة قصیرة ----- ۲۷
الغایة تنظف الوسیلة و قاعدة التزاحم ----- ۲۸
اشاره ----- ۲۸
وقفة قصیرة ----- ۳۱
توثیق الحدیث والیقین فی غیر الأحکام ----- ۳۳
اشاره ----- ۳۳
وقفة قصیرة ----- ۳۳
وقفة قصیرة ----- ۳۳
وقفة قصیرة ----- ۳۵
وقفة قصیرة ----- ۳۷
وقفة قصیرة ----- ۳۸

الاسلام لا یملک وسیلة بیان.. العمل بالرأی ----- ۳۸
اشاره ----- ۳۸
وقفة قصیرة ----- ۳۹
التأویل.. استیحاء من الأئمة ----- ۴۴
اشاره ----- ۴۴
وقفة قصیرة ----- ۴۴
وقفة قصیرة ----- ۴۵
وقفة قصیرة ----- ۴۶
بطون القرآن و الإستیحاء والتأویل ----- ۴۷
تأویل القرآن ----- ۴۷
بطون القرآن ----- ۴۸
اهل البیت یعلمون بطون القرآن ----- ۴۸
مناوئوا علی و حساده ----- ۴۹
خلاصة و بیان ----- ۴۹
النبوة و معالمها و أمور عقائدیة عامة حول الأنبیاء ----- ۵۰
سمات الأنبیاء.. و مستویاتهم ----- ۵۰
بدایة ----- ۵۰
وقفة قصیرة ----- ۵۱
وقفة قصیرة ----- ۵۲
وقفة قصیرة ----- ۵۲
وقفة قصیرة ----- ۵۴
وقفة قصیرة ----- ۵۵
وقفة قصیرة ----- ۵۷
وقفة قصیرة ----- ۵۹

الولایة التکوینیة.. إدعاءات و استدلالات واهیة ----- ۵۹
بدایة ----- ۵۹
وقفة قصیرة ----- ۶۱
وقفة قصیرة ----- ۶۶
الولایة التکوینیة للمعصوم ----- ۷۳
بدایة ----- ۷۳
وقفة قصیرة ----- ۷۵
مقدمة ضروریة ----- ۷۸
الهدف من الخلقة، و ضروراتها الطبیعیة ----- ۷۸
اعادة توضیح وبیان ----- ۸۰
النقاط علی الحروف ----- ۸۰
ایضاح لا بد منه ----- ۸۱
نقاط لا بد من التأکید علیها ----- ۸۱
حجم الکون حسب البیان الإلهی ----- ۸۱
تسخیر المخلوقات للإنسان فی الآیات القرآنیة ----- ۸۲
الشعور والإدراک لدی المخلوقات ----- ۸۳
نماذج حیة من تسخیر الموجودات العاقلة ----- ۸۳
قصة سلیمان و داود نموذج فذ ----- ۸۳
مع آیات سورة النمل ----- ۸۴
پاورقی ----- ۸۴
تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۸۸

خلفيات مأساه الزهراء (المجلد ١)

اشارة

نويسنده : آية الله السيد جعفر مرتضى العاملى ناشر : آية الله السيد جعفر مرتضى العاملى موضوع : حضرت فاطمه زهرا (س)

الاهداء

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد والصلاة والسلام على محمد وآله. سيدى.. يا بن النبى.. ويا حفيد على.. بحق أمك الزهراء المظلومة.. إلا ما كنت الشفيع لى إلى الله سبحانه.. فى يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم. سيدى.. إن هذا الجهد الذى أرفعه إليك، وأضعه بين يديك.. ومعه كل هذا الأذى الذى أتحمله، وكل ما أتعرض له من خيانة وكيد.. وكل ما يرمينى به الموتورون من سهام الحقد والشحناء، وقوارص الضغينة والبغضاء. إن ذلك كله.. لم يكن منافسة منا فى سلطان، ولا التماس شىء من فضول الحطام.. ولكن لنرد المعالم من هذا الدين.. نعم.. لنرد المعالم من هذا الدين، ونظهر كلمة الحق والهدى بين العباد، ونحملها وهى أمانة الله فى أعناقنا لننشرها فى مختلف البلاد.. سيدى.. فكن لى المعين والنصير، والولى، والمؤيد. فأنت باب الله وخيرة الله من خلقه، وصفوته، وحجته على عباده. وأنت المظهر للعدل والناشر للهدى فى بلاده.. سيدى، هذه حاجتى إليك، وطلبتى وضعتها بين يديك، فبحق أمك الزهراء، وعمتك زينب، إلّا شملتنى بعين عطفك ومحبتك ورعايتك. ١٤شعبان ١٤١٨ هـ ق.

تنبيه من كلام البعض

يقول البعض": نحن ندعو إلى الحوار بين العلماء والنقد بينهم، وعلينا أن لا نعتبر النقد عداوة.. ولكننا لا نزال متخلفين نعتبر النقد عداوة. ("نشرة فكر وثقافة، عدد ٣ص ۴) فنحن عملا بهذه المقولة نبادر إلى عرض بعض ما طرحه هو نفسه من مقولات وأفكار، ونرجو من الله أن لا يعتبر ذلك عداوة حتى لا نكون متخلفين. ويقول البعض أيضاً": أنا لا أدعى لنفسى العصمة، ولكننى أستطيع أن أقول: إن ٩٩, ٩٩٪ مما يقال وينشر ضدى هو كذب، وافتراء، وبهتان ["١] . ونقول: إننا نطلب من القارىء الكريم أن يراجع ويقارن فقط!!!. وسئل البعض: هل على المفكرين العظام أن ينظروا إلى ردود الفعل الآتية حول كلماتهم أم أن لهم نظرة أخرى؟ فأجاب: "لابد لهم أن ينظروا إلى ردود الفعل لا أن يتعقدوا منها، ولكن عليهم أن يبحثوا فى الأمر جيداً فقد يكون فيها شىء من الحقيقة، فليس معنى هذا أن من يرد عليك هو عدو، فنحن نقول كما علمنا أئمتنا (رحم الله امرءاً أهدى إلى عيوبى) فقد يكون الشخص الذى ينقدك أو ينقد فكرك يحبك أكثر مما يحبك الشخص الذى يمدحك. لذلك فنحن سعداء أن ينتقدنا الناس، ونحن نسمع ردود الفعل ونقرؤها، ونفكر فيها، فإن كان فيها خير أخذنا بها، وإن لم يكن فيها خير دعونا لصاحبها بالهداية. وتبقى النظرة المستقبلية تتحرك على أساس متابعة الواقع ["٢] . ونقول: إننا لم نجده أعلن عن تراجعه ولو عن مفردة واحدة مما أثير، مما يعد بالمئات، بل بالألوف، كما يظهر من كتابنا هذا، مما يعنى أن كلامه هذا لم يزل فى مستوى الشعار، ولم يتحول إلى عمل وممارسة خصوصاً وهو يعلن أن أفكاره ما تزال أفكاره، وأنه يتحمل مسؤوليتها مائة بالمائة. مما يعنى أنه ملتزم حتى بالمتناقضات، وسنرى الكثير منها فى هذا الكتاب. وقد سئل البعض: كثير من الأفكار والطروحات بدأ البعض يطرح التأويل والشكوك حولها منذ فترة، علماً أنها كانت موجودة فى مقالاتكم وكتبكم منذ الثمانينات، وكانوا يرون بأنها مميزة ومهمة. ما هو سر الانقلاب؟ فأجاب ذلك البعض بقوله": إسألوا هؤلاء الأشخاص فهم يتحملون مسؤولية ما يقولونه، فمن جهتى أفكارى ما تزال أفكارى، ومستعد أن أتحمل مسؤوليتها مائة بالمائة ـ وأنا

مستعد أن أشكر كل من يدلنى على خطأ فى قول وفعل، وأعتبر أنه قدّم لى هدية فى هذا المجال ـ ولكن الكثير من الناس يشتمون ويشتمون، ولا يحاورون، ولا يناقشون [٣] . ونقول: سبحان من يغير ولا يتغير!! فهل يعقل أن يعلن أحد عن عدم حدوث أى تغيير فى أفكاره طيلة ما يقرب من عقدين من الزمن، ولا تتكامل أفكاره ولا يطرأ عليها أى تطور نحو الأفضل أو أى تقليم أو تطعيم، علماً أن فى تلك الأفكار الكثير من الاختلاف والتناقض أو نحو ذلك؟. يقول البعض": إنه عندما تطرح القضية ويكون فيها موقفان فإن صاحب الموقف الذى يرى الحق له يتكلم على أساس أنه لا ـ يخاطب شخصاً ولكن يخاطب موقفاً ويخاطب رأياً ويخاطب اتجاهاً، مضافاً إلى أنه فى الحق لا ـ مجال للمجاملة، ذلك أن المجاملات والديبلوماسيات والكلمات الضبابية إنما هى فى العلاقات الإنسانية التى تتصل ببعض الأوضاع التى يعيشها المجتمع فى خطوطه، أما عندما تكون القضية قضية إثبات حق ودحض باطل، فإن المجاملة تكون خيانة، وإن الإعتبارات الإجتماعية حينئذٍ لا تسقط الإعتبارات الموضوعية العلمية، ولذلك كانوا يتكلمون بكل صراحة الحق الذى يعتقدونه، ومن المفارقات أن هذا الحق الذى يطرحونه بكل صراحة وبكل موضوعية لا يثير رد فعل اجتماعى سلبى كما لو يتساءل البعض: كيف تتجرأ على هذا وكيف تتكلم مع هذا بهذه اللغة لأنهم كانوا يعيشون المسألة فى أجواء الصراحة فى الحق، ولم تؤثر فيهم كل هذه الأساليب التى جاءت بها الحضارات من تغطية الحق بكلمة هنا وبعاطفة هناك [٤] .

هكذا هو شعورنا

يقول البعض فى كتابه" من وحى القرآن "ج٢ ص١٧١": وقد يكون الأساس فى اختيار النبى للخطاب، ثم اتباع أقسى الأساليب شدة فى خطاب الله معه، هو الإيحاء بأن هذه القضية هى من القضايا التى تبلغ مرحلة كبيرة من الأهمية والخطورة بالمستوى الذى لا يمكن فيها مراعاة جانب أى شخص، وإن كان عظيماً فى مستوى عظمة النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأن عظمة الأشخاص وقداستهم مستمدة من طاعتهم لله فيما يريد وفيما لا ـ يريد فإذا انحرفوا عن الخط، ولن ينحرفوا عنه، سقطت عظمتهم وتحولوا إلى أشخاص عاديين خاطئين لا يملكون لأنفسهم من دون الله ولياً ولا نصيرا. ويعتبر هذا أسلوب من الأساليب البارزة فى القرآن فى القضية التى تتخذ جانب الخطورة على أساس العقيدة وصدقها وسلامتها من الانحراف."

قبل المقدمة

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

لولا كتاب مأساة الزهراء

لم أكن أقرأ له.. لأننى ـ شأن كثيرين غيرى عاشوا فى حواضر العلم ـ أعتبر كتبه ومقالاته تخصّ جيلا بعينه، وتعنيه، وتريد أن ترشده وتهديه. وقبل أكثر من أربع سنوات.. وفى مسجد بئر العبد بالذات، وأمام كاميرا الفيديو.. تحدث إلى طائفة من النساء عن الزهراء (ع)، وعن مأساتها.. فأثار تساؤلات، على حدّ تعبيره.. وأصدر أحكاما، أثارت عاصفة من الإحتجاج، و وُوجهت بالإدانة والرفض.. فتراجع فى رسائل له مكتوبة، وعبر وسائل مسموعة.. ولكنه بعد أن هدأت العاصفة، عاد ليثير نفس الأفكار عن الزهراء (ع)، ويحرك قضايا، ويطرح مسائل هى الأخرى حسّاسة وهامة. ورأيت أن من واجبى أن أطّلع على بعض مقولاته وطروحاته، فقرأت له بعض ما كتب ونشر، وسمعت نزرا يسيرا مما بثّته إذاعة محليّة تابعة له.. ففوجئت بما قرأت وسمعت، إلى درجة كبيرة.. وأدركت خطورة الأمر..

فبذلت محاولات كثيرة للدخول فى حوار مثمر ومفيد، يمنع من تفاقم الأمور، ويعيدها إلى نصابها، فلم أوفق فى ذلك. وكان كتاب (مأساة الزهراء (عليها السلام): شبهات وردود) بمثابة إعلانٍ لفشل تلك الجهود، ودق ناقوس الخطر بالنسبة للموضوع برمّته.. وكان أن تحرّكت بعنف وشراسة حرب الإشاعات والاتهامات، وقيل ما قيل، ونُشِّر ما نُشِّر، وأصدروا عددا من الكتب.. وبدا واضحا أن ذلك كله ـ تقريبا ـ يهدف إلى تعمية الأمر على الناس، وإبعادهم عن الموضوع الأساس والحساس جدّا، والمصيرى من الناحية الإيمانية، والعقائدية.. وكان خيارنا الوحيد لإنجاز التكليف الشرعى الملقى على عواتقنا، تقديم نبذة يسيرة من مقولات يعرف كل عالم بصير: أنها لا ـ تنسجم مع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.. فكان هذا الكتاب.. ونحن على يقين بأن حملاتهم التشكيكية وغيرها ضدّنا، ستكون هذه المرة أشدّ ضراوة وأقسى.. غير أننا نريد لكل المخلصين أن يطمئنوا إلى أن ذلك يزيدنا معرفة، وسيعزز من صلابتنا فى نصرة الحق، وتوخّى المزيد من الصراحة فى بيان الحقيقة، مهما كان الثمن.. ومن جهة أخرى، وقبل حوالى ثلاثة أشهر سرقت إحدى مسوّدات هذا الكتاب، ورغم أنها كانت ناقصة بدرجة كبيرة، وغير منقحة، فقد بيعت لمن يهمهم الأمر بمبلغ كبير من المال، هو ـ على ذمة الشهود ـ يعد بآلاف الدولارات!. وعلى أثر ذلك نشطت مساع من هنا وهناك، كان من بينها ما شارك فيه عدد من أهل العلم، الأعزاء والأحباء، يطالبوننا بتأخير إصدار هذا الكتاب، ولو لمدة وجيزة، آخذين على عاتقهم إقناع البعض بإصدار كتاب يشتمل على تصحيحات من شأنها أن تحل الإشكال القائم وتعيد الأمور إلى نصابها. على اعتبار: أن ثمة خطأ يحتاج إلى تصحيح ولا نُصِرّ أن يكون ذلك بأيدينا، فرحبنا بهم جميعا، وقطعنا على أنفسنا وعدا بتأخير إصدار هذا الكتاب مدة عشرة أو خمسة عشر يوما، إذ لا يحتاج هذا المهم إلى أكثر من ذلك. ثم مدّدت المهلة مرة ثانية. وفى المرة الثالثة مددناها لمدة شهر، ومضى أكثر من شهرين، وذهبت تلك الأيام التى حددت فى تلك المرات، ولحقتها أيام عديدة أخرى.. ونحن ننتظر الفرج.. وجاء الفرج أخيرا على شكل كتاب تخيّل مؤلفه أنه يرد على كتابنا" مأساة الزهراء (ع)"وكتاب" لماذا كتاب مأساة الزهراء (ع)"وتعرض أيضا لكتاب" الصحيح من سيرة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله. "ولم يفاجئنا كل ذلك فى حد نفسه. ولكن ما لفت نظرنا هو أنه قد تعرض بصورة مبطنة، فيها شىء من إظهار (الشطارة) لكتابنا هذا بالذات، مستفيدا ـ كما هو ظاهر ـ من تلك النسخة التى سرقت وبيعت بذلك المبلغ الكبير من المال.. ومهما يكن من أمر، فقد أحببنا أن نعرف القارئ الكريم بحقيقة ما جرى وأن ينتظر المزيد من أمثال هذه الأمور، فإن ذلك من حقه علينا.. وإذا كان ذلك قد أزعجه، فنحن نعتذر إليه وعليه منّا سلام الله، ورحمة منه وبركات. وعودا على بدء، نكرر ونقرر: أن الزهراء عليها السلام فى مأساتها ومعاناتها، ومواقفها الرسالية، كما عرّفتنا الحق بعد وفاة النبى (ص)، ها هى فى غيبة الولى توضح المكنون، وتظهر ما كنا عنه غافلين.. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. فصلوات الله وسلامه على الزهراء، وأبيها، وعلى بعلها وبنيها..

المقدمة

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول المسدد، والمصطفى الأمجد، المحمود الأحمد، حبيب إله العالمين، سيدنا وشفيع ذنوبنا أبى القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين. وبعد.. لا نريد أن نتجنّى على أحد، ولا أن نسىء إلى أى كان من الناس، وما نريده هو فقط أن نسهم فى حفظ السلامة العامة من الوقوع تحت تأثير بعض الأفكار التى سجّلها البعض فى مؤلفاته، وطرحها ليتداولها الناس فى شرق الأرض، وغربها. ونحن نرى أن كل مؤلّف يحب نشر أفكاره، ولاسيما التجديدية منها.. ويرغب فى أن يتداولها الناس، ليستفيدوا منها، أو لينقدوها، لتصبح أكثر دقةً، وأعمق تأثيرا.. ولكن الأمر فى هذا المورد بالذات قد يكون على عكس ذلك، فقد ينزعج البعض من نشر ما لديه من أفكار، رغم أنها كانت منشورة مسبقا فى ثنايا الكتب، والنشرات، وعلى صفحات الجرائد والمجلات. ولا ندرى إن كنا سنتّهم من جديد بأننا نهدف من وراء ذلك إلى التشهير، أو الإسقاط، أو أننا لم

نفهم كلامه، ولم نـدرك مقاصـده، مع أنه يتكلم بلسان عربى، لا تشوبه عُجمة، ولا يعانى من لُكنة. كما أن من يستمعون ويقرؤون له إنما يفهمون الكلام العربى باللغة العربية ولا يفهمونه بغيرها من اللغات كالصينية أو الهندية أو الكردية، وهم فى أكثرهم ـ أعنى من يستمعون لـذلك البعض ـ أناس عاديون، فيهم الكبير والصغير، والمرأة والرجل، والمثقف وغير المثقف. ومهما يكن من أمر، فإننا قد صرّحنا والمحنا إلى أن ما دعانا إلى كتابة كتاب (مأساة الزهراء (ع) شبهات وردود) ليس هو خصوص قضية كسر الضلع الشريف للزهراء البتول، والصديقة الشهيدة. بل هو دفع ما أثير من شبهات خطيرة حول ظلم الزهراء وما جرى عليها، ثم الإلفات والتحذير مما هو أوسع وأشمل، وأكبر وأخطر، وأمرّ وأدهى.. ونحن فى ضمن كتابنا هذا بأقسامه المختلفة، نعرض مجموعة من مقولات" جريئة" سجلها البعض فى مؤلفاته المنتشرة فى مختلف البلاد، وبين أصناف شتى من العباد، وللقارئ الكريم الحق فى أن يؤيد ما فهمناه واستفدناه منها، أو يرده، إذا اقتضى الأمر ـ بنظره ـ أياً من الرد أو القبول، شرط أن يكون ذلك وفق المعايير الصحيحة والموضوعية، ووفق النصوص القرآنية، والتوجيهات الثابتة عن أهل بيت العصمة (ع)، وما هو ثابت ومعروف فى مذهب الشيعة الأمامية. ولنا أن نوفّر على القارئ الكريم الجهد والوقت، لنقول له إن هذه المقولات التى أوردناها، إنما أوردناها للتدليل على أنها مقولات لا يصح القبول بها، وتبنيها كجزء من تكوينه الفكرى والإيمانى، ومن أراد ذلك فعليه إن لم يكن قادرا على تمحيصها بالوسائل العلمية الصحيحة، أن يرجع إلى علماء الأمة ليوقفوه على ما فيها من هنّات، وما تشتمل عليه من إشكالات وثغرات. وغنى عن القول: أن ما سوف نورده هنا يتفاوت ويختلف الأمر فيه من حيث الأهمية، ثم فى طريقة التعاطى معه، فقد نورده لخطأ الرأى فيه بحيث يحتاج إلى التصحيح، وقد نورده لفساد طريقة التعاطى معه، ولوجود خطأ أساسى فى معالجته له. وبعدما تقدم نقول: لنفترض أننا استطعنا أن نجد لكلام هذا البعض تأويلات بعيدة، ومحامل شاذة وغير سديدة. ولكن ما يثير تعجبنا، وتساؤلنا هو أن يكون كل هذا الحشد الهائل الذى يعد بالمئات ـ بل الألوف ـ مما لا بد من تأويله أو حمله على خلاف ظاهره، بالإضافة إلى الكثير الكثير مما يأبى عن أى حمل أو تفسير مقبول أو معقول!!! ولقد كان بالأمكان التغاضى عن ذلك لو كان الخطاب شخصيا وفى نطاق محدود، أما حين يصبح الخطاب للناس كلهم، ثم يسجل فى عشرات الكتب والنشرات وفى مختلف الوسائل المقروءة والمسموعة، ليتناقله الناس ويتداولوه جيلا بعد جيل، حيث سيفهمونه بعفوية، وبسلامة نية، وبالطريقة التى يستظهرها منه أهل المحاورة، فإن الأمر يصبح أكثر حساسيةً، وأهميةً وخطرا.. ويجعل الجميع أمام واجباتهم، ويفرض عليهم التعاطى مع الموضوع بصورة أكثر جدية ومسؤولية، حيث لا بد من التنبيه على هذا الخطأ، وتحصين الناس من الوقوع فيه. وحيث تتأكد الحاجة إلى إصلاح ما يحتاج إلى إصلاح، وإلى توضيح ما يحتاج إلى إيضاح، من دون أن يكون ثمة أية خصوصية للجهة التى تتولى تحقيق هذا الغرض النبيل، والعمل بهذا الواجب الشرعى والإنسانى الجليل، فإن ما لا بد من مراعاته فى عملية الإصلاح والإيضاح هذه، هو شموليتها لكل ما كتب ونشر، ولكل ما تتداوله الأيدى وتتناقله الألسن، أو استقر فى الأسماع والقلوب. ولا يكفى لتحقيق هذا الغرض حديث خاص هنا، أو حديث خاص أو حتى عام هناك، يتضمن تأويلا أو تعديلا فى مورد أو موارد يسيرة، قد لا تكون هى الأهم والأولى بالإصلاح من غيرها؛ فان ذلك لا يكفى فى نفسه، بالإضافة إلى أن معناه أن تبقى نفس تلك الموضوعات، هى وغيرها مما يعد بالعشرات والمئات، مبثوثة فى عشرات الكتب والنشرات، وفى مختلف وسائل الإعلام، يتداولها الناس فى شرق الأرض وغربها، ويتوارثونها جيلا بعد جيل. وهذا ما يؤكد الحاجة إلى إجراء تعديلات وإصلاحات مباشرة على كل تلك المكتوبات والمنشورات، وفى كل ما قيل وأذيع، ثم إعادة نشره مع التأكيد ـ توضيحا وتصريحا ـ على أن أى رأى أو قول قد يختلف عما ورد فى هذه الطبعات الأخيرة لا اعتداد به ولا اعتبار له. وفقنا الله جميعا للعمل بما يرضى الله ونسأله أن يجعلنا ممن ينتصر به لدينه، وان لا يستبدل بنا غيرنا، وان يثبتنا على طريق الهدى، ولنا برسول الله صلى الله عليه وآله، وبأهل بيته الطاهرين أسوة حسنة، ومنار رشاد، وصلاح وسداد.

هذا الكتاب

وبعد كل ما تقدم نقول: إننا نقدم للقراء الكرام هذا الكتاب (خلفيات كتاب مأساة الزهراء) على أمل أن يجدوا فيه ما ينفع ويجدى فى توضيح الحقيقة، وتمييزها عن شوائب يحاول البعض لسبب أو لآخر إلحاقها بها. ولكن من المحتمل: أن الأمر لن يقف عند هذا الحد، إذ قد يظهر أنّ ثمة حاجة لمتابعة إصداراتٍ أخرى تبين موارد الخلل فيما ينشره هذا البعض بين الناس من مقولات. وبما أن هذا البعض يقول تارة": إن ٩٩، ٩٩ ٪ هو كذب وافتراء وبهتان "..ويقول تارة أخرى": إن ٩٠٪ كذب وافتراء، وعشرة بالمئة تحريف للكلام عن مواضعه "..فقد التزمنا فى هذا الكتاب أن لا نأتى من كلمات هذا البعض إلا بما هو مكتوب أو منشور ومتداول، ولا نتعرض إلى ما يذاع أو يباع على شكل أشرطة تسجيل أو فيديو. إلا فى حالات يسيرة تبلغ عددها أصابع اليد الواحدة.. وإن كنا نعلم أن ذلك لن يردعهم عن التمادى فى الاتهام الظالم لنا بدبلجة الكلام مخابراتياً أو بغير ذلك!!!

الدوافع والنوايا

إننا لا نريد أن نتحدث عن الخلفيات، والدوافع، والنوايا التى تدفع لتسجيل هذا النوع من السعى لاقتحام المسلمات ـ على حد تعبير البعض ـ لأن همنا هو لفت نظر القارئ إلى أن عليه أن لا يأخذ من أقوال هذا البعض شيئاً إلا بعد البحث والتمحيص، لأنه يتبنى آراء خاصة به، ويلقيها إلى الناس، دون أن يبين لهم: أنها آراؤه الشخصية التى لا تتوافق مع مذهب أهل البيت عليهم السلام.

لا سباب ولا شتائم

وفى اتجاه آخر نشير إلى أن بيان آراء هذا البعض وطرح أقاويله على بساط البحث ليس سباباً ولا شتماً له.. ولا يمكن أن يدخل فى دائرة الخلافات الشخصية معه.. فلماذا يحاول هذا البعض الخلط بين هذين الأمرين وتصوير الأمر للناس على أنه هجوم على شخصه ثم هو يدعى: أنها هجمة مخابراتية، وان منشأها العقدة والغريزة وقلة الدين.. وأن من يناقشونه فى أفكاره (كمثل الحمار يحمل أسفارا)، وان (مثلهم كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث).. وأنها إسقاط للرمز وو الخ ...وأنهم حاقدون وحاسدون ومعقدون لا يخافون الله. وإن كانت مناقشة أفكار هذا البعض تعنى كل ذلك.. فإنه هو نفسه لم يزل يناقش أفكار العلماء ـ الشيعة وغيرهم ـ وينتقدهم.. ويوجه لهم أبشع الإهانات، وقد ذكرنا طائفة من كلماته فى حقهم فى بعض فصول هذا الكتاب. فهل يرضى منا ـ ولأجل هذا بالذات وفقا لمنطقه ـ أن نجعل ذلك فى دائرة العقد النفسية، والكيد المخابراتى، وعدم التدين وفقدان التقوى.. إلى آخر ما هنالك مما ألمحنا إلى بعض منه؟. على أن مناقشتنا لا تهدف إلى تسجيل أى هنات فى شخصه، ولا فى شخصيته، ولا فى ممارساته العملية.. كما أنها لم تتضمن أية قائمة، لا ـ طويلة، ولا ـ قصيرة فى أى شأن من الشؤون ـ لا فى دائرة تعامله مع الناس ولا فى نطاق المواقف والممارسات العملية للشأن العام، ولا فى محيط الأخلاق والالتزام. وذلك لأننا نربأ بأنفسنا عن الانجرار إلى هذه المزالق، أو الوقوف عند مثل هذه الأمور على أننا قد تحيرنا مع هذا البعض، فتارة هو يقول": إنه هو المستهدف شخصياً، وإن المسألة تنطلق من أجواء عقد نفسية وحالات غرائزية. "وأخرى يقول": إن الهدف هو إرباك (الحالة) وإن المخابرات الإقليمية والمحلية والدولية ـ وحتى قمة شرم الشيخ هى رائدة هذا التوجه البغيض. "وأخرى يقول": إن الصراع إنما هو بين ظاهرتى التخلف والتجديد. "ورابعة يقول": إن مرجعيته هى المستهدفة. "..إلى آخر ما هنالك من مفردات احتوتها قائمة البالونات الاعلامية، الهادفة إلى تمييع القضية الأساس، التى هى تلك المخالفات الخطيرة فى أمور الدين والعقيدة.. والتى سنقدم فى هذا الكتاب طائفة وفيرة منها.. ولا ندرى إذا كان الإصرار على تشويه الحقيقه سوف يضطرنا إلى متابعة إطلاع الأخوة الأبرار على المخالفات التى ارتكبت والتى أثارت عاصفة من الاعتراضات القوية فى الساحة..

الردود فى الميزان

والـذى يلفت نظرنا: أن هذا البعض يعمل باستمرار على نشر ردود، على كتبنا تهدف إلى إثارة الغبار، وذر الرماد فى العيون. ونلاحظ على هـذه الردود أموراً كثيرة نـذكر منهـا مـا يلى: ١ ـ إنه يتم انتقـاء موارد يسيرة جـداً، يرون أن بإمكـانهم المـداورة، والمناوره فيها.. ولكنهم يتركون الأمور الأساسية، ولا يجرؤون على الاقتراب منها.. ٢ ـ إن هـذه الأمور اليسيرة التى يتعرضون لها يحاولون أيضاً تغيير اتجاه البحث فيها ثم الإطالـة فى الحديث، والذهاب يمينا وشـمالا حتى يضيع القارئ الكريم فى فوضـى الأقوال.. ونذكر نموذجاً على ذلـك، وللقـارئ أن يقيس عليه الكثير من الموارد ـ مـا ذكره البعض حول امتـداد نسل آدم.. فإن إشـكالنا الأساسـى عليه هو فى ثلاثة أمور هى: أولاً: قوله": إنه لا طريق إلى امتداد النسل إلا تزويج الأخوة بالأخوات "مع أن الله الذى خلق آدم وحواء، قادر على أن يخلق لأبنائهما أناسـى أجمل من الحور، ليمتـد النسل من هـذا الطريق.. ثانياً: قوله": إنه بعد امتداد النسل، استقام نظام العائلة، ولتنمو فى جو طاهر من الناحيـة الجنسية "فإن هـذا يستبطن اتهاماً خطيرا لبيت نبى الله آدم عليه وعلى نبينا وآله الصـلاة والسـلام. ثالثاً: قوله": إنه لا مناعـة جنسـية بين الأم وولدها "..فترى: أن الذين تصدوا للدفاع عنه قد أقاموا الدنيا ولم يقعدوها فى عمل خداعى يهدف إلى صـرف نظر القارئ عن الإشـكال الحقيقى إلى أمر آخر غير ذلك كله، وهو أنه هل يجوز تزويـج الأخوة بالأخوات أم لا، مع أن هـذا الأمر لم نبحث فيه، ولم نورده فى جملـة العناوين التى تحدثنا عنها وإن كنا قد أشـرنا إليه إشارة عابرة. ٣ ـ إن عمدة ما يسـتدلون به هو أن فلانا قال كـذا، وفلانا الآخر قال كـذا.. وكأن الأدلـة أصـبحت خمسة هى: الكتاب، والسـنة، والإجماع، والعقل، وقول فلان، أو فلان. ونقول لهم: إذا قال أهل الأرض كلهم بأمر يخالف قول الله ورسوله والأئمـة وقواعد الدين والمذهب الثابتة فإنهم يكونون مخطئين ولا بد من رد أقوالهم جميعاً. ۴ ـ إن الكثير ممـا ينسـبونه إلى العلمـاء يعانى من التحريف فى معناه أو لفظه.. كما أوضـح ذلك الـذين واجهوهم بالأـمر، وصـدعوا بـالحق فراجع كتاب (جاء الحق) و (الفضيحة) و (حتى لا تكون فتنـة).. وغير ذلك من الكتب التى بينت ذلك حين ردت على تلـك المقولاـت التى أطلقها البعض. ۵ ـ إن مـا ينقلونه أيضـاً من أقوال العلماء لا ينسـجم فى معظمه مع ما يريـدون، بل إن أكثره لا يشـبه كلام هذا البعض فى شـىء، ولا يتضـمن أية جرأة على الأنبياء والمرسلين، وعلى الأئمة الطاهرين، ولا ينال من مقاماتهم التى وضـعهم الله فيهـا. فمثلاً ـ لو قارنت بين كلام من يقول: إن سورة عبس وتولى نزلت فى رسول الله (ص)، وبين ما قاله هـذا البعض فى هـذا المورد لرأيت البون شاسـعاً، والفرق كبيراً.. فـإن من قـال بنزولهـا فيه (ص) لم يزد على ذلك أى توصـيف. فلم يقل مثلاً": لا تفعلوا مثل فعل النبى (ص. ")..ولا تكن" تكون (باللهجة العراقية أو اللبنانية العامية) [۵] منطلقاتكم منطلقات النبى (ص. ")ولا قرر: أن النبى يترك الأهم وينشـغل بالمهم. وأن النبى (ص) يقوم بتجربة غير ذات موضوع.. وأن الله يربى رسوله تدريجاً بعد الوقوع فى الخطأ. وأن النبى يسـتغرق فيمـا فيه مضيعة للوقت. ويفوت الفرص المهمـة. ويخطئ فى التشـخيص. ولاـ يعرف مسؤوليته المباشـرة.. ۶ ـ إنهم يحـاولون التشـكيك فى النوايـا فيمـا يرتبـط بالإـعتراض على مقولاـت البعض: فتـارة يقولون: هى عقـد شخصـية. وأخرى إنهـا: خطط مخـابراتيه. وثالثـة: إنهـا لأجل الطعن بمرجعيـة بعينها. أو أى سـبب آخر ....ونقول لهم: ليكن الـدافع أى شـىء تفرضونه، فإن ذلك لا يبرئ صـاحبكم من الأخطـاء التى وقع فيهـا، ولاـ يجعل خطأه صوابا، ولا يعفيه من مسؤوليـة التصـحيح والتراجع. ٧ ـ إنهم يتهمـون من يعترض على هذا البعض، الذى يريد صدم الواقع، ويسعى لاقتحام المسلمات، بأنه يثير فتنة. ونقول لهم: إن إطلاق الاتهام بهذه الطريقة يـذكرنا بقصة قتل عمار بن ياسـر الذى قال رسول الله (ص) له: تقتلك الفئة الباغية، فلما قتل، وطولب معاوية بذلك قال: نحن قتلناه؟! إنما قتله من وضعه بين أسيافنا.

دعوات فاشلة إلى الحوار

وبعـد.. فإن ما يثير العجب حقا: أن هـذا البعض لا يكل ولا يمل من التلفظ بالدعوة إلى الحوار فى الهواء الطلق.. فإذا ندبناه إلى ذلك، وسـيرنا إليـه وسـطاء الخير، وأصـحاب النوايـا الطيبـة وتكررت المحاولاـت، واختلفت حالاـت الوسـطاء فى مـواقعهم الاجتماعيـة، وفى ميزاتهم وسماتهم، وتكرر الذهاب والإياب، زرافات تارة، ووحداناً تارة أخرى.. وبعد الكثير من الأخذ والرد والجلسات الطويلة، وحين

يبلغ الحق مقطعه، فإنك تجده حين يجد نفسه محاصراً ومحرجاً يعلن رفضه لهذا الأمر، ويريح نفسه ويريحهم حين يطلب منهم إقفال الموضوع. مع أننا لم يكن لدينا أى شرط سوى شرط واحد يتيم، وهو أن يتم الحوار أمام ثلة كبيرة من العلماء الذين هم من الطراز الأول، يختار هو نصفهم، ونختار نحن النصف الآخر، وذلك ليكونوا الحكم والمرجع حين تتباين وجهات النظر، وهم الذين يضعون حدا للمكابرة، أو التجنى، إن حدث أى شىء من ذلك.

لا بد من إعلان التصحيح

وآخر ما نذكره هنا هو أن من حقنا جميعا أن نطالب من يقول: إن أفكاره ما تزال أفكاره منذ الثمانينات، وأنه يتحمل مسؤوليتها، نطالبه لتصحيح أفكاره، وبأن يعلن هذا التصحيح. كما أعلن الإصرار خصوصاً بالنسبة لكتابه" من وحى القرآن "حيث يقول عنه": إن جميع ما ورد فى كتابه (من وحى القرآن) فى الطبعة الأولى والطبعة الثانية التى هى طبعة دار الملاك، فهو صحيح، والإختلاف إنما هو فى الأساليب. "مما يعنى أن كل فكرة وردت فى الطبعة الأولى فهى صحيحة، حتى لو حذفها من الطبعة الثانية، لأن الأسلوب يكون هو السبب فى الحذف.. فكيف يفسر لنا إذن إنكاره لنبوة يحيى عليه السلام فى الطبعة الأولى، وسكوته عن ذلك فى الطبعة الثانية، فإن كل ما فيهما صحيح على حد قوله. وكيف يفسر لنا ما قاله من أن فواتح السور (ألم وكهيعص) وغيرها هى من إضافات النبى فى القرآن ـ إن كانت السور التى وردت فيها هذه الأحرف مكية فى أغلبها ـ وهى كذلك. وقد سكت عن هذا الأمر فى طبعة دار الملاك، ولم يصرح بخطئه فيه ولا بخطئه فى قضية يحيى، وإذا كان كل ما فى هذه الطبعة وتلك صحيحاً.. فإن معنى ذلك أنه منكر لنبوة من صرح القرآن بنبوته، وأنه يقول بأن النبى قد زاد فى القرآن، وأن القرآن محرف بالزيادة فيه.

لماذا السباب، ولماذا الاتهام؟

على أننا نقول: إننا من جهة: نتوقع من هذا البعض الذى يعلن أنه سعيد بنقد الناس له، وأنه يقول: رحم الله امرءاً أهدى إلى عيوبى ـ نتوقع منه ـ أن يترحم علينا، وأن يكون سعيداً بهذا النقد.. وأن يعفينا من قوله عن مراجع الأمة وعلمائها فى إذاعة تابعة له: ـ كمثل الحمار يحمل أسفارا. ـ كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث.. الخ. ـ بلا دين، بلا تقوى.. ولا تثبت. ـ يفهمون الكلام بغرائزهم.. ـ يعانون من عقدة وحسد.. ـ متخلفون.. وما إلى ذلك.. هذا عدا عن وصمهم بأنهم عملاء مخابرات إقليمية، أو دولية، أو محلية ...أوأنهم واقعون تحت تأثير المخابرات. ثم هو يصور المراجع للناس على أنهم (ألعوبة بلهاء شوهاء) بأيدى بعض المحيطين بهم، وأنهم يأتيهم الناس بقصاصات: ما رأيكم بمن يقول كذا.. فيكتب هذا كذا وكذا. على طريقة ويل للمصلين.. نعم.. إن الأمر أجل من ذلك وأخطر.

لا بد من الإنصاف

ومن جهة ثانية: فإننا نتوقع من أى مؤمن ومنصف أن لا ينظر إلى هذا الأمر على أنه خلاف شخصى بين فريق وفريق.. فكما يستبعد أن يكون شىء من ذلك قد صدر من هذا البعض، ويستبعد أن يكون هذا البعض لا يصرح له بالحقيقة حين يقول له: إن هذه الأمور مكذوبة أو محرفة.. فإننا نطلب منه أن يستبعد أيضاً أن يكون العلماء، ومراجع الدين فى شتى بقاع الأرض قد كذبوا على هذا الرجل.. أو أنهم يتحاملون عليه من موقع الحقد والضغينة، فإنهم أيضاً علماء مسلمون مؤمنون لهم حق علينا أن ننصفهم، وأن لا نظن بهم سوءاً، وأن نسمع منهم كما نسمع من غيرهم، وأن نحتمل الخير والصلاح فيهم كما نحتمل ذلك فى من عداهم. فلا يظن السوء بفريق بعينه، ولا يتهمه ويتحامل عليه، ولا يرفض قراءة ما سجله من مخالفات، بل يقرأ لكل فريق، ويسمع من الطرفين، ويراجع المصادر ليطمئن إلى صحة ما يقال له.

موقف مراجع الأمة

ومن جهة ثالثة: إن موقف المراجع وعلماء الأمة مما يجرى.. لم يكن لأجل جر النفع إلى أنفسهم، إذ إنهم أتقى، وأجل من أن يظن فى حقهم ذلك، وهم حفظة هذا الدين، والأمناء على حقائقه، وأحكامه.. وإنما هدفهم هو تحصين أهلنا وأبنائنا من الانسياق وراء الخطأ فى أمور لا تختص بفريق دون فريق.. ولا بطائفة دون طائفة، ولا بجيل دون جيل. ويلاحظ: أن الإعتراضات قد انصبت بصورة أكبر على الجانب العقائدى، وعلى المفاهيم والقيم، وعلى التفسير وعلى المناهج التى تحكم التوجه الفكرى والعقيدى والمفاهيمى ولم تركز اهتمامها ـ بصورة جدية ـ على المخالفات فى نطاق الأحكام. وما ذلك إلا لأن دائرة الأحكام تبقى محصورة فى نطاق جماعة بعينها استطاع ذلك الشخص بأساليبه أن يؤثر عليها ويربطها بنفسه. وينتهى الأمر عند هذه الفئة، ولا يتعداها إلى الجيل الذى بعدها، حتى من أبنائها. أما المفاهيم والحقائق الايمانية، وشؤون العقيدة، والتفسير فلا تقتصر على من اليه يَرجع فى التقليد. بل يأخذ ذلك الناس كلهم وقد يأخذونها من الحى ومن الميت على حدّ سواء. فإذا كان ثمة من خطأ فإن هذا الخطأ سينتشر فى هذه المجالات، ولسوف لا يقتصر الأمر على فئة دون فئة، أو جيل دون جيل. فكان أن وقف مراجع الدين، وعلماء الأمة ليصونوا حقائق هذا الدين، حتى ولو أهينوا وحقّروا على شاشات التلفزة، وصوروا على أنهم ألعوبة فى يد بعض المقربين منهم، أو يقعون تحت تأثير سياسات المخابرات.. وما إلى ذلك. فإنا لله وإنا إليه راجعون...

خطر التحصن بالمرجعية

إن المشكلة هى أنه بعد أن افتضح الأمر فى ما يرتبط بمقولات البعض الكثيرة جداً، والتى تعد ـ ربما ـ بالألوف، والمتنوعة جداً والتى تتعلق بقضايا العقيدة، وحقائق الدين والإيمان، والشعائر، والتفسير، والتاريخ وما إلى ذلك.. ونشرت طائفة من هذه المقولات، وتصدّى لها العلماء ومراجع الأمة فى النجف الأشرف، وفى قم المشرفة.. وسائر البلاد لجأ هذا البعض إلى أمر بالغ الخطورة، وهو التطلع إلى سدّة المرجعية، ليصبح كلامه أشد تأثيراً، وأكثر قبولاً عند الناس، حيث يضفى عليه هذا المقام مسحة من القداسة، وليدخل من ثم إلى وجدان الناس بطريقة عفوية، وبتسليم بعيد عن أى إحساس بالحاجة أو الميل إلى مناقشة الأمر، أو إلى التفكير فيه.. ورغم أن ظهور هذه الأمور، وقيام العلماء ضدها قد بدأ قبل إعلانه عن طموحاته فى المرجعية بسنوات فقد ارتفعت الضجة العارمة ضد مقولاته فى سنة ١٩٩٣ م وهو إنما أعلن عن طموحات للمرجعية فى سنة ١٩٩٥ م. نعم رغم ذلك، فإنه ما فتئ يقول للناس عبر الإذاعات، وأجهزة التلفاز، وفى الجلسات الخاصة: إن السبب فى قيام الضجة هو تصدّيه لمقام المرجعية المقدس..

ما يهمنا هنا

ومهما يكن من أمر، فإننا لم نزل نؤكد على أن ما يهمنا بالدرجة الأولى هو مقولات هذا البعض العقائدية، ولا تهمنا كثيراً آراؤه الفقهية، لأنها لا ولن تجدلها مكاناً مرموقاً بين فقهاء الأمة وأساطينها بعد أن كانت مرتكزة إلى منهجية بحث مرفوضة لدى علماء المذهب. غير أننا أحببنا أن نعطى القارئ الكريم صورة متكاملة ومتقاربة الملامح عن نهج هذا الرجل وعن آرائه، ولسوف يجد أنه حتى فى مجال الفقه، لم يزل يقدم الدليل تلو الدليل على أنه بعيد كل البعد عن مسلك فقهاء مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فى منهجه الاستنباطى غير المرضى عندهم، لأنه يعتمد القياس والاستحسان وغيرهما من مناهج غير مرضية.

اعتذاراته الموجهة إعلاميا

ونضيف إلى جميع ما تقدم أن هذا البعض كان فى بدايات ظهور مقولاته إلى العلن، وتنديد مراجع الدين بها.. واعتراض علماء الأمة

عليها، ورفضها وتفنيدها.. ـ كان ـ يقول": إنهم يقطّعون كلامي. "..ويقول": إن ذلك مكذوب علي. "..ويقول": إن الأشرطة مدبلجة مخابراتياً. "..ويقول.. ويقول.. ولكن الذي شهدناه أخيراً هو تبدل قوى وملفت في السياسة مع المعترضين على هذه المقولات. حيث توجهت أنظاره هو ومؤيدوه إلى الإعتراف والتسليم بأنها من مقولاته، واتجهت هممهم وجهودهم إلى إثبات: أن ثمة من يوافقه عليها من أهل العلم أو من المفسرين، أو ما إلى ذلك.. وارتكبوا في هذا السبيل الكثير من جرائم التزوير، والتحريف، حتى لكلام نفس هذا البعض صاحب المقولات الذي يناصرونه، ويدافعون عنه. ونحن إذ نشكر الله على هذا الإعتراف، فإننا نعيش أشد أنواع الأسى والألم تجاه هذه الفاجعة التي تحل بالدين من جراء هذا التزوير المتعمد والفاضح من قبل أناس يصح أن يقال فيهم: إنهم باعوا دينهم بدنيا غيرهم. ونرى في هذا الأمر خطورة قصوى لا تماثلها خطورة.. ولا ندري كيف نوقف زحف هذا التزوير، ولا كيف نكافحه، ونقضي عليه.. وهذا الأمر لا يختص بنوع من مقولات هذا البعض دون نوع، بل هو منتشر في كل اتجاه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

هذه هي قناعاته

ومهما يكن من أمر فإننا نذكر في هذا الكتاب موارد كثيرة من أقوال البعض توضح لنا: أن ما ذكرناه عنه لم يكن مجرد هفوة عابرة، نشأت عن عدم إلتفات منه أو أي سبب آخر، ليقال: إنها لا تمثل قناعة راسخة عنده.. بل إن ذلك الذي ذكرناه، وأمثاله كثير، يبين بما لا مجال معه للشك: أن هذه المقولات هي صفوة ما عنده من فكر، وأنه يتبناها، ويرددها وينشرها، وأنه يعتقد بها، ويدافع عنها بكل ما أوتي من قوة وحول.. شاهدنا على ذلك: أنه قد أعاد طبع بعض كتبه، ومنها كتابه المعروف باسم (من وحي القرآن) ولم يغير منه شيئا ذا بال، ولا أصلح أياً من مقولاته الخطيرة والهامة، وإنما بدل بعض العبارات التي لا تحمل في طياتها أهمية تذكر، وإذا كان يقول على المنابر وفي المناسبات، ما ربما يظهر منه خلاف ذلك، فإن إعلانه عن أن أفكاره لم تتبدل منذ الثمانينات كما أشرنا قريباً، ثم إصراره على إبقاء ما كان على ما كان يدلنا على أنه يعرف أن ما يبقى هو المكتوب، أما الخطب والمقابلات، والمداولات في المجالس فإنها تتلاشى، وتزول، وهو يسعى لإرضاء الناس بكلام مبهم من جهة، ويصر من جهة أخرى على إبقاء كل شيء على ما هو عليه، لتتداوله الأجيال من بعده، ومن يريد التأثير عليهم في العالم الإسلامي الكبير.. ليفرض على الآتين أن يفهموا ما ورد في خطبه ومداولاته الشخصية، على أنه إنما كان تحت وطأة الضغوط التي واجهها..

انظر إلى ما قيل

ولي رجاء أكيد من القارئ الكريم، هو أن يراجع كتاب" مأساة الزهراء "في طبعته الثانية التي تشتمل على كتاب" لماذا كتاب مأساة الزهراء. "وثمة رجاء آخر آمل أن لا يردّه القارئ عليّ، وهو أن ينظر إلى ما قيل في هذا الكتاب وفي غيره، ولا يكن همه النظر إلى من قال... ولتكن القاعدة القوية والحاسمة عنده هي" إن الحق لا يُعرف بالرجال، وإنّما يعرف الرجال بالحق. "و" إعرف الحق تعرف أهله "و (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدّى إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون) [٦] . فليراجع النصوص التي نقلناها في مصادرها، وليقارن، ليتأكد من أننا لم نقطّع أوصال الكلام، ولا أخللنا بالنقل. وليكن رائده هو معرفة الحق ليحدد موقفه من خلال معرفة تكليفه الشرعي الذي سيطالبه الله به يوم يلقاه، حيث (لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم). وإنا على ثقة ويقين أن من يعمل بهذه القاعدة بصدق، وينطلق منها بإخلاص، فإن الله سيشرح صدره للحق وللحقيقة، وسيكون إن شاء الله مسدداً ومؤيداً من الله سبحانه... قال تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا). ويلاحظ هنا: ألف: يقول بعض الأخوة: إنك إذا تتبعت مقولات هذا البعض فستجد أنه قد تعرّض لمختلف الحقائق الإسلامية بالتشكيك، وربما إلى درجة النفي القاطع أحياناً.. لكن الملفت ـ والكلام لبعض الأخوة ـ أنه لم يتعرض حتى الآن بالتشكيك في الموضوعات التالية: ١ ـ الخمس.. ٢ ـ الصدقات والمبرّات.. ٣ ـ المرجعية، وفقاً لبعض المواصفات المناسبة!! ويضيف هؤلاء الأخوة أموراً أخرى، لا نحب أن نتعرّض لها، لأنها قد تصل إلى حد

الاتهام.. ونحن لا نريد أن نتهم أحداً، لأننا نعتقد: أن الأهم من كل شيء هو إلفات نظر الناس إلى مقولات نرى أنها على غاية في الخطورة لأنها تمسّ جوهر مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وتهدف إلى إثارة التساؤلات والشكوك حول أهم مفردات العقيدة، والكثير من حقائق الدين.. ب: إنه ربما يشعر البعض أن ثمة درجة من الجفاء، أو الجفاف في تعابيرنا، الأمر الذي قد يفسح المجال أمام التعللات الهادفة إلى التهرب من مواجهة الحقيقة، حيث يتمكنون من إثارة عواطف الناس، وتحريك مشاعرهم، وصرفهم عن حقيقة المشكلة حيث يصوّر هو للناس أو يصورون لهم أنه مستهدف، وأنه مظلوم.. وأنه وأنه.. ونقول: لا بد من ملاحظة الأمور التالية: أولاً: إن اللغة العلمية هي بطبيعتها لغة جافة، لأنها تسعى إلى وضع النقاط على الحروف، بصراحة تامة، وبأمانة ودقّة. ثانياً: إننا نرتاب كثيراً في صدقية كثير من الألقاب والمقامات والقداسات التي يحاط بها بعض الناس، ويتخذون منها ذريعة لمنع الناس من توجيه النقد، وحتى الإتهام المستند إلى الوقائع، وإلى الشواهد المكتوبة وغيرها.. التي يعطيها ذلك البعض لنفسه.. بل نقطع بما لا نحب التصريح به في هذا المجال.. ثالثاً: انه لا مجال لمجاملة من يجترئ على مقامات الأنبياء والأوصياء، ويسعى لاقتحام مسلمات الدين والعقيدة والمذهب، ولا يصح: تعظيمه وتبجيله، وهو يصف الأنبياء بكثير من أوصاف المهانة، ويصورهم بصورة، هي اقرب إلى صورة المتخلفين عقلياً منها إلى صورة الإنسان العادي حتى إن شيخ الأنبياء فيها عنده بدرجة من السذاجة أنه ينظر إلى السماء نظرة حائرة بلهاء. مع أنهم هم الذين اصطفاهم الله لرسالاته، وانتجبهم، واختارهم ليكونوا الأسوة والقدوة، والقادة، والهداة للعباد و.. وقدّمهم على أنهم الإنسان النموذج، والأكمل والأفضل والأرقى، والأمثل.. إن الصورة التي يقدّمها هذا البعض للأنبياء قد تجعل الإنسان العادي يعيد النظر في ما عرّفه وهداه إليه عقله عن الذات الإلهية، فيظن بالله الظنون ـ والعياذ بالله ـ فينسب إليه الجهل بمخلوقاته.. أو العمل على غشهم، وعدم النصيحة لهم. حيث يختار أناساً غير لائقين بما يختارهم له. وإن ما نورده في هذا الكتاب من مقولات هذا البعض يوضح هذه الحقيقة بجلاء تام. هذا كله.. عدا عما يصف به هذا البعض أئمة الدين، وأولياء الله. وكذلك ما يصف به السيدة الزهراء عليها السلام، مما سيمر على القارئ الكريم بعضه أيضاً في قسم مستقل إن شاء الله تعالى.. والحمد لله رب العالمين. جعفر مرتضى العاملي

الفات نظر

إننا كنا قد اعتمدنا في بعض موارد هذا الكتاب على الطبعة الأولى من كتاب البعض والمسمى ـ زوراً ـ (من وحي القرآن)، ولكن بعد أن صدرت الطبعة الثانية، آثرنا أن نعتمد عليها في سائر ما نورده من عباراته في كتابه المذكور لأن الوصول إليها أيسر، فعلى القارئ الكريم مراعاة هذه الجهة وملاحظة الطبعة الأولى فيما لا يجده في الطبعة الثانية، راجين منه أن يقبل اعتذارنا عن هذا الأمر.

تمهيد

ـ حيث لا بد من الإشارة: قد عرفنا: أن البعض قد أفصح في كتبه ونشراته، وفي محاضراته، ومحاوراته الإذاعية وغيرها عن أمور أثارت جوّا معيّنا.. وقد كتبنا كتابنا" مأساة الزّهراء (ع) شبهات وردود، "للردّ على بعضٍ من ذلك.. وقبل أن نضع أمام القارىء بعضا آخر مما قاله ذلك البعض، مما يحتاج إلى توضيح أو تصحيح، نذكّر بالأمور التالية: الأمر الأول: إن بعض مسوّدات هذا الكتاب قد سرقت وبيعت بمبالغ كبيرة، في محاولة لعرقلة صدور هذا الكتاب والحد من تأثيره، ولنا أن نتوقّع في نطاق الإصرار على هذه المقولات بعضا مما عرفناه وألفناه، كما كان الحال حين صدر كتابنا": مأساة الزهراء (ع) شبهات وردود. "الأمر الثاني: إن ما يحويه هذا الكتاب من مؤاخذات، ليس هو من الأمور التي يمكن إغماض النظر عن أي مورد منها، فلو فرضنا ـ وفرض المحال ليس محالا ـ أنه أمكن تلمّس بعض التأويلات لموارد قليلة مما ذكر، فإنه لا يمكن الإكتفاء بذلك، وغض النظر عن الباقي، لأن كل مورد فيه له أهميّة كبيرة، وقسم منه يتمتع بدرجة عالية من الحساسية والخطورة، فيما يرتبط بالتكوين الفكري، على مستوى المذهب. الأمر الثالث: إننا نتوقّع أن تنصب

ردودهم وإثاراتهم على الأمور التالية: ١ ـ سيقولون إنها نصوص مجتزأة لا تمثّل الحقيقة كلّها. ونحن نرجو من القارىء الكريم أن يتأكّد من الأمر بنفسه، ليجد: أن هذا الكلام ليس دقيقا. ٢ ـ سيقولون إن كلام ذلك البعض لم يفهم على حقيقته، أو إنه لا يقصد ما فهم منه.. ونقول: أولاً: إننا نطلب من القارىء الكريم أن يراجع كلام ذلك البعض، ليفهمه بنفسه، ليتبين له هل يصح أن يعتمد على ما يقال له من تأويلات بعيدة عن ظهور الكلام ودلالاته، أم لا يصح له ذلك. ثانياً: ليكتب صاحب تلك المقولات إيضاحات لمقاصده، ويضمها إليها، ليقرأها القارىء معا مباشرةً، ويكون بذلك قد حصّنه عن الوقوع في فهم خلاف مقصوده. ٣ ـ قد يقال: إن هذا الكلام قد قيل في مقامات مختلفة تختلف وتتفاوت، ولكل مقام مقال.. ونقول: لا بدّ من بيان خصوصيات المقام الذي قيل فيه، إذا كانت تلك المقامات بمثابة قرائن متصلة على المراد؛ ليعرف الناس ذلك؛ فإن الناس لا يعلمون الغيب، ومن سيولد بعد مئة سنة سيكون أبعد عن هذه المقامات، وعن معرفة تأثيرها في دلالة الكلام. كما أنّ لنا أن نسأل هنا: هل المقام الذي قيل فيه هذا الكلام يفرض هذه التنازلات، أو تلك الإعترافات؟! وهل ستستمر سلسلة التنازلات هذه في المقامات المختلفة؟! وهل سيأتي يوم نتنازل فيه عمّا هو أهمّ وأعظم؟! وهل هذا الحشد الهائل هو من بوادر ذلك وإرهاصاته؟! وهل كل هذا الكم الهائل وسواه أضعاف كثيرة، قد اقتضته المقامات المختلفة؟! أم أنّ أكثره قد كتب ونشر بمبادرة مباشرة، ومن دون أن يكون ثمّة مقام يقتضيه؟ أو يفرض له وعليه قيودا وحدودا؟!.. ٤ ـ قد يقال: لماذا تتمسّك بهذا القول بالذات، وتترك ما سواه من أقوال أخرى لهذا البعض نفسه؟. وجواب ذلك واضح: أولاً: إن الطبيب إنما يلاحق موضع الداء، ويضع إصبعه على الجرح ويعالجه، ولا شغل له بما هو صحيح وسليم. ثانياً: إن ذلك البعض قد أعلن في ندوة له قبل مدّةٍ يسيرة: أنه مسؤول عن كل ما كتبه منذ ثلاثين سنة وهو ملتزم به [٧] . وقال أيضا": إنني عندما انطلقت في العمل الإسلامي والفكري منذ ما يقارب ال ٤٥ عاما كنت أعتقد في كل ما كتبت وحاورت وحاضرت وكانت حصيلة ذلك عشرات الكتب وآلاف المحاضرات ["٨] . وهذا الذي نقدّمه هو بعض ما صدر منه وعنه. ثالثاً: إذا كانت أقوال هذا البعض متناقضة، فليدلّ على الصحيح منها، ليؤخذ به، وليبين للناس الفاسد ليُجتنب عنه، فإنّ بيان ذلك من مسؤولياته، أيضاً، كما أن من مسؤولياته أن لا يتكلم بالمتناقضات. ٥ ـ قد يقال: إن بعض الموارد التي يرد عليها الإشكال، قد ذُكرت لها في مواضع أخرى حدود وقيود تجعلها مقبولة ومعقولة.. ونقول: إن من الواضح أن من يكتب شيئا في مقالة ما، فإنه لا يصح له أن يطلب من الناس أن يقرأوا ما كتبه طول عمره، ليعرفوا ماذا يقصد بكلامه في مقالته تلك، وليس له أن يؤخر البيان عن وقت الحاجة، فيفصل بين مراده وبين الشاهد والقرينة عليه؟! وما هو الداعي له ليجعل البيان في كتب أخرى، فإن الأولى هو إصلاح نفس الكتاب الذي يشتمل على الخطأ، ثمّ إعادة طباعته، أمّا تسجيل الإصلاح في كتب قد لا تصل إلى جميع من سيقرأ له؟.. أو في محاضرة أخرى قد لا يسمع بها قرّاء مقالته تلك، ولا تمرّ عليهم؟! فلا أثر له، ولا يمكن أن يحل المشكلة، لاسيما مع تكرر صدور هذه المقولات عنه. بل لماذا يجعل الجواب في موضع آخر من الكتاب نفسه، خصوصا إذا كان ذا أجزاء عديدة، قد تصل إلى خمسة وعشرين جزءا، حيث لا يخطر في بال الكثيرين أن يقرأوه كله، وإذا خطر ذلك لبعضهم، فقد لا يمكنه ذلك. وهل يصح أن يقال: إنه من أجل معرفة المراد من آية قرآنية، لا بد من قراءة تفسير القرآن كله بجميع أجزائه؟! ثم ما هي الضمانة في أن تصل تلك الموارد التي تتضمن الفكرة الصحيحة للأجيال اللاحقة، فلعلّها تضيع ـ كما ضاع غيرها ـ وتصل إليهم الأفكار التي هي موضع الإشكال. ٦ ـ قد يقال لك في بعض الموارد: قد ذهب فلان من العلماء إلى هذا القول، أو إلى ذاك القول.. ولكن لماذا لا يقال لك: إن ألوفا بل عشرات الألوف على مرّ التاريخ، وكلّهم من كبار العلماء، وأفذاذ الرجال قد قالوا بخلافه؟!.. ولماذا لا تلاحظ الحقيقة التي تقول: إن معالم المذهب إنما تؤخذ من مشهور علمائه، الذي يمتلك الأدلة القاطعة على ذلك، ولا يصح نسبة رأى شذّ به هذا العالم أو ذاك العالم إلى المذهب. فمثلا لا يصح أن يقال: الشيعة يقولون ويعملون بالقياس لأن واحدا من علمائهم كان يعمل به – لو صحّت النسبة إليه – فإن رفض القياس معروف من مذهب الشيعة، فمن يقول به يكون مخالفا للتشيع، حتى وإن كان ثمة عالم من السابقين يقول به، وإن الزواج المؤقت معروف من مذهب الشيعة، فلا يصح الخروج على ذلك، بحجة أن فلانا العالم قد ذهب إلى رأى آخر. ولو أردنا أن نجمع شذوذات العلماء إلى

بعضها البعض، فقد يتكون لدينا مخلوق جديد، له مواصفات وحالات تجعله أعجوبة، ما دام أنه قد لا يشبه أيّا مما نعرفه ونألفه. على أن من الواضح: أن كثيرا من الأمور الإيمانية، لا بدّ أن تؤخذ من النصوص، وقد جمعت تلك النصوص من كتاب إلى كتاب، ومن عالم إلى عالم، فى ذلك الزمان الصعب، وضم بعضها إلى بعض بصورة تدريجية، حيث تبلورت النظرة من خلال ذلك، وقد كان طبيعيا أن يتأخّر الإلتفات إلى بعض القضايا، أو أن يعطى عالم ما رأيا خاطئا فيها، ولاسيما إذا كانت من الأمور التفصيلية، أو تلك التى تحتاج إلى توثيق وتدعيم بالشواهد الكثيرة، والنصوص الغزيرة، خصوصا إذا كان أمرا يقل التعرّض لذكره، أو يصعب الإنقياد له.. وكجزء من التمهيد نذكر ما يلى: عقائد الشيعة (متوارثة). عقائد الشيعة قد يكون فيها الخطأ. هل فى عقائد الشيعة بدع؟!!. أسعى لاقتحام المسلّمات. لقد قُدّمَ إلى البعض سؤال يقول: هناك فكرة لدى البعض مفادها لزوم ترك التحدّث فى الأمور العقائديّة، حتى ولو كانت محل حاجة الناس الفكريّة، والإقتصار فى ذلك على المجالس الخاصّة للعلماء، وذلك خوفا من أن تتزلزل عقيدة العامة، فهل فى الإسلام ما يبرّر كتمان العلم والإقتصار على تثقيف الخاصة وحسب، وما هو الصحيح فى هذه الفكرة؟ فاعتبر أنّ هذا الطرح قد جاء بدافع الخوف على موروثاتهم.. لا أنّه جاء بدافع الحرص على عدم إدخال الناس فى بلبلة فكريّة واعتقاديّة، فهو يقول": يخاف البعض أن يؤدى طرح المسائل الفكرية والعقائدية إلى مس أفكار متوارثة قد تكون صحيحة وقد لا تكون. "ويقول": بأنّه ليس من حق أىّ عالم أن يطرح القضايا التى تثير الجدل أمام الناس، وأن عليه أن يقتصر فى ذلك على العلماء الذين يناقشهم ويناقشونه حذرا من (ضياع) الناس. وربما يلاحظ علىّ بعض إخواننا أننى أطرح القضايا وأثير التساؤلات فى الهواء الطلق، ويعتبرون أن بعض الأفكار المطروحة قد تصدم الذهنية العامّة المتوارثة، ويرون أن ذلك خطا، لأنه يولّد جدلا ومشاكل تضعف عقائد الناس ["٩] . ثم بدأ يستدل على صوابية موقفه بأن القرآن قد طرح أفكار المشككين فى النبى، كقولهم ساحر، مجنون، وكاذب، ثم قال": ولو أن كل مصلح أو عالم أخفى أفكاره عن الناس، فكيف ستصل الحقيقة إليهم ["١٠] . نعم، لقد قال هذا البعض ذلك، مع أن القرآن إنما ذكر أقوال المشركين فى مقام الإنكار والتهجين لها، هذا مع أنها ليست أفكارا وإنما هى شتائم. ثم إن ذلك البعض خاطب الناس بقوله: "لا تبيعوا عقولكم لأحد، ولا تبقوا على جمودكم على غرار ما ذكرته الآية الكريمة: (أنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)(الزخرف ١٣)، لأن كل جيل يجب أن ينفتح على الحقيقة وفق ما عقله وفكر به. "ولكن قد فات ذلك البعض أن عدم إشراك العامّة فى البحث الفكرى والعقائدى ـ عند القائلين بذلك ـ إنّما هو فى مرحلة التحقيق، لا فى إطلاعهم على النتائج، ولا يلتزم القائلون بهذا القول، بعدم إشراك جميع الناس فى ذلك، بل يقتصرون على من ليس عندهم الأهلية للتحقيق. وهذا لا ينطبق على الأمور الفكرية والعقائدية فقط، وإنما على جميع العلوم، فلا يُتوقع أو يُطلب من باحث الطبّ أن يشرك أو يُطلع جميع الناس على تدرجه فى البحث مرحلة فمرحلة، ولا الباحث الفيزيائى، ولا سواه فى أى علم من العلوم، فلا معنى لقول البعض": لو أن كل مصلح أو عالم أخفى أفكاره عن الناس، فكيف ستصل الحقيقة إليهم. "فإنّ ثمرة جهد الباحثين والمحققين ستصل إلى الجميع، وتكون مشتركة بينهم، وتعمّهم فائدتها. وسيأتى كلامه بنصه الحرفى والذى يعتبر فيه أن المشكلة هى: أن الشيعة لا يريدون أن يتنازلوا عن شىء مما ورثوه. ثم يقول": إننى أشعر بأن مسؤولية العالم أن يظهر علمه إذا ظهرت البدع فى داخل الواقع الإسلامى وخارجه، وإذا لم يفعل ذلك (فعليه لعنة الله) كما يقول النبى (ص)، والله تعالى قال: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّناه للناس أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)(البقرة ١٥٩) [١١] . إذن، فهو يرى أن ما يطرحه هو البينات والهدى،وأن هناك بدعا فى عقائدنا، وأن عليه أن يظهر علمه لإزالتها،على أساس أنه لا يؤمن بأن الناس عوام يجب أن نبقيهم على جهلهم. حيث يعقب ذلك بقوله": أنا لا أؤمن بأن الناس عوام يجب أن نبقيهم على جهلهم،إنما يجب أن نثقفهم ليعوا دورهم ومسؤولياتهم فى الحياة وأمام الله تعالى. إنى أرى أن من الخطأ إثارة القضايا فى المجالس الخاصة وحسب،بل لا بد من أن نثيرها فى المجالس العامة بالطريقة التى تحقق للناس توازنا فى فهمهم وأفكارهم،حتى يعيشوا ثقافة الإسلام بوعى وفهم وتدبر لأن الله لم يخاطب الخاصة ليحولهم إلى طبقة مغلقة، ولكنه خاطب الناس والمؤمنين جميعا. وإذا كان بعض الناس يختلفون معى فى الرأى أوفى فهم القضايا لأن لهم وجهة نظر أخرى، فليس

معنى ذلك أن آرائى التى أطرحها تؤدى إلى نتائج سلبية على مستوى الحقيقة أو فى الواقع،بل قد تكون سلبية على مستوى آرائهم. وإذا كان هؤلاء لا يجدون مشكلة فى طرح أفكارهم على الناس لأنهم يرون صوابيتها، فما المشكلة فى طرح أفكار أخرى يعتقد أصحابها بصوابيتها؟ علما أن اختلافك مع الآخر لا يعنى أنك تمثل الحق المطلق،ليكون الآخر فى موقع الباطل المطلق. "إذن، فهو يعتبرها أفكارا فى مقابل أفكار،وآراء فى مقابل آراء، ووجهات نظرٍ تقابلها وجهات نظرٍ أخرى، وعقائد موروثة.. وقد يكون فيها الخطأ. غير أن الذى لم يتضح بعد، هو أنها إذا كانت كذلك، كيف ثبت له أن ما عدا أفكاره ووجهات نظره وآراءه هو بدع لا بد من إظهار علمه لإزالتها؟!.. ومهما يكن من أمر، فإن ذلك يجعلنا نفهم ما يرمى إليه حين يعلن أنه": يسعى لاقتحام المسلّمات، "فهو يقول": إننى أحاول أن أبحث عن الحقيقة،وأسعى إلى اقتحام المسلّمات،لأن المسلّمات قد تكون ناتجة من حال ذهنية معينة وقد تصير مسلّمات وهى ليست كذلك. بعض الناس يخاف اقتحام المسلّمات وحتى اقتحام المألوف. ولكن عندما نريد أن نصنع تاريخنا وفكرنا علينا أن نفكر على أساس البحث عن الحقيقة ومراعاة واقع العصر. "وأضاف": على صاحب التفكير المنفتح أن يتحمل ضربات التيار الذى يقف فى وجهه،وأن يتحمل الرجم بالحجار الاجتماعية والسياسية ["١٢"] .

المنهج الفكرى والإستنباطى (قواعد و مبان للفكر والإستنباط)

قواعد و مناهج

بداية

قبل الشروع فى استعراض مقولات هذا البعض على مختلف الصعُد الدينية، والفقهية، والأصولية، والعقائدية، والتفسيرية، وغيرها، أحببت أن أعطى القارئ الكريم لمحة عن الطريقة الفكرية والمنهج الاستنباطى الذى ارتضاه هذا البعض لنفسه، ليكون لديه هو الآخر صورة عن هذا المنهج فإن ذلك سيساعده على فهم كثير من الأمور التى سترد عليه فى أقسام الكتاب المختلفة، إذ لا ريب أن أولى الأولويات فى سياق الهدف الذى ننشده من وراء الكتاب هو إحاطة القارئ الكريم بظوابط البحث وقواعد الإستدلال التى يعتمدها البعض ليسهل عليه بعد ذلك، وفى كل مورد مورد، تطبيق ما عرفه من قواعده وضوابطه ـ إن صح تسميتها ضوابط ـ وليتضح له أن الأمر ليس مجرد فلتة لسان هنا، أو زلة هناك، بل إن هناك منهجاً كاملًا مضطرب الأركان مختل الركائز، قد نسج من شذوذ فى بعض سماته، ومن شبهات فى بعضها الآخر، ومن أباطيل وتزييفات فى عمدة ملامحه حتى غدا مخلوقاً عجيباً لا تجد له نظيراً فى فكر مفكر أو منهج مذهب من المذاهب، لا يراد به إلا خدمة غرض معيّن يعلمه الله تعالى، ونحن بفضل الله نعلمه، فعسى القارئ الكريم أن يعلمه أيضاً، فإلى ملامح هذا المنهج فى العناوين التالية:

المنهج الاستنباطى

إننا فيما يرتبط بالمنهج الإستدلالى لذلك البعض، نكتفى بذكر النقاط التالية: العمل بالقياس عند الحاجة ولو فى مسألة واحدة. النهى عن القياس لأجل عدم الحاجة إليه. إنه لا مانع عند البعض من العمل بالقياس وغيره من الطرق الظنية فى أى مورد لا يجد فى الكتاب وفى الحديث، ما يفيد فى إنتاج الحكم الشرعى. على اعتبار أن نهى الأئمة عن العمل بالقياس إنما هو بسبب عدم الحاجة إليه. فإذا احتاج الناس إليه ولو فى مسألة واحدة فلا مانع من العمل به [١٣] . وقد صرّح بذلك فى كتابه تأملات فى آفاق الأمام الكاظم عليه السلام، كما سنرى.. مع أن ما ورد عن أئمة أهل البيت من النهى الصحيح والصريح عن القياس لا مجال للنقاش فيه، وهو معروف من مذهب الشيعة الأمامية.. ونختار بعض ما كتبه ذلك البعض حول موضوع القياس، فهو يقول": جاء فى الحديث عن الأمام موسى الكاظم (ع) ما رواه المفيد بسنده عن الحسن بن فضال عن أبى الفراء عن سماعة عن العبد الصالح: سألته فقلت: إن أناسا من أصحابنا

قد لقوا أباك وجدّك وسمعوا منهما الحديث فربما كان شيء يبتلى به بعض أصحابنا وليس عندهم فى ذلك شيء يفتيه، وعندهم ما يشبهه، يسعهم أن يأخذوا بالقياس؟ فقال:لا، إنما هلك من كان قبلكم بالقياس، فقلت له: لم لا يقبل ذلك؟ فقال: لأنه ليس من شيء إلّا جاء فى الكتاب والسنة. إن هذا الحديث يوحى بأن رفض القياس كان بسبب عدم الحاجة إليه لشمولية الكتاب والسنة لكل ما يحتاجه الناس من الأحكام الشرعية فى شؤون الحياة العامة والخاصة بحيث يمكنهم أن يجدوا فيها المعالجة الخاصة للقضايا الجزئية، والمعالجة العامّة للقواعد الكليّة المنفتحة على أكثر من موقع.. فيكون الرجوع إلى القياس رجوعا إلى ما لا ضرورة له، بالإضافة إلى أنه لا يملك أساسا للحجيّة لأنه يعتمد على الظن الذى لا يغنى من الحق شيئا، لاسيما أن علل التشريع قد لا تكون واضحة وضوحا كليا بالمستوى الذى يستطيع الإنسان أن يدرك معه أساس التشريع فى هذا المورد بشكل قطعى ليستنتج من ذلك حكم المورد الآخر الذى يشابهه، فقد يدرك الإنسان جانبا من المدرك ويغفل عن الكلية التى تزن الأمور بميزان دقيق، حيث يختلف فى الموضوع حسب الإنطباعات الذاتية فى فهمهم لأسرار الحكم والموضوع معا. "إلى أن قال": وقد ورد فى بعض الروايات أن الأمام موسى الكاظم سأل أبا يوسف عندما سأله عن الفرق بين التظليل للمحرم فى الركوب وفى النزول، فقال له ما تقول فى الطامث أتقضى الصلاة؟ قال: لا، قال: فتقضى الصوم؟ قال: نعم. قال: ولم؟ قال: هكذا جاء. فقال أبو الحسن: وهكذا جاء هذا. وهذا الذى أراد أهل البيت أن يؤكدوه، وهو أن دين الله لا يصاب بالعقول، لأن العقول تدرك بعض الأمور ولكنها قد تغفل عن إدراك البعض الآخر مما يوحى بأن الحكم الشرعى لم يستكمل ملاكه بشكل دقيق وهذا ما نلاحظه فى اختلاف الحكم فى بعض الموارد المتشابهة فى أكثر من وجه كما فى الصلاة والصوم اللذين تجمعهما الناحية العبادية، ولكن حكمهما فى القضاء مختلف، وهكذا أمر الله فى كتابه بالطلاق وأكد فيه شاهدين ولم يرض بهما إلّا عدلين، وأمر فى كتابه بالتزويج وأهمله بلا شهود. وربما نستفيد من الحديث الأول الذى يؤكد عدم الحاجة إلى القياس لوفاء الكتاب والسنة بجميع الأحكام، أن الأمر لو لم يكن كذلك بحيث كانت هناك حاجة ملحة إلى معرفة الحكم الشرعى لبعض الأمور ولم يكن لدينا طريق إلى معرفته من الكتاب أو السنة، فإن من الممكن أن نلجأ إلى القياس أو نحوه من الطرق الظنية فى حال الانسداد انطلاقا من أن الإعتماد على الطرق الظنية العقلائية أو الشرعية كان مرتكزا على الحاجة إليها لإدارة الشؤون العامة للناس بحيث لولاها لاختل نظام حياتهم لأن العلم وحده لا يكفى فى ذلك، ولكننا قد لا نحتاج إلى ذلك لأن فى القواعد العامة كفاية، ولأن فى توسعة الإستظهار بإلغاء الخصوصية التى تجمد الحكم فى مورد خاص من جهة الفهم العرفى الذى لا يجد للخصوصية أساسا فى الحكم ونحو ذلك [١٤] . ويقول أيضاً": إننا نتصور أنه لا بد لنا من أن ندرس هذه الأمور دراسة أكثر دقّة وأكثر حركية باعتبار أننا نستطيع فى حال استنطاق الحكم الشرعى الوارد فى هذا المورد نستطيع أن نصل إلى اطمئنان فى كثير من الحالات من خلال دراستنا لعمق الموضوع الذى نحيط به من جميع جهاته مقارنا بموضوع آخر مشابه له فى جميع الحالات مما يجعل احتمال اختلافهما فى الحكم احتمالا ضعيفا بحيث لا تكون المسألة ظنية بالمعنى المصطلح عليه للظن، بل قد تكون المسألة تقترب من الإطمئنان إن لم تكن اطمئنانا، إن المشكلة هى أن الدراسة الأصولية والفقهية تؤطر ذهنية الإنسان فى هذه الدائرة الضيقة. ومن هنا ينشأ الإنسان وفى قلبه وحشة من أن يمد الحكم الثابت لموضع إلى أمثاله، لأن ما أسميه لغة القياس التى تألفها الذهنية الشيعية تجعل كل شيء قياسا عندهم حتى ولو كان الإحتمال احتمالا بعيدا جدّا، لأنهم إذا لم يستطيعوا أن يشيروا إلى خصوصية الإحتمال فى مضمونه، فإنهم يطلقون الإحتمال فى المطلق ويقولون إن الله اعلم بالخصوصيات ونحن لا طريق لنا إلى معرفتها بحيث يغلقون الباب على أى استيحاء واستلهام للملاك الشرعى. حتى إننا نجد بعض الأصوليين عندما يتحدثون عن مورد من الموارد التى كانت متعلقة بالأمر الذى يكشف عن وجود ملاك ملزم فى الموضوع، فإننا نراهم أنهم إذا حدث هناك أى عنوان يسقط الأمر؛ إمّا من جهة عدم القدرة أو من أى جانب من الجوانب أو من جهة التزاحم بأمر آخر أهم مثلا، بحيث يصبح الموضوع من دون أمر، فإنهم يقولون إنه لا يمكننا أن نتقرب، إذا كان المورد مما يتقرب به إلى الله بالملاك عينه لأننا لا نحرز وجود الملاك إلا من خلال الأمر، فإذا سقط الأمر ولو من خلال أشياء أخرى طارئة خارجية عن ذات الموضوع فإننا لا نحرز الملاك، ولذلك فنحن

لا نستطيع أن نعتبر هذا الموضوع واجدا للملاك الشرعى بحيث نرتب عليه آثار أى موضوع وارد من ملاكه، فيما هى من آثار الملاك. ما نتصوره أن علينا أن نعيد دراسة الأحاديث التى وردت فى رفض القياس عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، لأن الواضح أن بعض القضايا التى رفض فيها نقل الحكم من موضوع إلى موضوع آخر كانت منطلقة من أن السائل اعتقد الملاك فى جانب مقاس بينما كان الملاك شيئا آخر لا يسمح بهذا القياس، لأنه لا يحقق عناصر القياس كما نلاحظ فى رواية أبان بن تغلب عن أبى عبد الله الصادق (ع ") قال: قلت له: ما تقول فى رجل قطع اصبعا من أصابع المرأة؟ قلت: كم فيها؟ قال: عشر من الإبل. قلت: قطع اثنتين. قال: عشرون. قلت: قطع ثلاثا. قال: ثلاثون. قلت: قطع أربعا. قال: عشرون. قلت: سبحان الله، يقطع ثلاثا فيكون عليه ثلاثون، ويقطع أربعا فيكون عليه عشرون!؟... إن هذا كان يبلغنا ونحن بالعراق فنبرأ ممن قاله، ونقول: الذى جاء به شيطان!؟ فقال: مهلا يا أبان! هذا حكم رسول الله (ص) إن المرأة تعاقل الرجل إلى ثلث الدية، فإذا بلغت الثلث رجعت إلى النصف. يا أبان إنك أخذتنى بالقياس. والسنّة إذا قيست محق الدين". "إذا تنطلق المسألة من جانب آخر، لا من جانب العدد بالمقام، وإنما من جانب طبيعة مشاركة المرأة فى العقل الديتى (أى الدية) التى تتحملها العاقلة، فالقضية لها جانب آخر هو تصور الملاك فى جانب ولكن هناك ملاك آخر فى جانب آخر، ربما نجد بعض الحالات التى لا مجال فيها حتى للقياس، كما فى قضية قضاء الصوم بالنسبة إلى ذات العادة وعدم قضاء الصلاة وهكذا.. إننى أتصور أن ثمّة مسلّمات درج عليها الأصوليون والفقهاء فى الحكم الشامل بالنسبة إلى القياس. ويمكننا أن نعيد النظر فيها، فلعلنا نكتشف شيئا جديداً. وفى هذا الإطار، لا بد من الإلفات إلى أحد محفزات العمل بالقياس عند بعض المذاهب، وهو انطلاقه من ضرورة معرفة الأحكام مع قلة الأحاديث الصحيحة، فلجأ هذا البعض إلى القياس لملء الفراغ كما حصل مع الأمام أبى حنيفة الذى كان أول من نظّر للقياس وعمل به، إذ لم يصح عنده من أحاديث النبى (ص) إلّا ثمانية عشر حديثا حسب ما أذكر. بمعنى أنه لا يملك أى مصدر لاستنباط الحكم الشرعى، وهذا ما نعبر عنه بانسداد باب العلم والعلمى، ومن الطبيعى أنه إذا انسد باب العلم بالأحكام أو باب الحجج الخاصة، أى ما يعبر عنه بالعلمى، فإننا لا بد أن نرجع إلى حجية الظن على بعض المبانى، كمبنى الكاشفية، بمعنى أن العقل يحكم بذلك عند فقدان كل الوسائل لمعرفة الحكم الشرعى مع وجود علم إجمالى بوجود حكم شرعى لم يسقط. وإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يجعل الله حجة ويكون الظن حجة، وعند ذلك يكون القياس أقرب الحجج من هذا الموضوع. ومن خلال هذا نفهم أن مسألة رفض القياس لدى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) قد يكون منطلقا من أن هناك أحاديث فى السنة الشريفة واردة بشكل واسع جدا لا يحتاج فيه إلى القياس لأن باب العلم مفتوح من جميع الجهات مثلا، سواء أكان من خلال القواعد العامة أم من خلال النصوص الخاصة ["١٥] . ونعتقد أن فساد القياس فى مذهب أهل البيت أشهر من أن يحتاج إلى بيان أو إقامه برهان.. سيرة العقلاء تشرع للإنسان المسلم أحكامه. بناء العقلاء يشرع للمسلم أحكامه. ويقول البعض": لا نتحدث عن منهج جديد، فالمنهج هو المنهج، وهو الإنطلاق من كتاب الله، وسنة نبيه (ص)، وما استوحى الفقهاء والأصوليون منهما فى عملية تقعيد الفقه أو ما انفتح فيه الفقهاء على بناء العقلاء وسيرة العقلاء، باعتبارهما المصدرين اللذين لا يشرعان للمسلم أحكامه فحسب، ولكنهما قد يطلان على جانب من جوانب السنة التى هى قول المعصوم وفعله وتقريره ["١٦] .

وقفة قصيرة

ونقول: ظاهر العبارة: أن بناء العقلاء وسيرتهم لهما مهمتان: الأولى، أنهما يشرعان للمسلم أحكامه، والثانية: أنهما قد يطلان على قول المعصوم وفعله وتقريره. فهو إذن يرى لبناء ولسيرة العقلاء حق التشريع، استقلالا، تارة، وبإمضاء المعصوم أخرى بقرينة قوله الأخير: قد يطلان على جانب.. الخ. ولكننا نلاحظ: إنه قد أسهب فى باقى كلامه الذى لم ننقله فى الحديث عن الشق الثانى، وربّما أمكنه بذلك أن يدّعى أن هذه كانت زلة لسان، لا تعبيرا صادقا عمّا فى الجنان؟! ربط الناس بالعقل أغنى عن النبوّة. ويقول البعض فى جواب على سؤال: لماذا تتغير النبوّات، ولماذا اختتمت بالإسلام بالمعنى المصطلح؟ الجواب": انطلقت النبوات من خلال حاجات الناس إلى

خطوطها ومفرداتها العامّـة، ثمّ تطورت حاجات الناس فانطلقت نبوّات جديـدة حتى كان الإسـلام الذى ربط الناس بالعقل، وبالخطوط العامّـة ليستطيعوا من خلالـه أن يطوّروا حيـاتهم بحيث لا حاجـة بعـد ذلك إلى نبوّة جديـدة ["١٧] . النصوص المتوافقـة مع ذهنيـات المجتمعات القديمة هى سبب الخطأ. ونجده يصف النصوص الإسلامية التى كان الفقهاء يتحركون فى دائرتها بأنها متوافقة مع الذهنية الإجتماعية التى كانت سائدة فى العصور السابقة ويعتبر ذلك هو السبب فى عدم كون المعرفة على هذه الدرجة من الصحة، فهو يقول معللا سبب حصول المعرفة الأصح بالنسـبة للنظرة الإسلامية حول المرأة": ربما يعود ذلك إلى الآفاق الجديدة التى فتحت فى العالم، الأمر الـذى جعـل العلمـاء يفكرون فى الجـانب الآـخر من الصورة، وقـد كـانوا مسـتغرقين فى الجـانب الوحيـد الـذى عاشوه فى دائرة مجتمعهم وفى دائرة النصوص المتوافقـة مع الذهنية الإجتماعية السائدة ["١٨] . الحكم الشـرعى يتغير تبعاً لتغير الاجتهاد. يقول البعض: .. "إنه يعنى الرأى المستمدّ من القواعد الشرعية فى فهم النصوص الدينية فى الكتاب والسنة.. فيما يفهمه المجتهد منها وفيما يستوحيه ممـا ينسـجم مع أجواء النص وإيحـاءاته فلا يمكن له أن يعطى رأياً فى مقابل النص، أو يضع حكماً لم يرد به نص، ولم تفرضه قاعـدة فقهيـة مسـتمدة من الكتاب والسـنة.. حتى العقل الـذى اعتبره بعض المجتهـدين دليلاً من أدلة الأحكام.. لا بد له أن يتحرك فى نطاق الأفكار القطعية التى لايقترب إليها الشك فيما يستفيده من ملاكات الأحكام.. فلا مكان للحكم العقلى الظنى فى ذلك من قريب ومن بعيد.. إن الاجتهاد الإسـلامى.. هو اجتهاد فى فهم الإسـلام.. وليس اجتهاداً ذاتياً يسـتمد أفكاره من حركة الواقع.. ولا مانع من أن يتغير الحكم الشـرعى تبعـاً لتغيّر الإجتهـاد.. ولكن تغير الاجتهـاد لاـ يخضع للتغييرات الحاصلة من الخـارج بـل من خلالـ اكتشاف خطأ فى الإجتهاد السابق.. على أساس خلل فى فهم النص أو تطبيقه.. أو فى قاعدة شـرعية هنا.. ربما لا يكون لها مجال فى هذا المورد أو ذاك لأن قاعـدة شـرعية أخرى.. هى الأولى فى هـذا الموضع.. أو ذاك.. وعلى ضوء ذلك.. يبقى الإجتهاد متحركاً، فى نطاق حـدود علمية معينة تحفظه عن الإنحراف وتصونه عن الزلل.. وتحركه فى اتجاه الاكتشاف الأمين للحكم الشرعى الذى أنزله الله فى كتابه، أو أوحى به إلى نبيه.. فلا مجال لتطوير الإسلام من خلال الإجتهاد.. بل كل ما هناك.. أن نجتهد فى دراسة مدى انسجام خطوات تطور الإسلام فى التشـريع، أو ابتعادها عنه.. لنحـدد موقفنا من ذلك على هـذا الأساس.. لأن حكم الله هو القاعـدة للحياة، وليست القضـية بالعكس" [١٩].

وقفة قصيرة

إن نظريـة التصويب فى الإجتهاد التى يقول بها جمهور علماء السـنة مرفوضـة عنـد الشـيعة، ويرونها نظرية باطلة من الأساس. والمُراجع لكلمات القائلين بالتصويب الباطل يجـدهم فريقين: أحدهما: يقول: إنه ليس فى الواقعة حكم أصـلاً، بل الله ينشـئ الحكم وفق اجتهاد المجتهد وظنه، فيتعدّد الحق بتعدد المجتهدين. الثانى: يرى: أن كل مجتهد مصـيب، وإن كان الحق مع واحد، وهو الذى وافق اجتهاده الحكم الواقعى الذى جعله الله، فلله سبحانه وتعالى حكم واقعى، لكن إذا أدى ظن المجتهد إلى حكم مخالف له فإن الله سبحانه تعالى ينشـئ حكماً على وفق ظنه واجتهاده، فيصير المجتهد بذلك مصيباً، وإن كان قد أخطأ الحكم الواقعى. ومن تصريحاتهم الدالة على ما يذهبون إليه من التصويب: ١ ـ قول الشهاب الهيثمى فى شرح الهمزية على قول البوصيرى عن الصحابة: (كلهم فى أحكامه ذوو اجتهاد ـ أى صواب ـ وكلهم أكفـاء). ٢ ـ وعن العنبرى فى أشـهر الروايتين عنه: (إنما أصوب كل مجتهـد فى الـذين يجمعهم الله، وأما الكفرة فلا يصوبون) [٢٠] . ٣ ـ وقال الشوكانى: (ذهب جمع جمّ إلى أن كل قول من أقوال المجتهدين فيها، (أى فى المسائل الشرعية التى لا قـاطع فيهـا) حق، وأن كـل واحـد منهم مصـيب، وحكـاه المـاوردى والرويـانى عن الأـكثرين، قـال المـاوردى: (وهو قول أبى الحسـن الأشـعرى والمعتزلـة). إلى أن قال: (وقال جماعـة منهم أبو يوسف: إن كل مجتهد مصـيب، وإن كان الحق مع واحد، وقد حكى بعض أصـحاب الشافعى عن الشافعى مثله). إلى أن قال: (فمن قال: كل مجتهـد يصـيب، وجعل الحق متعـددا بتعـدد المجتهـدين فقـد أخطأ) [٢١] . ۴ ـ وقـال حول حجيـة الإجمـاع: (فغايـة مـا يلزم من ذلك أن يكون ما أجمعوا عليه حقاً، ولا يلزم من كون الشـىء حقاً وجوب

اتباعه؛ كما قالوا: إن كل مجتهد مصيب، ولا يجب على المجتهد الآخر اتباعه فى ذلك الاجتهاد بخصوصه) [٢٢] . ٥ ـ وقال الأسنوى حول الإجتهاد فى الواقعة التى لا ـ نص عليها: فيها قولان: أحدهما: أنه ليس لله تعالى فيها قبل الاجتهاد حكم معين بل حكم الله تعالى فيها تابع لظن المجتهد. وهؤلاء القائلون بأن كل مجتهد مصيب، وهم الأشعرى، والقاضى وجمهور المتكلمين الأشاعرة والمعتزلة الخ..) [٢٣] . ونقل عن الأئمة الأربعة ـ ومنهم الشافعى ـ التخطئة والتصويب فراجع [٢٤] . وحين يقول هذا البعض: لا مانع من أن يتغير الحكم الشرعى تبعاً لتغيُّر الاجتهاد، مع تصريحه بوجود حكم واقعى أخطأه من أخطأه وأصابه من أصابه فإن كلامه يحتمل أمرين: أحدهما: أن يكون قد قال بمقولة الفريق الثانى من المصوِّبة، من غير الأمامية. وهى أن كل مجتهد مصيب لكن الحق مع واحد. الثانى: أن يكون مراده من الحكم الشرعى الذى يتبدل بتبدل الاجتهاد هو الحكم الشرعى الظاهرى كما تقول به الأمامية، لكن إطلاق عبارته، وما عرفناه عنه من جنوحه إلى الأخذ بآراء غير الأمامية، مثل عمله بالقياس، وبأخبار العامة، وبالاستحسان، وبالمصالح المرسلة وغير ذلك من مناهج غير الشيعة الأمامية، كما اتضح فى هذا القسم ـ نعم ـ إن ذلك كله ـ يجعلنا غير قادرين على تأويل كلامه بما يوافق ما عليه الشيعة الأمامية، أو فريق منهم، لأن كلام أى شخص إنما يلتمس له التأويل، أو يحمل على خصوص أحد المعانى حينما يكون قد عرف عن ذلك الشخص أنه يلتزم نهج أسلافه فى آرائه، وفى مناهجه ومقولاته، حيث يكون ذلك قرينة عقلية ومنطقية على إرادته هذا المعنى بخصوصه، أما حين يظهر فى موارد كثيرة ومتنوعة فى مجالاتها وخصوصياتها جنوحه إلى مقولات الآخرين، فان هذا يصلح لأن يكون قرينة على تحديد المعنى المراد من كلامه هذا، وهو الأمر الذى دعانا إلى أن نضع بين يدى القارئ الكريم هذا النص الذى يومئ إلى مقولة التصويب، ويظن انطباقه عليها. كل التراث الفقهى والكلامى والفلسفى فكر بشرى. قد تقدّم أن البعض يعتبر: أن كل ما جاءنا من تراث فقهى، وكلامى، وفلسفى، وكل الفكر الإسلامى ـ باستثناء البديهيات ـ هو فكر بشرى وليس فكرا إلهيّا على حدّ تعبيره.. [٢٥] . فإذا كانت النظرة هى هذه، فإن من الطبيعى أن يكون التعامل فى مجال الإستدلال الفقهى منسجما مع هذه النظرة، وأن تصبح أدوات الإستنباط والإستنتاج تحمل معالم هذا التوجه، وسمات هذا الفهم للقضية برمّتها. لا توجد حقيقة فقهية مطلقة. لا توجد حقيقة كلامية مطلقة. كل جهد بشرى هو نسبى. يقول البعض.. ": بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، الذى نعتبر أن فهمه للدين ليس بشرياً. وفى ظل غياب المعصوم أيضاً فنحن نعتقد: أن الاجتهاد فى الدين سواء فى فهم النص، أو فى استيحائه، أو فى تقييد القاعدة هو أمر ممكن للمتأخرين أن يناقشوا القدماء فيه، كما كان القدماء يناقشون بعضهم بعضاً. ليس هناك حقيقة فقهية مطلقة. وليس هناك حقيقة كلامية مطلقة. فكل جهد بشرى هو نسبى فى النهاية."

وقفة قصيرة

ونسجل هنا ما يلى: ١ ـ إن كلام هذا البعض معناه: أن ثمة مجالاً للتغيير والتبديل فى الاعتقادات.. فنعتقد مثلاً: أن الله تعالى فى جهة، وأن له مكاناً مثلاً.. وبالأمكان الاستغناء عن كثير من العقائد، فتقل مفرداتها يوماً، وتزيد فى يوم آخر، حسب تكثر الآراء والاجتهادات. وربما ينجر هذا الأمر إلى الأمامة فيكون الأئمة خمسة عشر أو تسعة، بدلاً من اثنى عشر.. ويمكن أن يكون الأمام معصوماً اليوم، فاقداً للعصمة غداً.. وما إلى ذلك. فإن ذلك كله وسواه من مفردات علم الكلام ليس حقيقة مطلقة.. وإنما هو من الأمور النسبية التى تختلف وتتفاوت حسب الاجتهادات فى العصور المختلفة، من مجتهد لآخر.. وكل ذلك داخل فى مفردات الحقيقة التى هى نسبية عنده. وهذا أمر فى غاية الخطورة على الدين، وعلى العقيدة.. ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك. ٢ ـ وكذلك الحال بالنسبة لمقولته الأخرى حول: أنه ليس هناك حقيقة فقهية مطلقة. فهل يمكن أن يأتى يوم تصير فيه صلاة الصبح ركعة واحدة، وصلاة الظهر ركعتين، أو نصلى فيه يوم الجمعة فقط وتسقط الصلاة فى سائر الأيام؟ أو يحل فيه اللواط والسحاق؛ باعتبارهما مثل استمناء الرجل والمرأة على حد تعبير هذا البعض؟! أو يحل فيه شرب الخمر، إذا لم يصل إلى حد الإسكار، أو يحل فيه مصافحة الرجل للمرأة حيث لا تكون هناك ريبة؟! وغير ذلك.. ٣ ـ وهل يمكن أن يأتى يوم تسقط فيه القواعد والأصول عن الصلاحية، فنستبدل فيه قاعدة

بقاعدة، ونعتمد على القياس، وعلى الاستحسان، وعلى الرأى؟! إن ذلك ليس ببعيد، فها نحن نرى هذا الأمر يظهر بكل وضوح فى كتب وتصريحات هذا البعض. بل أصبحنا نشاهد آثاره فى مختلف ما يصدّره من آراء، توصف بأنها فتاوى!!. ۴ ـ ما معنى إطلاق التعميم بأن كل جهد بشرى هو نسبى فى النهاية. فهل إذا قام البشر بعَدِّ أوراق كتاب (وهى مائة) يكون ذلك نسبياً بحيث تكون مائة عند شخص وتسعين عند آخر، باعتبار أن عدّها جهد بشرى؟!. وهل يصح أن يقال: إن القول بوحدة الخالق أمر نسبى، فقد يقول مجتهد إنه واحد، ويقول الآخر: إنه أكثر من واحد؟! وحيث يبذل جهد لإثبات نبوة النبى، فهل تكون هذه النبوة نسبية، وكيف؟! وهل استنباط حرمة الكذب وكذلك حرمة الزنا يجعل هذه الحرمة نسبية؟! وكيف؟! وكذلك الحال بالنسبة لاستنباط حرمة الخيانة.. وحرمة الظلم، وحرمة المخدرات؟! وما إلى ذلك.. المشكلة أن الكثير من الفقهاء يقولون: لا دليل يدلنا على مقاصد الشريعة. المسألة ترتبط بالمصداق الذى يحقق المفهوم، والثبوت. ربما أضعنا بسبب ذلك الكثير من مقاصد الشريعة فى كثير من الفتاوى.. ضياع المقاصد هى فتاوى يكون الحكم الشرعى فيها جسداً بلا روح. حفظ المقاصد يحتاج إلى دقة فى الاجتهاد. سئل البعض: ما المقصود بمقاصد الشريعة، وهل إغفالها كشرط للإجتهاد أدى إلى ما يسمى بالحيل الشرعية؟! وهل هى أساساً شرط للاجتهاد؟. فأجاب": المقاصد (كذا) الشريعة تمثل منطلقات الشرع فى أحكامه، أو ما يسمى بعلل التشريع أو ملاكاته. وهو ما يريد الله سبحانه وتعالى للإنسان أن يحققه من أهداف فى حياته، من خلال التزامه بهذا الحكم الشرعى أو ذاك. كما نلاحظ مثلاً ـ أن الله تبارك وتعالى يحدثنا عن الصلاة بقوله: (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) (العنكبوت/۴۵) فالنهى عن الفحشاء والمنكر هو من مقاصد تشريع الصلاة، ولذا ورد فى الحديث الشريف: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً. كما أن مقصد الصوم هو التقوى: (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) (البقرة/۱۸۳). وهكذا، فمقاصد الشريعة هى الأهداف التى تستهدفها الشريعة، من خلال التشريع. ولكن المشكلة فى البحث الفقهى الاجتهادى هى أن الكثير من الفقهاء يقولون بأنه ليست عندنا أدلة حاسمة قاطعة تدلنا على مقاصد الشريعة بشكل صريح، على نحو يمكننا من تحديد علاقة المقاصد بالتشريع كعلاقة العلة بالمعلول، ولكننا نظن ذلك (وإن الظن لا ـ يغنى من الحق شيئاً) (النجم/۲۸). ولذلك فعلينا أن نأخذ بالشريعة حتى لو لم تحقق ما نظن أنه المقاصد؛ لأن ما نظن أنه كذلك قد لا يكون هو المقصد الحقيقى. وهذا يعنى أن المسألة ترتبط بالمصداق التى يحقق المفهوم والثبوت، فلا طريق لنا إلى إثبات مقاصد الشريعة على أنها بمثابة العلل والأسباب للشريعة. وهذه هى المشكلة فى هذا المجال. ولذلك ربما أضعنا الكثير من مقاصد الشريعة فى كثير من الفتاوى التى يشعر الإنسان معها بأن الحكم الشرعى يمثل جسداً بلا روح. ومن الطبيعى أن هذه الأمور تحتاج إلى دقة فى الاجتهاد ["..۲۶] .

وقفة قصيرة

ونقول: إن لنا على كلامه العديد من الملاحظات: ١ ـ إننا نجد فى كلام هذا البعض ما يلى: ألف: إنه قد اعتبر قول الكثير من الفقهاء، بأن لا ـ دليل يدلنا على مقاصد الشريعة بشكل صريح، بحيث تكون تلك المقاصد هى علة التشريع ـ اعتبره ـ هو المشكلة التى يواجهها.. ب: إنه يقول": إن هذه المشكلة هى السبب ربما فى إضاعة الكثير من مقاصد الشريعة، فى كثير من الفتاوى "..ج: إن الفتاوى التى ضيّعت فيها مقاصد الشريعة يشعر الإنسان فيها أن الحكم الشرعى يمثل جسداً بلا روح. د: إن هذه الأمور، تحتاج إلى دقّة فى الاجتهاد. ٢ ـ إن الأحاديث الذى ذكرت بعض العلل للأحكام، على نحوين: أحدهما: ما ثبت أنه علة للحكم بصورة قطعية، استناداً إلى تصريح المعصوم بذلك.. أو لأن العلة قد جعلت عنواناً لموضوع الحكم أحياناً.. كالإسكار الذى هو علة لتحريم الخمر. فإن قوله عليه السلام: كل مسكر حرام، يظهر بجلاء أن الإسكار الذى علل به تحريم الخمر علة حقيقية لهذا التحريم، ولذلك دار حكم التحريم مدارها وجوداً وعدماً، حيث جعل المسكر موضوعاً للحكم بالحرمة، وذلك ظاهر. الثانى: ما جاء على سبيل بيان فائدة مهمة من فوائد التشريع، التى يريد الشارع صونها وحفظها، فظهر فى لسان الدليل بصورة التعليل للحكم، وإن لم يكن علة تامة للتشريع وذلك مثل

عـدم اختلاط المياه فى ما يرتبط بالعـدّة، فليس ذلك هو علـة للتشـريع، وإنما هو من حكمه وفوائده المهمة، ولذلك تجب العدّة حتى فى صورة استئصال الرحم، أو فى صورة الوطء فى الدبر.. وكما أن الشارع قد استعمل أسلوب التعليل فى كلا الموردين ليظهر أهمية تلـك الفوائـد عنـده واهتمـامه بحفظهـا وصونها، لم يمكن الإطمئنان فى مقام الاسـتظهار والاسـتدلال إلى أن ما يـذكر فى صورة بيان السبب ـ هل هو علـة حقيقيـة؟ أم هو من لوازم العلـة، ومن الفوائـد المهمـة التى يريـد الشارع أن يحفظها ويصونها؟!. ٣ ـ وقـد أدرك الفقهـاء، من خلال ذلك: أنه حين يكون المقصود هو إعطاء الضابطـة، وبيان علل التشـريع الواقعيـة التى يـدور الحكم مـدارها وجوداً وعـدماً، فإن الشارع ملتزم بإزاحـة العلـة فى بيان مقاصـده، ولن يترك الأمر بدون اسـتقصاء البيان الكافى والشافى. وقد ظهر من خلال ممارسـة الأدلـة أن ما أراد الشارع بيان علله الواقعيـة قليل جـداً، بل هو أقل القليل.. ۴ ـ إن الصـلاة وإن كانت قد شـرّعت من أجل أن تنهى عن الفحشاء، والمنكر.. وقـد اعتبر البعض هـذا النهى لها من مقاصـد الشـريعة. ولكن من الواضح أن ذلك ليس هو علةً التشـريع بحيث يـدور مـدارها وجوداً وعـدماً.. ولأجـل ذلك لا يحكمون ببطلان صـلاة لم تنهَ صاحبها عن الفحشاء والمنكر.. ولا يوجبون عليه إعادتهـا ولاـ قضاءهـا. وكـذلك الصوم، فإنهم لا يحكمون ببطلانه إن لم يحقق التقوى ولا يوجبون إعادته ولا قضاءه.. ويلاحظ هنا ما فى التعبير بكلمة (لعلّ) فى قوله تعالى: (لعلكم تتّقون) حيث دل على رجاء حصول ذلك.. مما يشير إلى أن ذلك هو فائدة متوخّاة من التشريع، وإن لم تكن هى تمام عناصر علته.. ومهما يكن من أمر، فقد قلنا: إنه لو كانت هذه الفائدة وتلك من المقاصد هى تلك التى تمنح مراعاتها توسـعاً فى الفتوى أو تقييداً فى الأحكام.. لوجب أن يكون لها تأثير فى البطلان والصـحة، أو فى الإعادة والقضاء، أو فى تحمـل أعبـاء معينـة من أى نوع فرضت.. مع أن الأمـر ليس كـذلك، ممـا يـدل على أنهـا ليست من المقاصـد الـتى توجب توسـعاً فى الفتوى، أو تقييداً فى الأحكام. ۵ ـ وبعد.. فإن هناك مقاصد ـ كما فى التقوى فى الصوم، ونهى الصـلاة عن الفحشاء والمنكر ـ تهدف إلى سوق الإنسان نحو مراتب ومقامات فى الكمال قـد تتجاوز ما يسـعى إليه الكثيرون من الناس الذين رضوا بأن يخرجوا أنفسـهم من منطقـة الخطر، ولا يريدون أكثر من ذلك.. ۶ ـ وأخيراً.. نقول: ربما يؤدى ما يسـعى إليه البعض من فتـح باب الأخذ بمقاصد الشـريعة، واعتبارهـا من آليات التشـريع.. إلى الوقوع فى فـخ خطير، وذلك بسـبب شـيوع العمل بالإسـتحسان، وبالرأى، وبغير ذلك من ظنون لا قيمـة لهـا فى الشـرع الحنيف. ويكون الغطـاء لـذلك هو ادعـاء إدراك مقاصـد الشـريعة، والعمـل على نيلها، وسوق الناس إليها.. ولن يجـدى نفعـاً إطلاـق شـعارات برّاقـة ورنانـة، بأن هـذه الأمور تحتاج إلى دقـة فى الاجتهاد، أو ما إلى ذلك. كما لا يفيـد التباكى على مقاصد الشـريعة، حين تصـبح الفتاوى فاقدة لها.. ولن يجدى أيضاً وصف الحكم الشرعى بأنه يمثل جسداً بلا روح. إن التربية الروحية هى التى تهيئ الإنسـان الـذى يتصـدى لامتثال الحكم الشـرعى لأن ينفـخ فيه الروح من خلال إقباله على الله فيه.. وليس بإعطاء الحرية للناس من خلال شـعار حفظ مقاصد للشـريعة ليعبثوا بالشريعة حسب آرائهم واستحساناتهم. ما أخذ من القرآن والسنة والقياس شريعة. اجتهاد الرأى شـريعة. الاسـتحسان شريعة. المصالح المرسلة شريعة. سدّ الذرائع شريعة. يقول البعض": الشريعة هى: كل حكم أخذ من القرآن الكريم، أو من أحـاديث النبى، أو أهل بيته صـلوات الله تعالى عليه وعليهم، أو ما ثبت عنـد المـذاهب الإسـلامية جواز الاعتماد عليه فى استنباط الأحكام من الأصول والقواعد الفقهية. ويصطلح عليه بالسنة، ويقابل ذلك مصطلح البدعة ["٢٧] .

وقفة قصيرة

١ ـ إن هـذا النص قـد أوضـح بمـا لا مجال معه للشك أن هـذا البعض مصـر على العمل بالقياس، وأضـرابه، كالاسـتحسان، والمصالح المرسلة.. وغير ذلك.. فإن هذه الأمور هى مما ثبت عند المذاهب الإسلامية جواز الاعتماد عليه فى استنباط الأحكام.. ٢ ـ إن الملاحظ هو: أن هـذا البعض، قد أثبت هذا النص فى الطبعة الأولى، ولكنه حذفه من الطبعة الثانية. ولم ينبه على خطأه فيه، مع تصـريحه بالتزامه بكل أفكاره منـذ الثمانينات.. أو أنها باقيـة على ما هى عليه لم تتغير ولم تتبدل. وأما سـبب حذفه لهذه العبارة، فلعله إحساسه بتداعيات هـذا التصـريح، من خلاـل ردّات الفعل التى لمسـها لـدى أهل العلم.. حيث اعتبروا ذلك من جملـة الأدلـة الدامغـة على سـعيه لاقتحام

المسلمات فى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وجرّ الناس إلى ما عليه أهل المذاهب الأخرى. ٣ ـ وظهر من ملاحظة جملة من مقولاته الكثيرة جداً، والتى تعدّ بالمئات والألوف: أنه حين قال: أسعى لاقتحام المسلمات، إنما كان يعنى بذلك مسلمات مذهب التشيع ـ مذهب أهل البيت (عليهم السلام).. دون سواها.. ٤ ـ إن هذا البعض مهما حاول أن يعتذر عن مقولته السابقة، وحتى حين حذفها من الطبعة الثانية.. فإنه قد أثبت من خلال تصريحاته الأخرى، كتصريحه الذى أورده فى كتاب تأملات فى آفاق الأمام الكاظم عليه السلام.. أنه ملتزم بهذا الأمر. لا يبغى له بدلا، ولا عنه حولاً. فحذفه للعبارة المذكورة من الطبعة الثانية، لا يدل على أن رأيه قد تبدل فى هذا الأمر، إذ إنه لم يصرح بذلك ولا أشار إلى خطأ هذه الفكرة. لا من قريب ولا من بعيد مما يشير إلى أن هذا الحذف كان مصلحياً لا عن قناعة بفساد رأى. ويدل على ذلك ما سنقوله تحت الرقم التالى. ٥ ـ إنه حين واجه الاعتراضات من هنا وهناك قد حاول التخلص من تبعات هذا التصريح، فأطلق تأويلاً عجيباً وغريباً لكلامه هذا.. حين ادعى": أنه لا يقصد فى كلامه هذا الشريعة الحقة، بل ما يطلق عليه أنه الشريعة.. وإن كان قد يقع الخطأ والصواب، كما هو الحال فى اجتهادات المجتهدين حين تختلف فيما بينها [".. ٢٨] . ومن الواضح: أنه توجيه لا يصح، لأمور عديدة: فأولاً: تقدم أن عمله ـ فى مجال الفقه يظهر أنه ملتزم بالقياس، وبغيره، وإن كان لا يسمى الأمور بأسمائها الحقيقية.. ثانياً: إنه حين يقدّم كتابه المشتمل على المسائل الفقهية لمقلّديه.. إنما يحدثهم عن أمور تعنيهم، وتفيدهم فى مجال عملهم.. ولا يتحدث لهم عما تقوله سائر المذاهب.. ولو فرضنا وجود مبرر لذكر قول مذهب ما، فإنه لا مبرر لاستخدام مصطلحات خاصة لا يخاطب بها إلا أهل الاستنباط. وليس دائماً أيضاً، وإنما فى خصوص حالات معينة تفرض التعميم لآراء سائر المذاهب.. ثالثاً: إن سياق كلام هذا البعض فى كتابه ذاك الذى ضمّنه هذا النص يتجه نحو الحديث عن الشريعة الحقة، التى يكون المكلف معذوراً فى اتباعها، والالتزام بالأحكام الشرعية الواردة فيها، والتى استنبطها مجتهدوها.. ويُفْرَضُ على مقلديهم ـ من خلال تعاليمها ـ الرجوع فيها إليهم، وأخذها منهم. وفى كلامه قرائن كثيرة على ذلك. فإن أول عبارة قالها فى ذلك الكتاب هى: "إن الشريعة المطهرة قد بينت أحكام أفعال المسلم، وجعلتها موزعة على خمسة أحكام، هى الواجب والحرام.. إلى أن قال: وهذا المبحث هو المتكفل بتحديد السبل التى بها يتعرف على ما كلفه الله تعالى به، وسنه له، وتفصيله كما يلى: الخ "..ثم بدأ بالحديث عن الشريعة، وعن الأحكام الخمسة.. فكلامه صريح فى أنه يتحدث عن الشريعة الحقة التى حاول أيضاً تحديد السبل إليها، ليتعرف المكلف على ما كلفه الله به وسنَّه له. ولا ـ يتحدث عن المذاهب التى يعتقد المكلّف ببطلانها.. ولا عن السبل التى تعتمدها تلك المذاهب.. ورابعاً: إن مصطلح الشريعة الحقة إنما يعنى ما يجب العمل به على المكلف ـ من خلال إلزام الشريعة به ـ حتى إذا أصاب الواقع فإنه يتنجّز فى حقه، وإذا أخطأه يكون معذوراً فيه، على أساس تعذير الشريعة نفسها له.. فالأمر بالنسبة إلى المكلف هو أن الشريعة قد ألزمته بالأخذ بقول المجتهد.. فقول المجتهد هو الشريعة العملية بالنسبة إليه، وهو حجة فى حقه..مع علمه بأن المجتهد قد يخطئ الحكم الواقعى الإلهى.. وأما المذاهب الأخرى فيراها من الباطل، ولا يصح مخاطبته بها، فى ذات الوقت التى يُدْعى فيها إلى التقليد..

الغاية تنظف الوسيلة و قاعدة التزاحم

اشاره

قاعدة التزاحم هى المصالح المرسلة عند السنة. وهو يعتبر قاعدة المصالح المرسلة التى يستند إليها أهل السنة فى اجتهاداتهم، هى نفس قاعدة التزاحم فى مدرسة أهل البيت (ع)! مع أن الفرق بينهما كالنار على المنار، وكالشمس فى رابعة النهار. فهو يقول": هناك قاعدة فى العلم الأصولى تسمى بقاعدة (التزاحم) فى المذهب الشيعى الأمامى، وتسمى بـ(المصالح المرسلة) فى مذهب المسلمين السنة [".٢٩] . ثم يضرب مثالا ـ لهذه القاعدة بالغريق الذى يتوقف إنقاذه على أن تكسر بابا، أو تهدم غرفة للغير [٣٠] . ولا ـ يفوتنا

التذكير بأن اعتماده لقاعدة (الغاية تبرر الوسيلة) قد كان مبتنيا عنده على قاعدة التزاحم أيضا. وقال وهو يتحدث عن ولاية الفقيه، وبعد أن قدّم آية الله العظمى السيد ابو القاسم الخوئى رحمه الله، كنموذج لمن يقول بولاية الفقيه الخاصّة، ثم يتصدّى لهذا الأمر حينما واجهته التطورات فى أيام ما عرف باسم (الإنتفاضة) فى العراق": ولذلك فالذين يقولون بالولاية الخاصّة عندما تجابههم التطورات، فانهم تلقائيا يقولون بالولاية العامة، ولكن بالعنوان الثانوى، أو المصالح المرسلة، أو ما شاكل. "..ولا نورد قوله هذا كشاهد على ما ذكرناه، ولكننا أحببنا: أن نسأل من أين عرف أنهم استندوا فى قولهم بالولاية العامّة إلى المصالح المرسلة؟ وهل يمكن له أن يذكر لنا موردا صرحوا فيه بذلك..؟! وهو مع ذلك كله يقول": إنه يلتزم بالمنهج الجواهرى فى الإستنباط ["٣١] . المحرم ما حرّمه القرآن والحلال ما أحله القرآن. يجب موافقة الحديث للقرآن فى حجم دلالته. وقيل له: ذكرتم أن المحرم هو ما حرم فى القرآن، وكذلك الحلال هو ما أحل فى القرآن.. فأجاب": ما ذكرت ذلك، قلت: هناك بعض العمومات التى تدل على حصر المحرمات فى مورد معين، وهناك أشياء واردة فى السنّة، فعلينا أن نكتشف القاعدة التى نستطيع فيها أن نوفق بين ما جاء فى القرآن وما جاء فى السنة" [٣٢] . فهل إذا لم يكتشف القاعدة سيرفض ما جاء فى السنّة؟!. ما من عام إلا وقد خص من موارد مسألة التزاحم. الغاية الكبرى تبرّر الوسيلة المحرّمة. الغاية تجمّد الوسيلة المحرمة. الأخلاق فى الإسلام لا تمثل قيمة إيجابية. الأخلاق فى الإسلام تمثل قيمة سلبية متغيرة تبعاً للعناوين الثانوية. وضع يوسف صواع الملك فى رحل أخيه يؤكد: إن الغاية تبرّر الوسيلة. إنما تبرّر الغاية الوسيلة لأنها تنظفها وتطهّرها. قاعدة الغاية تبرّر وتنظف وتطهّر الوسيلة ـ هى مسألة التزاحم. يقول البعض": إن القاعدة العقلية التى أقرها الفكر الإسلامى الفقهى، انطلاقاً من آيات الله وسنة رسوله، تفرض اختيار الجانب الأهم فى حسابات المصالح والمفاسد. إذا تعارض حكمان شرعيان يأمرنا أحدهما بشىء وينهانا الآخر عنه ولم يكن هناك مجال لامتثالهما معاً، لأن الحكم الشرعى ينطلق من المصلحة الأساسية للإنسان، من خلال ما ثبت لدينا من أن الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد فى متعلقاتها. فإذا رأينا المصلحة الأهم فى جانب، فمعنى ذلك أن الحكم الذى لا يصل الموقف فيه إلى هذا المستوى من الأهمية، يفقد معناه فى حدود ذلك، وتكون النتيجة تقييد فاعلية الحكم الشرعى وحركته فى غير هذا المجال. وهذا ما واجهناه فى الآيات السابقة التى تتحدث عن القتال فى المسجد الحرام فيما إذا قاتل المشركون المسلمين فيه، وفى هذه الآية التى تتحدث عن القتال فى الشهر الحرام فى صور مبرراته الإسلامية. فلو دار الأمر بين أن تهتك حرمة الشهر أو المكان، وبين أن تهتك حرمة الإسلام ويسقط صريعاً أو مهزوماً أمام ضربات الكفر، فإن من الممكن ان نتجاوز حرمة الشهر والمكان لمصلحة حرمة الإسلام العليا؛ بل قد يجب ذلك فى بعض المجالات، إذ وإن كانت حرمتهما جزءاً من التشريع الإسلامى، لكن لا يمكن أن تتقدم على سلامة الإسلام نفسه. وهذا ما يعبر عنه علماء الأصول، بحالة (التزاحم بين الحكمين). وقد نجد هذه القاعدة متمثلة فى أكثر من مسألةٍ فقهيةٍ فى نطاق المحرمات الشرعية، التى جاءت الرخصة فيها فى بعض مواردها، وقد تعددت نماذجها حتى أصبحت بمثابة (القاعدة الثانوية الاستثنائية)؛ حتى قال الأصوليون: (ما من عام إلا وقد خُصَّ)، مما يوحى بأن التخصيصات الواردة فى العموميّات القرآنية والنبوية تحولت إلى ظاهرة شرعية من خلال تزاحم المصالح العامة، والتى يعبّر عنها بالخاص فى دائرة الخصوصيات الحاكمة على العنوان العام. وهذا ما نراه فى الغيبة التى جاء الاستثناء فيها فى قوله تعالى: (لا يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ القَولِ إلا من ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً) (النساء/١٤٨) فجعل حالة الظلم استثناء من حرمة الغيبة التى جاء فيها قوله تعالى: (يا أيها الذين أمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن، إن بعض الظن إثم، ولا تجسّسُوا، ولا يغتب بعضكم بعضاً، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه؟! واتقوا الله إن الله تواب رحيم) (الحجرات/١٢) فأطلق للمظلوم الحرية فى أن يتحدث عن ظالمه بالسوء من أجل الضغط عليه لرفع ظلمه، باعتبار أن مصلحة رفع الظلم عن المظلوم أكبر من مفسدة الغيبة فى إظهار عيب الظالم؛ كما جاء الاستثناء فى مقام النصيحة للمؤمنين، لأن إغلاق باب النصيحة فى التحدث عن عيوب الإنسان الذى قد يقع الناس فى مشاكل كثيرة نتيجة كتمان عيوبه، أكثر من مشاكل الحديث السلبى عنه؛ وفى مقام تجاهر الإنسان بالفسق الذى تمثل الغيبة وسيلة من وسائل الضغط عليه، وإبعاد الناس عن التأثر به من أجل إصلاحه أو إنقاذ الناس من أضراره؛ وفى مقام تترّس الكفار فى الحرب بأسرى المسلمين، ليمنعوهم

من الهجوم عليهم، خوفاً من تأدية ذلك إلى قتل إخوانهم، وبذلك يفقد المسلمون فرصة النصر، فأجاز الإسلام قتل الأسرى المسلمين إذا توقف النصر أو الدفاع على ذلك؛ وهكذا نجد ذلك فى كثير من الموارد الشرعية. وهذا باب ينفتح على أكثر من قضية من قضايا الناس العامة والخاصة، التى قد تؤكد الفكرة القائلة بأن الغاية الكبرى تبرر الوسيلة المحرمة، بمعنى أنها تجمدها وتنظفها من خلال ارتباطها بسلامة الخط العام، فلا يتجمد الإنسان المسلم فى أخلاقياته إذا تحولت إلى خطر على حياته أو على مصير الإسلام والمسلمين، كما لو أريد له أن يتحدث، وهو فى سجن الكافرين والمستكبرين، عن أسرار المسلمين السياسية والأمنية والاقتصادية، التى يمثل إظهارها خطراً على السلامة العامة؛ فيجب عليه فى هذه الحالة، أن يكذب من أجل حماية القضية الكبرى؛ ويحرم عليه الصدق الذى يؤدى إلى السقوط الكبير، لأن الكذب يمثل القيمة السلبية الأخلاقية، كما يمثل الصدق القيمة الإيجابية الأخلاقية فى الخط العام. لا يجوز للإنسان أن يكذب باختياره، بل يجب عليه أن يأخذ بالصدق فى أحاديثه فى الحالة الطبيعية العامة، لكن الحالات الطارئة الضاغطة تفقد الكذب سلبيته ليكون قيمة إيجابية كما تفقد الصدق إيجابيته ليكون قيمة سلبية، لأن المسألة فى السلب والإيجاب لا تنطلق من الطبيعة الذاتية للصدق والكذب، بحيث يكون علة تامة للسلب هنا أو للإيجاب هناك، بل تنطلق من الحالة الاقتضائية المنفتحة على النتائج بشكل عام، ولكنها قد تصطدم ببعض الموانع التى تمنعها عن التأثير فى المقتضى بدرجة فعلية. وهذا ما يجعلنا نؤكد أن الأخلاق فى الإسلام لا تمثل قيمة إيجابية، بل تمثل قيمة سلبية قابلة للتغير فى حركتها فى الواقع الإنسانى، تبعاً للعناوين الثانوية الطارئة التى تختلف الأحكام الشرعية باختلافها. ولا بد فى هذه الحالة من التدقيق كثيراً فى المواقف والقضايا قبل الدخول فى عملية الموازنة بين الأحكام، لأن المسألة تحتاج إلى وعى عميق واسع فى فهم أسس الحكم الشرعى، وفى الواقع الذى يتحرك فيه، ولا يمكن إخضاعها للأفكار السريعة الانفعالية فى مواجهة الواقع فى ضغوطه العملية على حركة الإنسان فى الحياة [".٣٣] . ويقول البعض أيضاً، وهو يفسر وضع صواع الملك فى رحال إخوة يوسف (عليه السلام)، (ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون"). وفى تلك الحادثة يمكننا أن نستوحى فكرة أن الغاية تبرر الوسيلة، إذا كانت الغاية أعظم من ناحية الأهمية، لأنها بذلك تنظّف الوسيلة، وتطهّرها. وهكذا واجه فتيان يوسف إخوته باتهامهم بالسرقة، وفوجئ هؤلاء الشباب ["٣٤] . ثم يوجّه إلى هذا البعض سؤال يقول: ـ ما هو المراد من قولكم الغاية تنظّف الوسيلة؟ فأجاب": إنَّ الغاية تبرر الوسيلة مبدأ مرفوض من قبلنا؛ لأن الغاية الشخصية التى تبرّر هدم كرامة هذا وهتك حرمة ذاك غير جائزة إطلاقاً. ولكن عندما يكون الهدف كبيراً وله أهمية عند الله، كما لو فرضنا بأن حريقاً شبَّ فى بناية كبيرة، وتوقف إنقاذ حياة الناس فى البناية أن نهدم كثيراً من البناء ونتلف الأثاث، فهذا جائز لأن الغاية تبرّر الوسيلة، ولأن الغاية هى هنا إنقاذ حياة الناس الموجودين أو إنقاذ الجيران، فذلك أهمّ من البناية. نحن نقول إن (الغاية تنظف الوسيلة) والفقهاء يضربون فى ذلك مثلاً، فلو فرضنا أن شخصاً يغرق، والطريق إلى النهر أرض مغصوبة، وصاحبها لا يقبل أن نجتازها إلى النهر.. وعندنا حكم شرعى يقول بحرمة المرور فى الأرض المغصوبة، فهنا يجب عليك أن تنجى الغريق من جهة، ويحرم عليك أن تمر بالأرض المغصوبة من جهة، والحكمان لا يمكن العمل بهما معاً. هنا يقول الفقهاء بأن الغريق أهم وأن الحرام يتجمد عند ذلك لمصلحة الغاية الأهم. ومن الأمور التى تمثل ذلك: (الكذب) فهو ليس حلالاً، ولكن لو توقف إنقاذ أخيك المؤمن على أن تكذب حينما تعرف بأن هناك ظالماً يريد أن يقبض عليه ليقتله أو ليحبسه، وأنت تعرف مكانه فهل تقول بسذاجة بأنّ الكذب حرام، والحديث عن الأمام الصادق (عليه السلام) يقول: (إحلف بالله كاذباً ونجّ أخاك من القتل)! ومن الأمور التى يذكرها فقهاء السنّة والشيعة: إذا كانت هناك حرب كما هى الحرب بيننا وبين إسرائيل بحيث يترتب عليها نتائج كبيرة، وقد اتخذ العدو من أسرى المسلمين دروعاً بشرية، فهنا يجوز لك قتلهم من أجل القضية الكبرى إذا كان الإنتصار يتوقف على ذلك.. من كل ذلك نخلص إلى أن الغاية الكبرى المهمة التى تتصل بقضايا المصير تنظِّف الوسيلة ["٣٥] . وسئل البعض أيضاً: وفقاً لرأيكم" الغاية تنظِّف الوسيلة "لو أنّ شخصاً يعمل فى تهريب المخدرات ويقدم من الربح دعماً للعمل الإسلامى لرفع راية الحق، فهل يجوز له ذلك؟ فأجاب": هذا غير ما قلناه. لقد تحدثنا عن القضية التى تتوقف عليها الحياة، أما هذا المثل فإنه يشبه قول الشاعر: كمطعمة الأيتام من كدّ فرجها لك الويلُ لا تزنى ولا

تتصدّقي!! لا تدعم العمل الإسلامي بهذه الطريقة، فالعمل الإسلامي الذي يتوقف على تهريب المخدرات وعلى بيع الخمور هل تراه يكون عملاً إسلامياً ["؟!٣٦] .

وقفة قصيرة

١ ـ إننا قبل أن نسجل بعض تحفظاتنا على هذا المنحى الخطير، نودُّ التعبير عن رغبتنا الأكيدة والشديدة في أن لا يلجأ هذا البعض إلى نظريته في أن" الغاية تنظف الوسيلة "فيما نناقشه فيه من أمر الدين والعقيدة، وفي تعامله مع الناس.. ومع العلماء.. وفيما يطرحه في وسائل الإعلام التي تقع تحت اختياره، أو يوفّرها له محبّوه في داخل لبنان وخارجه.. سواء في ذلك المنابر، والمؤتمرات، والإذاعات، وأجهزة التلفزيون، أو الجرائد أو المجلات ـ حتى تلك المجلة الخلاعية التركية التي أجرت مقابلة معه، ونشرت صورته على صفحاتها، وهو يهدي صورته لمراسلها.. فإن اعتماده على نظريته هذه في هذا الأمر، لسوف يفقد كل أقواله ومواقفه مصداقيتها، ويفقد الحوار معه معناه، ومغزاه، وجدواه. وعلينا أن لا ننتظر أية نتائج إيجابية على مستوى التأكد من رجوعه إلى الصواب والتزامه به. ٢ ـ إن هذا البعض قد خلط مسائل العام والخاص بمسائل التزاحم، وبمسائل اجتماع الأمر والنهي وغيرها، ونوضح ذلك في ضمن النقاط التالية: الف: إننا لا نريد أن نناقش هذا البعض في صحة تعابيره وسلامتها حيث قال": إذا تعارض حكمان شرعيان، يأمرنا أحدهما بشيء، وينهانا الآخر عنه، ولم يكن هناك مجال لامتثالهما معاً. "إلى أن قال": وهذا ما يعبر عنه علماء الأصول بحالة التزاحم بين الحكمين. "فإن ظاهر كلامه: أن الأمر والنهي إذا تعلقا بشيء واحد فهو من موارد التزاحم.. مع أن التزاحم هو في موردٍ وجود حكمين يتعلق أحدهما بأمرٍ ويتعلق الآخر بأمر آخر، وتضيق قدرة المكلف عن الاتيان بهما معاً، فتلزمنا القاعدة العقلية بالإتيان بأحدهما وهو الأهم، وترك الآخر.. ب: إننا لتوضيح خلط هذا البعض بين قاعدة التزاحم، وبين موارد العموم والخصوص، وموارد اجتماع الأمر والنهي نقول: إن كان الأمر والنهي متوجهين إلى شيء واحد، وعنوانٍ فارد، فإنهما يكونان متكاذبين متعارضين، وذلك مثل: صلِّ. ولا تصِلّ. وإن تعلّق الحكمان بعنوانين، كأن تعلق أحدهما بعنوان إزالة النجاسة عن المسجد، وتعلق الآخر بالصلاة وضاق الوقت عن امتثالهما معاً، فيقع التزاحم بينهما، ويقدم الأهم. وأما إذا كان الحكمان من قبيل الأمر والنهي وقد تعلقا بعنوانين مختلفين، بأن تعلق الأمر بالصلاة، وتعلق النهي بالغصب، ففي مورد اجتماع الغصب مع الصلاة، وحيث لا بد من أدائها في الأرض المغصوبة، فهناك حالتان: إحداهما: أن يكون العنوان المأخوذ في متعلق الأمر والنهي قد لوحظ فانياً في مصاديقه شاملاً لها بما لها من كثرات ومميزات، فهو في حكم النافي لأي حكم آخر، فإذا تصادق مع عنوان آخر في مورد، فإنه يكون نافياً بنحو الدلالة الإلتزامية لحكم ذلك العنوان في ذلك المورد، ويقع التعارض بينه وبين حكم ذاك في مقام الجعل والتشريع لأنهما يتكاذبان في موضع الالتقاء في دلالتهما الإلتزامية. ومع التعارض يتساقط الدليلان في مورد الإلتقاء؛ فلابد من التماس دليل آخر. الثانية: أن يكون العنوان ملحوظاً في الخطاب فانياً في مطلق الوجود للطبيعة، من دون نظر إلى أفرادها، فلا دلالة فيه على سعة العنوان للأفراد كلهم. بل المطلوب هو صرف وجود الطبيعة وامتثالها بفعل أي فرد من أفرادها، فلا تعارض بين الدليلين، ولا تكاذب بينهما، إذ لا يتعرض أحدهما للآخر في هذا الفرد أو ذاك، لأن المتعلق هو صرف الطبيعة لا الأفراد كما قلنا. فإن صادف وابتلى المكلف باجتماع العنوانين في مورد، كما في الصلاة في الأرض المغصوبة.. ولم يكن له بدّ من الجمع بينهما، فيقع التزاحم بين التكليفين الفعليين ـ إذ الدليلان لم يتعارضا في مقام الجعل ـ بل المنافاة كانت بسبب ضيق قدرة المكلف عن التفريق بين الأمتثالين. وبعد ما تقدم نقول: إن هذا البعض قد خلط بين هذه الأمور، فهو تارة يتحدث عن تعلق الأمر والنهي في شيء واحد، ويجعله مورداً للتزاحم، مع أنه من موارد التعارض.. وتارة يطبق قاعدة التزاحم هذه على موارد العموم والخصوص، مع أن العموم والخصوص لا ربط له بمقام الأمتثال ولا بمقام الجعل، وإنما هو من موارد الجمع الدلالي بين دليلين متخالفين لفظاً وشكلاً، متوافقين مضموناً، فلا ربط لهما بمقام الجعل.. ليتساقط الدليلان في مورد التعارض، كما لا ربط له بمقام الأمتثال، وضيق قدرة المكلف عن امتثالهما معاً. ليكون من موارد التزاحم ويختار الأهم منهما.. ٣ ـ إننا نعود إلى التأكيد

على أن تطبيق قاعـدة التزاحم على القول المعروف (ما من عام إلا وقد خص) لا معنى له.. فان التخصـيص ليس فيه اختيار للأهم، كما هو الحـال فى بـاب التزاحم فى مقـام الأمتثـال.. بـل التخصـيص هو جمع دلالـى فقـط. وليس جعلاً ـ لحكم مغاير لحكم العام فى مورد الخـاص.. بـل هو اسـتثناء ووضع حـد يمنع العـام من السـريان والشـمول فى مقـام الدلالـة. فـإذا قيل مثلاً: أكرم العلماء إلا الفساق ـ فى المخصص المتصل ـ أو قيل: أكرم العلماء.. ولا تكرم الفساق العلماء ـ فى المخصص المنفصل، فانه ليس من قبيل اجتماع الأمر والنهى على مورد واحـد.. بـل من قبيـل القول: بـأن حكم وجوب الإـكرام لا ـ يشـمل فسّـاق العلمـاء.. لا أن فساق العلماء قـد تعلق بهم وجوب الإكرام أولاً.. ثم تعلق بهم حرمـة الإكرام ثانياً.. ثم قـدمنا الأهم وهو الحرمة بسـبب تزاحم المصالح العامة..، لا، ليس الأمر كذلك. بل الخـاص يريـد أن يقول: إن المصـلحة الـتى أوجبت الإـكرام للعـالم غير موجودة فى العـالم الفـاسق، فشـمول العموم للخـاص ليس فيه مزاحمة لحكم الخاص، وإنما ذلك مجرد شـمول أمر شـكلى ولفظى وظاهرى، سـرعان ما يزول بمجرد النظر إلى الكلامين، والمقارنة بينهما. وذلك ظاهر لا يحتاج إلى مزيـد بيان.. ۴ ـ أضف إلى ذلك.. أن هـذا البعض تارة يقول: إن المصالـح العامة قد تزاحمت ـ فى مورد تخصيص العموم.. وتارة أخرى يقول: إن قاعدة التزاحم كثيراً ما تكون متمثلةً فى نطاق المحرمات الشرعية، حتى أصبحت بمثابة القاعدة الاستثنائية.. حيث تتزاحم المصلحة مع المفسدة، كما صرح به فى أمثلته التى أوردها.. مثل قوله: إن مصلحة رفع الظلم اكبر من مفسـدة الغيبة. ۵ ـ بالنسـبة للأمثلـة التى ساقهـا نقول: إن مـا ذكره من تقـديم مصـلحة رفع الظلم على مفسـدة الغيبـة على أنه من موارد التزاحم فى مقام الأمتثال. ليس من صـغريات قاعـدة التزاحم، بل هو من باب تقـديم الخاص على العام، فإن حرمـة الغيبـة تشـمل مورد الخاص فى نفس الخطاب الإلهى الموجه إلى المكلف. بل قد يقال: إن هذا المثال لو كان من قبيل جلب المصلحة.. فانه لا يتناسب مع مـا هو مقرر فى محله، من أن دفع المفسـدة أولى من جلب المنفعـة.. وإن كنا نناقش فى إطلاق وتعميم هـذه القاعـدة، حيث إن بعض المصالـح أهم بكثير من بعض المفاسـد، فلا يكون دفع المفسـدة أولى من جلب تلك المصالـح. ۷ ـ إن هـذا البعض قـد قال هنا": إن الغايـة الكبرى تبرر الوسـيلة المحرّمـة، بمعنى أنهـا تجمـدها وتنظفها من خلال ارتباطها بسـلامة الخط العام. "ثم عمـد إلى تطبيق هـذا المبـدأ على اتهام إخوة يوسف بالسـرقة. فإذا أردنا أن نأخـذ بهـذا الكلام على إطلاقه. فإننا نخرج بنتيجة مفادها: أن علينا: أن نزنى، أو أن نبيح الزنا إذا وجدنا أن الزنا أو إباحته للشـباب سوف يزيد من إقبالهم على دين الإسـلام، وهذا يزيد من قوة الإسلام فى العالم. وبه يتم تحصـينه فى مقابل أعدائه، حيث إن كثرة المسـلمين وقوتهم ودخول الشعب الأمريكى، والأوروبى فى الإسلام سوف يمنع أعداءه من محاولـة إبـادة المسـلمين!!! أو يمكن إباحـة وضـع بعض البـدع فى الإسـلام أو حـذف بعض الأحكـام منه إذا أوجب ذلـك حفظ الإسـلام والمسـلمين!!! بل ربما يصبح الإبتداع واجباً، والزنا والسرقة مما يقرب إلى الله، ما دام أن الغاية تنظف الوسيلة!!! ومجرّد إنكاره ذلـك فى السؤال الموجه إليه أخيراً لا ينفع! إذ إن ما بنى كلامه عليه لا بـد أن ينتهى إلى مثل هـذه النتائـج شاء أم أبى؛ فإن المهم هو القاعدة التى يؤسسـها، وعليها يكون المدار وليس المهم هو إطلاق الشـعار، إلا إذ أردنا أن نعتبر كلامه الأخير يمثل تراجعاً عن قاعدته التى أسسـها ولكن ذلك لم يظهر لنا بعـد. ۸ ـ إن هـذا البعض قـد أنكر فى كتاب النـدوة ـ حسب النص الـذى ذكرناه آنفاً ـ أن يكون مبـدأ الغايـة تبرر الوسـيلة مقبولاً عنده.. خصوصاً فى الغايات الشخصـية التى تبرر هدم كرامة هذا، وهتك حرمة ذاك، مع أننا نلاحظ: أولاً ـ إن عبـارته الأـولى التى أوردها فى كتاب: من وحى القرآن، ونقلناها عنه": إن الغايـة الكبرى تبرر الوسـيلة المحرّمـة. بمعنى أنها تجمّـدها وتنظفها. "فاسـتعمل كلمـة" تبرر. "وثانياً: إن الأمثلة التى ساقها فى كتابه: (من وحى القرآن) وقد نقلناها عنه آنفاً قد كان من بينهـا ما يرتبط بالحالات الشخصـية. كمثال غيبـة الفاسق. وجواز تكلم المظلوم بالسوء عن ظالمه.. وكما فى مورد النصـيحة للمؤمن فى تجـارة، أو فى زواج أو مـا إلى ذلك. وذلك يتضـمن هـدم كرامـة هـذا، وهتك حرمـة ذاك. وليست هـذه الأمثلـة مما يتصل بقضايا مصيرية كبرى.. حتى لو كان فى حجم الحريق الذى ينشب فى بناية (كبيرة)، ونريد إنقاذ حياة الناس بإتلاف بعض الأثاث. تذكير.. قد ذكرنا فى هذا الكتاب قول هذا البعض: إن قاعدة التزاحم هى نفس قاعدة المصالح المرسلة عند أهل السـنة، وقد قلنا هناك: أنه كلام غير دقيق.. فراجع..

توثيق الحديث واليقين فى غير الأحكام

اشاره

أحاديث النبى وأهل البيت تحرّم، ولدينا فى ذلك تحفظ فتوائى. حرمة أكل لحم الأرنب مبنية على الاحتياط. سئل البعض: لماذا لا يؤكل لحم الأرنب؟ فأجاب": لأن الأحاديث الواردة عندنا عن أئمة أهل البيت، والمروية عن الرسول تقول بحرمته ذكراً كان أو أنثى. ولدينا تحفظ فتوائى حول الموضوع فإن الحرمة ـ عندنا ـ مبنية على الاحتياط [" ٣٧] .

وقفة قصيرة

١ ـ إن جوابه هذا يوضح أن المنهج الذى يلتزم به هذا البعض، ويسير عليه هو أن الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام) يقولون: حرام وهو يتحفظ على قول الرسول (ص) وأهل بيته عليهم السلام، فلا يفتى فى الفتوى بما قالوه، بل تبقى الفتوى عنده مبنية على الاحتياط. فهل ثمة من جرأة أعظم من هذه الجرأة؟! ٢ ـ إن هذا البعض يقول فى العديد من الموارد": إن الاحتياط عنده ميل إلى القول بالجواز "..ولم يزل يستشهد بفتاوى العلماء بالإحتياط الوجوبى بالمنع، على صحة قوله هو بالجواز، فيقول: فلان يوافقنا على القول بالجواز، لأنه يقول: الأحوط وجوباً الحرمة [٣٨] .. فتبارك الله أحسن الخالقين.. كيف يمسخ: الأحوط وجوباً الحرمة أو النجاسة، فيصير فتوى بالجواز والطهارة، ثم يبقى على حاله من كونه احتياطاً وجوبياً بالتحريم!! فهل هذا إلا من قبيل قول البعض للإمام الرضا (عليه السلام): هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا فى بيضة من غير أن تصغر الدنيا أو تكسر البيضة لكن الأمام الرضا (عليه السلام) إجابه بقوله: (نعم، وفى أصغر من البيضة، وقد جعلها فى عينك وهى أقل من البيضة لأنك إذا فتحتها عاينت السماء والأرض وما بينهما، ولو يشاء لأعماك عنها..) وقريب منه مروى عن الأمام الصادق (عليه السلام) أيضاً.. وروى ما يقرب من ذلك عن الأمام على (عليه السلام)، وعن عيسى (عليه السلام).. لكن الجواب المروى عنهما يختلف عن هذا، لكنه قاطع ومفحم [٣٩] . ولو أن الأمام عليه السلام عاش فى هذا الزمن لأراه هذا البعض كيف، أنه قد أخطأ ـ والعياذ بالله ـ فى جواب ذلك الشخص. وأن ذلك ليس ممكناً فقط، وإنما هو سهل ويسير على بعض مخلوقات الله سبحانه.. فها هو الإحتياط الوجوبى بالتحريم قد أصبح قولاً بالجواز، مع أنه باق على حاله من كونه احتياطاً وجوبياً بالتحريم، كما أنه لا يزال قولاً بالجواز، يؤيد به البعض مقولاته وفتاويه، ولكنه حينما يقول الأحوط وجوباً كذا.. فإنه لا يجيز لك أن تنسب إليه القول بالجواز، وسينكر عليك ذلك أشد الإنكار، وينسب إليك الكذب، والافتراء عليه!. ولا بد من أن نكرر، ونكرر: تبارك الله أحسن الخالقين. توثيق الأحاديث عاش الكثير من المشاكل التاريخية. توثيق الأحاديث عاش الكثير من المنازعات المذهبية. كثرت علامات الاستفهام أمام توثيق أى راوٍ. كثرت علامات الاستفهام أمام توثيق أى حديث. لا بد من الحذر فى الأخذ بالأحاديث. يقول البعض فى أحد هجوماته على الحديث الشريف": إنّ توثيق الأحاديث قد عاش الكثير من المشاكل التاريخية، والمنازعات المذهبية، بحيث أصبحت علامات الاستفهام كثيرة أمام الباحث الذى يريد أن يوثق راوياً أو حديثاً، فلا بدّ من الحذر فى الأخذ بالأحاديث لاسيما إذا كان متضمناً لتغيير الظاهر القرآنى ["٤٠] .

وقفة قصيرة

ونقول: ١ ـ إن أئمتنا (عليهم السلام)، وعلماءنا الأبرار رضوان الله تعالى عليهم، وبالخصوص من كانوا قريبين من عهد صدور النص قد رسموا لنا ضوابط ومعايير، وبينوا لنا شرائط قبول الرواية، وطرائق توثيق الرواة. وقد بين لنا القرآن، والمعصومون الطاهرون صلوات الله وسلامه عليهم: أن الحديث الشريف حجة لا بد من الأخذ بها فى المعارف والأحكام شرط أن لا يخالف كتاب الله. ٢ ـ إن المنازعات المذهبية، والمشاكل التاريخية لا تعنينا ولا تهمنا ما دمنا نملك الوسيلة التى رضيها الله سبحانه وتعالى لنا فى تمييز الحديث ـ الذى هو

حجة ـ من غيره. ولا نحذر من الأخذ بالحديث فى هذه الحالة.. بل الحذر هو من عدم الأخذ به.. ٣ ـ إنه إذا تمت شرائط الحجّية فى الحديث فلا بد من الأخذ به، حتى لو كان متضمناً لتغيير الظاهر القرآنى، فى مستوى تقييد مطلقاته، وتخصيص عموماته. وتبيين مجملاته. وإيضاح مبهماته. علماً أنه لا بد من التفريق بين دليل حجّية الخبر.. فإنه قد يكون قطعياً. وبين الخبر نفسه، الذى قد يكون ظنياً دلالة، أو سنداً، أو كليهما.. الحديث المتفق على ضعفه مقبول عنده. الحديث المتفق على رفض الاستدلال به مقبول عنده". الوثوق الشخصى "بالخبر هو المعيار ولو خالف كل العلماء. توثيق أحاديث أهل البيت مشكلة معقدة. مشكلة السند بسبب كثرة الكذب على أهل البيت (ع). فتح باب العمل بروايات العامّة. ثم هو يوثق الحديث الذى ينقل اتفاق العلماء على ضعفه ورفض الاستدلال به بدعوى أنه لا داعى للكذب فيه [٤١] . وهذا يعنى أنه يقول بجواز العمل بالروايات بدون وثوق نوعى. إذ مع الاتفاق على ضعف الحديث ورفض الاستدلال به كيف يمكن الوثوق النوعى به. ثم هو لنفس السبب، أعنى عدم وجود داع للكذب يصحح العمل بروايات العامة [٤٢] غير ملتفت إلى لزوم قيام القرائن العامة والشواهد المفيدة للوثوق النوعى بها، مع أنه قد صرّح فى بعض مؤلفاته الأخرى بأنه يشترط الوثوق النوعى، فراجع [٤٣] . أما بالنسبة لروايات أهل البيت عليهم السلام، فله موقف آخر، حيث إنه يعتبر توثيق أحاديثهم عليهم السلام مشكلة معقدة لوجود الركام الهائل من الكذب فى حديثهم (ع). ويرى أن كثرة الكذب على أهل البيت عليهم السلام تجعلنا نواجه مشكلة السند. ويقول": ربما كان توثيق أحاديث أهل البيت عليهم السلام مشكلة معقدة، من حيث اختلاف الرأى فى أسس التوثيق للنصوص المأثورة عنهم، وعن النبى محمد (ص)، وفى طبيعة الحقيقة التاريخية، فى وثاقة هذا الراوى أو ذاك، مما يجعل الصورة غير واضحة الملامح فى التعبير عن الخطوط الفكرية والفقهية فى منهج أهل البيت الإسلامى. وقد تزيد المسألة إشكالا إذا لاحظنا اضطراب الأحاديث المرويّة عنهم، من حيث التعارض والتنافى بين الروايات، لاسيما أن بعضها قد يكون صادرا عن راوٍ واحد، يروى الفكرة برواية، ليروى خلافها برواية ثانية، وهنا يقع الخلاف حول تفسير ذلك، وتوجيهه بالتقية تارة، وبغير ذلك أخرى ["٤٤]" . ويقول": إن المشكلة هى أن الكذب على أهل البيت كان كثيرا، ولذلك فهناك مشكلة السند ["٤٥]" . ويقول: "علينا أن نفهم السنة النبوية الشريفة فهما جديدا، ونفهم ما يأتينا من أحاديث أئمة أهل البيت (ع)، وأن ننقى الأحاديث، لأن هناك ركاما من الأكاذيب، ومن المواضيع التى دخلت إلى واقع الناس، وأصبحت حقائق ["٤٦]" . تصحيح الروايات التاريخية. ومن جهة أخرى فان هذا البعض، بنفس الطريقة، وبنفس الأسلوب، الذى حاول فيه العمل بروايات العامة، وتصحيح الأخذ بها، ـ مع مخالفته لما درج عليه علماء المذهب ـ حاول ذلك بالنسبة لما يرتبط بسيرة النبى (ص)،باستثناء ما يرتبط بالخلافة، فهو يقول": نعتقد أن الكثير من سيرة النبى (ص)، أخذه المسلمون يدا بيد، ولم تكن هناك ضرورة للكذب فى بعض الحالات، فيمكن أن يقع التحريف فى بعض ما يتعلق بالخلافة، ولكن الأحاديث التى تتحدث عن أخلاقه لا ضرورة للكذب فيها. وكان هناك اهتمام كبير، من قبل الصحابة لملاحقة أوضاعه، كيف يأكل، وكيف يلبس، وكيف كان كذا وكذا.. فهناك حالة ارتباط عضوى رائع، ولذلك فقضية نقل سيرة النبى (ص) كان أمرا طبيعيا، بحيث يتناقله الناس جيلا إثر جيل، لأنها كانت محل اهتمامهم. فنحن نلاحظ: أنه ليس هناك فى التاريخ شخصية اتفق عليها المسلمون كشخصية النبى (ص)، ولم يحدث هناك أية حالة سلبية حيال النبى فى كل واقع الإسلام ["٤٧]" . ونقول: قد أشرنا إلى الإشكال فى الفقرة الأخيرة فى موضع آخر تحت عنوان عدالة الصحابة. ونشير هنا أيضا إلى أن محاولة حصر التحريف فى بعض ما يتعلق بالخلافة غير سديد، فقد روى عن الأمام الجواد (ع) انه (ص) قد قال فى حجة الوداع: (قد كثرت على الكذّابة، وستكثر، فمن كذب على متعمدا، فليتبوّأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث، فاعرضوه على كتاب الله وسنتى) الخ.. [٤٨] . وعن على عليه السلام أنه قال: وقد كذب على رسول الله (ص) على عهده حتى قام خطيبا، فقال: أيها الناس، قد كثرت على الكذابة فمن كذب على متعمدا، فليتبوّأ مقعده من النار، ثم كذب عليه من بعده.. الخ [٤٩] . وقد تحدثنا فى كتابنا الصحيح من سيرة النبى الأعظم عن الكثير من الموارد فى سيرة النبى (ص) التى كُذِبَ فيها عليه فراجع ذلك الكتاب. وإذا كانت كل الفئات والفرق تريد أن تحصل على الشرعية، وعلى المبررات لمواقفها، وتحتاج إلى الإرتباط برسول الله (ص)، وإلصاق نفسها به، والتقوى على خصومها، أو منافسيها بما

تنسبه إلى رسول الله (ص) وتبرير التصرفات والفتاوى والحركات وغير ذلك، فإن الكذب والحال هذه لا يعرف قيودا ولا حدودا، ولن يقتصر التحريف على بعض ما يتعلق بالخلافة كما يقوله هذا البعض، ولسنا ندرى كيف يدّعى اقتصار الكذب على موضوع الخلافة فى حديث أهل السنة وهو يؤكد على الركام الهائل من الروايات الموضوعة فى حديث أهل البيت (ع)، حسبما تقدّم، مع أن حديث أهل البيت (ع) ليس بأقل من حديث غيرهم، إن هذا لشيىء عجاب. لا بد من شروط أخرى لقبول الأخبار فى غير الأحكام. لا تكفى مطلق الحجة فى تفاصيل العقيدة بل المطلوب اليقين. مفردات الوجود تحتاج إلى اليقين، لا مطلق الحجة. لعل إهمال تقويم الأحاديث أوقعنا فى فوضى المفاهيم فى العقيدة. إهمال تقويم الأحاديث أوقعنا فى فوضى المفاهيم فى الكون والحياة. وبعد أن أنكر البعض: أن يكون المعنى الباطن للقرآن مخزوناً لدى الراسخين فى العلم، وأنه لا فائدة فى ذلك حاول.. أن يقرّر قاعدة مفادها: أنه لا بد من تحصيل اليقين فى مثل هذه الأمور، فهو يقول": والسؤال كيف نفهم ذلك؟ قد يكون من المفيد، أن نتحدث فى هذا المجال عن نقطة مهمّة فى تكوين أيّة فكرة حول القضايا الفكرية الإسلامية، وهى ضرورة التأكد من صحة الأحاديث المروية عن النبى محمد (صلى الله عليه وآله) وعن الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)، من حيث السند أو المتن، بالطريقة التى تتجاوز الشروط المعروفة فى حجية الأخبار فى عملية الاستنباط الاجتهادى للأحكام الشرعية، لأن تلك الشروط قد تكون مطروحة فى دائرة التنجيز والتعذير من خلال الآثار الشرعية العملية للمضمون الخبرى، وذلك من خلال النظرية الأصولية العامة التى ترى فى حجية الخبر لوناً من ألوان التعبّد الذى لا معنى له فى المضمون الذاتى للخبر، فلا بدّ له من الأثر العملى الذى يكون هو الملحوظ فى معنى التعبّد. أمّا القضايا المتصلة بتفاصيل العقيدة، وبمفردات الوجود، أو بالخصوصية التفسيرية للقرآن، فإنها بحاجة إلى القطع، أو ما يقترب من القطع، ويحقق الاطمئنان؛ لأنه ليس خطأً للعمل، بل هو خطّ للقناعة الفكرية على مستوى الالتزام الداخلى، فى الاقتناع بالمفاهيم المتنوعة التى تحكم الأشياء المطروحة فى الواقع، لئلا يكون الموقف متحرّكا فى إثباتها. وقد تكون الخطورة فى هذه المسألة، أن الخلل فى المسائل العقيدية والمفاهيم العامة فى الصورة التى تقدمها للإسلام، أكثر مما يؤدى إليه الخلل فى الأحكام الشرعية التى تتصل ببعض جوانب السلوك الفردى والاجتماعى فى دائرة خاصة. ولعلّ إهمال هذا الجانب، هو الذى أوقعنا فى فوضى المفاهيم المتنوعة المتصلة بالكثير من قضايا العقيدة فى تفاصيلها، وقضايا الكون والحياة، من خلال الأحاديث الكثيرة التى لم تخضع لتقويم علمى فى صحتها وضعفها فى قاعدتها العّامة. وفى ضوء ذلك، قد نحتاج إلى الوقوف أمام الأحاديث الواردة فى قضايا التفسير بشكل دقيق؛ لأن صورة المضمون التفسيرى هى صورة القرآن فى الوجه الفكرى الذى يتقدّم إلى الناس فى تخطيطه للإنسان وللحياة، وفى تكوينه للذهنية العامة للمسلم فى نظرته إلى الوجود كله، مما قد يترك تأثيراته السلبية أو الإيجابية لدى الباحثين فى حركة الصراع بين الإسلام والكفر، أو بين الهدى والضلال ["٥٠] .

وقفة قصيرة

ونقول: ١ ـ إن هذا البعض نفسه يحتج لكثير من الأمور التى يلتزم بها فى التفسير وفى المفاهيم، وفى العقائد وفى التاريخ، وفى مفردات الوجود وغير ذلك بأحاديث ضعيفة السند، وبعضها مروى من طرق غير أهل البيت (عليهم السلام).. ويقول": إن الحجة عنده هو الخبر الموثوق، لا خبر الثقة ["٥١] . فكيف حصل له القطع أو الاطمينان بصحة كل تلك الأخبار الضعيفة والموهونة، وفقاً للمعايير المعتمدة لديه إلا إذا كان يرى أن الوثوق الشخصى هو المعيار، وليس ما يوجب الوثوق النوعى عند كل من يلاحظ النص، وما احتف به من قرائن تفيد الوثوق به. فإذا كان يرى: أن الوثوق الشخصى هو المعيار فتلك هى الكارثة الحقيقية الكبرى لأن دين الله يصبح ألعوبة فى أيدى الناس.. ولا تبقى أية ضابطة أو رابطة للقبول أو الرد. وإذا كان يرى: أن الوثوق النوعى هو المعيار كما صرح به فى مورد آخر سيأتى بعد صفحتين، فإن السؤال يبقى الذى طرحناه آنفاً عليه عن الأدلة التى جعلته يقطع أو يطمئن بتلك الأخبار الموهونة التى يطرحها هنا وهناك. ٢ ـ إنه ليس لديه أى دليل يثبت له هذه الدعوى التى يطلقها حول لزوم تحصيل اليقين أو حتى

الإطمينان (العلم العرفى) فى تفاصيل العقيدة، وقضايا الوجود والتفسير والمفاهيم العامة وغيرها إلا الاستحسانات العقلية، والتحليلات الذوقية التى يبالغ فى تصويرها، ويستخدم الكثير من التهويل والتضخيم للأمور من أجل التأثير على النفوس لقبولها.. ٣ ـ إن غاية ما استدل هذا البعض به هنا هو: أن الخلل فى المفاهيم العامة، فى الصورة التى نقدّمها للإسلام وتفاصيل العقيدة أكثر خطورة من الخلل الذى ينشأ من الخطأ فى الأحكام الشرعية فى قضايا السلوك الخاص والعام فى دائرة خاصة.. ونحن لا نجد الكثير من ملامح هذه الخطورة المميزة لهذا عن ذاك، إلا فى موارد معينة بقيت مصونة بجهود العلماء الأبرار عن أى خلل.. إلا ما نشأ أخيراً بسبب إثارات هذا البعض نفسه.. ولذلك نجد أن هناك اختلافاً فى كثير من المفاهيم العامة بين الناس.. وفى كثير من التفاصيل العقيدية فى قضايا الوجود، وفى كثير من خصوصيات التفسير.. ولكن ذلك لم يزد خطر ذلك على خطر الخلل والاختلاف فى الأحكام الشرعية المتعلقة بالسلوك الخاص والعام.. بل قد يكون للخلل فى بعض الأحكام خطورة أكبر بكثير من الخلل فى بعض مفردات التفسير أو فى التفاصيل فى العقيدة، أو المفاهيم أو غيرها.. فإن الفتوى بجواز أو وجوب ضرب الوالدين وحبسهما، والإغلاظ لهما بالقول فى مجال النهى عن المنكر، كالكذاب مثلاً ـ مع التساهل فى الإلحاد الذى هو من أعظم المنكرات، وعدم إيجاب الإغلاظ لهما فيه.. وكذلك الفتوى بجواز النظر إلى العراة فى نوادى العراة، والفتوى بجواز نظر المرأة إلى عورة المرأة، وجواز نظر الرجال إلى عورة المرأة المسلمة إذا كانت لا تنتهى إذا نهيت، ثم القول بأن فى الشهادة لعلى بالولاية فى الأذان والإقامة مفاسد كثيرة، ثم تجويز قول آمين، و التكتف، دون الإشارة إلى تلك المفاسد، ثم الفتوى بطهارة كل إنسان، وانعقاد الزواج بالمعاطاة، أى بمجرد الفعل والممارسة من دون حاجة إلى عقد، وما إلى ذلك. نعم.. إن أمثال هذه الفتاوى أشد خطورة على الإسلام من الخلل فى بعض خصوصيات التفسير، أو فى فهم بعض مفردات الوجود، وأعظم من الخلل فى بعض تفاصيل العقيدة التى قد لا ـ تخطر للإنسان على بال طيلة حياته، كالاعتقاد بان الملائكة معصومون بالإجبار على حد زعمه لا بالاختيار، أو ما يشبه هذا. ۴ ـ إن الذى أزعج هذا البعض ودفعه إلى أن يطلق هذه الدعاوى هو ما ورد عن النبى (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) فى معنى الراسخين فى العلم وأنهم هم الأئمة من أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام).. وأنهم هم الذين يعرفون المعنى الباطنى للقرآن.. مما يعنى: أن لديهم (عليهم السلام) علوماً ليست لدى غيرهم. ومن الواضح: أن هذه الأحاديث قد بلغت حداً من الكثرة والوثاقة بحيث لا يستطيع حتى من يدعى أنه يحتاج إلى تحصيل القطع أو الإطمئنان فى كل ما سوى الأحكام الشرعية الفرعية، أن يتملّص أو أن يتخلص منها.. فكيف وهو يقول": وإذا كان الحديث ضعيف السند، فإنه لا يخلو من إيحاء بالمضمون فى الآية، مع ملاحظة أننا لا نقتصر فى حجية الخبر على خبر الثقة، بل نضيف إلى ذلك الخبر الموثوق به نوعاً، لأن سيرة العقلاء أو بناءهم هو الأساس فى حجيته؛ وربما كان ضعف احتمال الكذب، لعدم وجود أساس لرغبة الناقل فى تعمّده هو القرينة الطبيعية على وثاقة الحديث ["۵۲] . ولا ندرى لماذا لم توحِ له كل تلك الأحاديث فى المراد من الراسخين فى العلم بمضمون الآية الشريفة؟! ويقول أيضاً": ونحب أن نشير هنا إلى مبنانا فى حجية خبر الواحد، وهو حجية الخبر الموثوق لا خبر الثقة، فإذا لم تكن هناك أى مصلحة فى الكذب عند الراوى ـ كما فى مقامنا ـ فلا بأس بالأخذ بالخبر وإن كان ضعيفاً، ولا يعنى ذلك أننا نلغى السند بشكل كلى، بل نعتبر أن ضعف السند من القرائن التى قد توجب عدم الوثوق، كما هو الغالب ـ وقد لا توجب، وعلى هذا يكون المدار على الوثوق لا الوثاقة ["۵۳] . فهذا الكلام من هذا البعض يجعله ملزماً بقبول هذه الأخبار، ولا يبقى له أى عذر لردها أو تجاهلها. الأخبار كلها ليست حجة فى غير الأحكام. لا يصح الأخذ بالحديث الضعيف فى جوانب الحياة. لا بد من اليقين فى الأحاديث عن أسرار الواقع. لابد من اليقين فى الأحاديث عن ملكات الأشخاص. أخبار الآحاد لا تقوم لها حجة فى التفسير. الإخبارات الكونية لا يكفى فيها خبر الواحد. الإخبارات التاريخية لا يكفى فيها خبر الواحد. لا بد من القطع والاطمئنان فى الكونيات وفى التاريخ. القضايا الدينية المتصلة بأفعال الأنبياء لا بد فيها من اليقين والتواتر. اشتراط اليقين فى غير الشرعيات يخلصنا من كثير من الروايات. ونقول: إن البعض يناقش الروايات التى تتحدث عن طبيعة القبضة التى قبضها (السامرى) من أثر الرسول، ويقول عن هذه الروايات.. ": وعلى أى حال فهى أخبار آحاد لا ـ تقوم بها حجة فى التفسير لأن حجية خبر الواحد، فيما لم يفد القطع

والإطمئنان، لا تعنى إلا ترتيب الأثر الشرعى على مضمونه، فيما كان له أثر شرعى.. أما الأمور التى تتضمن أخباراً عن قضايا كونية فى السماء أو فى الأرض، أو عن أحداث تاريخية فلا مجال للاعتماد على الخبر الواحد فيها بنفسه، بل يتبع القطع أو الإطمئنان، من باب حجتها فى ذاتها بعيداً عن الخبر.. فلنترك الموضوع لعلم الله كالكثير مما أجمله القرآن ولم نصل فيه إلى يقين، لاسيما إذا كان الأمر مما لا يتعلق به خط العقيدة فيما يجب اعتقاده، أو خط العمل، فيما يجب الالتزام به [٥٤]. ويقول فى موضع آخر.. ": وقد نحتاج إلى أن نثير أمام هذه الأمور، الفكرة القائلة، بأن القضايا الدينية المتصلة بالمفاهيم والأوضاع المختلفة فى أجواء الكون وأفعال الأنبياء وغير ذلك مما يتعلق بالأحكام الشرعية، لا بد فى الالتزام بها من اليقين، فلا يكفى فيها الظن الحاصل من رواية خاصة لم تبلغ حد التواتر.. وبذلك نستطيع التخلص من كثير من الروايات المتعلقة بالتفاصيل الدقيقة لخصائص الأوضاع، وملكات الأشخاص، وأسرار الواقع، لنرجع الأمر فيها إلى أهلها أو لنأخذ منها بعض الإيحاءات والأجواء بعيداً عن جانب العقيدة. وربما كان من الضرورى أن يتوفر الباحثون فى مسالة حجية الخبر الواحد، فى علم الأصول على إثارة المسألة بشكل واضح أمام الناس، لأن المشكلة أن الكثيرين قد اعتمدوا على الروايات فى الأمور الخارجة عن شؤون التشريع، بنفس الشروط التى اعتمدوا فيها على التشريع، بل ربما تطور الأمر إلى التوسع فى ذلك باعتماد الروايات الضعيفة، مما أدى إلى أن يكون عندنا ركام هائل من الأحاديث المذكورة فى الكتب الدينية، التى يعتمد عليها الناس فى تكوين التصورات والقناعات الدينية فى جانب العقيدة والحياة [٥٥].

وقفة قصيرة

إننا نسجل هنا ما يلى: ١ ـ تقدم فى هذا الكتاب أن الذى يطلب فيه اليقين هو خصوص الأمور العقائدية، التى يجب الإعتقاد بها على كل حال، وهى التى يتوقف عليها الإسلام والإيمان،كالتوحيد والنبوة واليوم الآخر، وكذا يطلب اليقين فى المعجزة التى يتوقف عليها ثبوت أصول العقيدة، كالتى يتوقف عليها إثبات نبوة النبى، أما ما عدا ذلك، فإنما يجب الاعتقاد به لو التفت إليه لا مطلقاً. وهذه الأمور التى تحدث عنها هذا البعض هنا، لا دليل على اعتبار اليقين فيها، بل يكفى أن تثبت بالحجة المعتبرة شرعاً و عند العقلاء، وذلك مثل الاعتقاد بكرامات النبى (ص)، كتسبيح الحصى بيديه (ص)، وسجود الشجر له (ص)، وتكليم الحيوان له، ونحو ذلك. فإن ذلك لا مدخلية له فى تحقق أصل الإيمان والإسلام، نعم لو ثبت للإنسان بحجة معتبرة وجب عليه الاعتقاد به، لئلا يلزم رد الخبر على أهل البيت عليهم السلام، وقد روى عن الأمام الباقر (ع)، وهو يتحدث عن أصحابه: (إن أسوأهم عندى حالاً، وأمقتهم إلىّ، الذى إذا سمع الحديث ينسب إلينا، ويروى عنا، فلم يعقله، ولم يقبله قلبه، اشمأز منه وجحده، وكفر بمن دان به، وهو لا يدرى لعل الحديث من عندنا خرج، وإلينا أسند، فيكون بذلك خارجا عن ولايتنا) [٥٦]. وعنه عليه السلام: (لا تكذبوا بحديث أتاكم به أحد، فإنكم لا تدرون لعله من الحق، فتكذبوا الله فوق عرشه) [٥٧]. ٢ ـ إن هذا البعض يقول بعدم حجية أخبار الآحاد فى التفسير، وفى التاريخ وفى الكونيات، وفى القضايا الدينية المتصلة بالمفاهيم والأوضاع المختلفة فى الكون، وأفعال الأنبياء، وغير ذلك، وكذا الحال بالنسبة للروايات التى تتحدث عن ملكات الأشخاص وأسرار الواقع. ونقول: لا ندرى السبب فى حكمه هذا، فإن حجية خبر الواحد لم تخصص من خلال أدلتها، كبناء العقلاء، أو (آية النبأ) أو غيرها مما يستدل به على حجيته ـ لم تخصص ـ هذه الحجية فى نوع دون نوع. فمن أين جاء هذا التخصيص البديع ـ بل المستهجن ـ يا ترى؟ ٣ ـ إن هذا البعض يقول بعدم إمكان الأخذ بالحديث الضعيف فى جوانب الحياة. ونقول: إن من يقول بالأخذ بالحديث الموثوق ـ وهذا البعض يدعى دائما أنه منهم ـ لا بحديث الثقة، لا يحق له أن يقول بلزوم الاقتصار على الخبر الصحيح سنداً فى أمور الشرع، ولا فى سائر ما تقدم. ٤ ـ إن خبر الواحد حين ينقل لنا ملكات الأشخاص، أو حادثة تاريخية لا يزيد عن كونه ينقل خبراً فى موضوع من الموضوعات، فإذا كانت حجيته من باب بناء العقلاء، فلماذا لا تشمل ما هو من قبيل الإخبار بعدالة أو بحياة زيد من الناس، أو بوقوع حادثة القتل الفلانية، وكذا الحديث عن الكونيات، والتبدل فيها ووقوع زلزال أو خسف فى البلد الفلانى، أو كالشهادة بالهلال..؟ أما القضايا المتصلة بأفعال الأنبياء، فما هى إلا كنقل صلاتهم،

وحجهم، وصيامهم (ع) لنا، ومن هذه الأفعال نقل خبر شجاعة النبى، والإمام الخارقة للعادة فى بعض المواضع، كخبر ثباته (ص) يوم أحد، وكخبر قلع باب خيبر، وقتل على عليه السلام لعمرو بن عبد ود، حيث كانت ضربته تعدل عبادة الثقلين. ٥ ـ إنه قد اعتبر أنه لا بد من القطع أو الإطمئنان فى كل ما ليس حكماً شرعياً، مؤكدا على أن حجيتهما الذاتية هى المنشأ، للأخذ بهما بعيداً عن الخبر. وهذا معناه لزوم إلقاء معظم الحديث المنقول عن أهل البيت عليهم السلام من أصله والاستغناء عنه؛ لأنه لا حجية له، بل الحجية لليقين بذاته، وللاطمئنان بذاته كما يقول. (وهذه مقولة خطيرة). مع ما فى هذا الأخير ـ أى حجية الاطمئنان بذاته ـ من إشكال ظاهر. ومن الطرائف أن تكون سيرة العقلاء التى يستدل بها هذا البعض على حجية الخبر هى نفسها التى يستدل بها على حجية الإطمئنان، فكيف ساغ له قبول حجية الإطمئنان فى غير الشرعيات وهجر حجية الخبر فيها وتوصيف الحجية فى الأول بالذاتية وإنكار حجية الثانى من رأس؟! وبعد.. فإن من الواضح: أن الموارد التى يحصل فيها اليقين محدودة ومعدودة، فيبقى هذا الكم الهائل من أحاديث أهل البيت عليهم السلام بلا فائدة ولا عائدة. ولا ندرى مدى ابتعاد مقولة الاكتفاء بما فى القرآن، وبما دل عليه العقل، وبالمتواترات، لا ندرى مدى ابتعادها عن مقولة ـ (حسبنا كتاب الله)، ولا نعرف كثيراً عن المواضع التى تختلف فيها هذه عن تلك. القرآن يوسّع الحديث ويضيّقه. الحديث لا يخصص ولا يقيد القرآن. إن البعض يعتبر أن القرآن هو الذى يوسع الحديث أو يضيقه ومعنى ذلك أن لا يستطيع الحديث تضييق المفهوم القرآنى. فهو يقول": إنه لا بد من أن يرجع الفقهاء إلى القرآن "على قاعدة أساسية هى": أن العناوين القرآنية هى العناوين الأصلية التى تحكم وتفسر كل مفردات العناوين الموجودة فى السنة فهى التى توسعها وتضيقها، لأنها هى الأساس فى حركة الأحكام فى الموضوعات. كما أن المفهوم القرآنى هو المفهوم الحاكم على كل جزئيات المفاهيم الموجودة فى الأحاديث، لأنه هو المقياس لصحة الأحاديث وفسادها ["..٥٨] . والذى نلفت النظر إليه هو خصوص الفقرات الأولى من النص المذكور، فإذا كان مراده غير ما هو الظاهر، أو كان لديه توضيحات وقيود، فقد كان عليه أن يذكر ذلك فى هذا الموضع بالذات، لأنه موضع الحاجة للتوضيح والتصحيح. نحن نميل إلى الرأى السلبى فى وثاقة أبى هريرة. اختلف الرأى فى توثيق أبى هريرة. يقول البعض": هذا مع التحفظ الذى نسجله على شخصية أبى هريرة، التى اختلف الرأى فى توثيقها وعدم توثيقها. ونحن نميل إلى الرأى السلبى، ونحتمل أن يكون الحديث من موضوعاته ["٥٩] .

وقفة قصيرة

ونقول: ١ ـ إن من يقرأ هذه العبارات يظن لأول وهلة: أن الإختلاف فى وثاقة أبى هريرة واقع بين علماء الشيعة، وذلك لأن قائل هذا القول يحمل شعار هذا المذهب بل هو يعلن نفسه مرجعاً فيه.. ٢ ـ ولو أغمضنا النظر عما سبق، فإننا نقول: لماذا لم يجزم بعدم وثاقة أبى هريرة، بل أظهر الميل إلى الرأى السلبى؟! وهذا الأمر أيضاً يشير إلى وجود درجة من الاعتبار يحظى بها أبو هريرة لديه!!

الاسلام لا يملك وسيلة بيان.. العمل بالرأى

اشاره

عودة إلى نماذج من مناهجه على النحو التالى: الإسلام يعانى من مشكلة. الإسلام لا يملك وسيلة بيان قاطعة ويقينية. الكلمة والفعل لا تملك روحاً مطلقة تحميها من الاحتمال الآخر. اختلاف المسلمين بدأ من زمن النبى. اختلاف المسلمين من زمنه (ص) هو بسبب الاحتمالات فى الكلام النبوى وفى الأفعال النبوية. المختلفون لم يكونوا جميعاً قادرين على لقاء النبى فبقيت خلافاتهم تأخذ طابع الإسلام. الاجتهاد بالرأى موجود فى زمنه (ص). النبى ـ إذا صحت الأحاديث ـ أمرهم بالعمل بآرائهم حيث لا نص. الأحزاب جعلت الخلافة قضية مركزية. المختلفون على الخلافة متواصلون ـ والأحزاب جعلوا الخلافة سبب انقسام. يقول البعض، وهو يتحدث عن:

هوية الحوار الإسلامى ـ الإسلامى": وهكذا كان الإسلام الواحد يهيىء للأمة الواحدة أن تلتقى على كل مفاهيمه، لتلتقى من خلال هذه المفاهيم على كل مواقع حياتها، لكن مشكلة الإسلام كمشكلة أى فكر آخر، سواء كانت دينية أو غير دينية، أنه لا يملك أن يدخل إلى أفكار الناس بطريقة غيبية، وإنما يدخل من خلال الكلمة ومن خلال الفعل. ومن الطبيعى أن الكلمة لا تملك روحاً مطلقة تحميها من الاحتمال الآخر، وهكذا الفعل لا يملك أيضاً انفتاحاً لما يختزنه، ما يجعل الاحتمالات كثيرة فى تفسير طبيعته وخلفياته.. لذلك اختلف المسلمون فى زمن النبى (ص)، ولم يكن كل المسلمين قادرين على لقاء النبى (ص)، لذا بقيت كثير من الخلافات تتحرك فى وعى هؤلاء وأولئك على أنها الإسلام. ونحن نعرف أن الاجتهادات بالرأى كانت موجودة، خاصة إذا صحت الأحاديث التى تقول بأن بعض الناس ممن أرسلهم النبى ليقضوا فى بعض المناطق، قد قال لهم ما مفاده أنه إذا لم يجد أحدكم شيئاً فى كتاب الله وسنة رسوله ـ مما يعرض عليكم ـ فإنه يعمل باجتهاد رايه. إنها وجهة نظر على أى حال. ثم جاءت الأحزاب بعد النبى (ص)، لتجعل من قضية الخلافة قضية مركزية استطاعت أن تمثل حداً فاصلاً يفصل المسلمين عن بعضهم البعض. ربما لم يتحقق هذا الانفصال فى عهد الخلافة، إذ نجد تواصلاً من الذين اختلفوا حول قضية الخلافة ["٦٠] .

وقفة قصيرة

ونقول: إن ما ورد فى هذه الأسطر اليسيرة من مقولات يحتم علينا الوقوف ـ ولو للتنبيه والتحذير ـ عند النقاط التالية: ١ ـ هل يصح لأحد أن يقول: إن الإسلام يعانى من مشكلة أنه لا يملك الدخول إلى أفكار الناس بطريقة غيبية. بل من خلال الكلمة والفعل الخ؟!! ألا ـ يوحى ذلك: ألف: أن فى الإسلام خللاً ـ أو نقصاً فى قدراته وفى وسائله وهو عاجز عن سدّ هذا العجز؟! ب: أن الوسائل التى اعتمدها الإسلام لم تستطع أن تقوم بالمهمة التى أوكلت إليها على أتم وجه، بسبب ما تعانى منه من عجز ووهن؟! ج: أن القول: إن رسول الله (ص) قد جاءهم بها بيضاء نقية، وأن الكتاب يهدى إلى الرشد.. وأنه مبين، وأن الحجة تامة على الخلائق. وأن لله الحجة البالغة.. وأنه: (قد تبين الرشد من الغى..) ووو الخ.. ـ إن ذلك كله ـ يصبح بلا معنى، وبلا فائدة؟! بل يكون مجرد شعارات رنّانة خالية من الصدقية!! باعتبار ان الإسلام لا يزال يعانى من مشكلة!! أعاذنا الله من الزلل فى القول، وفى الفكر، وفى العمل. ٢ ـ ما ادعاه من أن الكلمة لا ـ تحمل روحاً مطلقة تحميها من الاحتمال الآخر.. لا مجال لقبوله.. فإن ذلك إنما هو فى بعض الموارد، فهو الإستثناء وليس هو القاعدة.. ولولا ذلك لانهارت حياة الناس، واختلط الحابل بالنابل، ولم يعد لهم ما يحل مشاكلهم على صعيد الخطاب الذى يدخل فى صميم حياتهم، وعليه تدور أمور معاشهم ومعادهم. وبه وعلى أساسه يكون الأخذ والعطاء، والفصل فى القضاء. والخلاصة: أنه لا ريب فى وجود ما هو قطعى الدلالة فى اللغة العربية، ووجود ما هو ظاهر فى دلالته، فلا يضر وجود الاحتمال الضعيف الذى لا يلتفت إليه العقلاء ولا ـ يقدح فى حجية ظاهره وفى الإلزام ولزوم الالتزام به. وإذا كانت بعض الكلمات أو التعابير القليلة لا تأبى احتمالات أخرى فى معناها فإن بالامكان تجنبها والتزام غيرها مما لا يعانى من هذه المشكلة، إلا إذا أريد للكلام أن يكون على درجة من الإبهام والإجمال لأكثر من سبب. ومهما يكن الحال، فإن ثمة نظاماً عاماً يلتزمه الناس فى مجال الخطاب فى مختلف جهات حياتهم، وإنما يعتنى بالاحتمالات، وتقبل فى دائرة التداول ما دامت خاضعة لهذا النظام العام، فإذا تجاوزت حدوده وخطوطه سقطت وأهملت، واستبعدت من دائرة الاهتمام والتداول. ولولا ذلك، لانسد باب المعرفة على الناس، ولم تقم عليهم حجة، وكان اعتبار فعل المعصوم وقوله وتقريره حجة ودليلاً على الأحكام والحقائق الدينية بلا معنى ولا فائدة. ٣ ـ إن وجود احتمالات متعددة للكلام أو للفعل يحتم أن يبقى الناس فى دائرة تلك الاحتمالات.. ولا يجوز لهم أن يتعدوها إلى آراء أخرى يخترعونها من عند أنفسهم.. ٤ ـ قوله": إن الإسلام لا يملك الدخول إلى أفكار الناس بطريقة غيبية. "غير مقبول أيضاً فإن الإسلام يقول: ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع فى قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه [٦١] . وقال تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم، تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم) [٦٢] . ويقول الله سبحانه: (والذين اهتدوا زادهم هدى، وآتاهم تقواهم) [٦٣] . فالهداية بالإيمان

وزيادة الهدى، من قبل الله سبحانه – كسائر التوفيقات والتسديدات الإلهية ـ إنما هما عمل غيبى، وتصرف إلهى. وعن الأمام الباقر (ع): (من عمل بما يعلم علمه الله ما لم يعلم) [۶۴] . ولكن شرط أن تتوفر النية الصادقة لقبول هذا الإيمان، وعدم المقاومة له بتمحل المعاذير. ۵ ـ على أن التعليم لا ينحصر بالكلمة وبالفعل الذى ترد فيه الاحتمالات. بل إن اجتراح المعجزات القاطعة الدلالة هو الآخر ينتهى بالناس إلى العلم، ويضطرهم إليه، بحيث تصبح حجتهم داحضة. ولا يجدون ثمة أى مهرب. ۶ ـ على أن هناك هداية فطرية كالهداية للتوحيد، ولكثير من الأمور التى تدركها الفطرة، وهداية تكوينية وهداية عقلية.. فلا تنحصر سبل الهداية بالقول وبالفعل.. ۷ ـ قد جعل هذا البعض اختلاف المسلمين فى زمن النبى ناشئاً عن أن الكلمة والفعل لا تملك روحاً مطلقة تحميها من الاحتمال الآخر.. فهل يريد بذلك أن يعذر الذين اغتصبوا الخلافة من أمير المؤمنين، واعتدوا على مقام سيدة النساء؟! وضربوها وأخذوا فدكاً.. وما إلى ذلك؟! باعتبار أن الكلام الذى ألقى إليهم، قرآناً كان أو توجيهاً نبوياً، لا يملك روحاً مطلقة تحميه من الاحتمال الآخر!! ۸ ـ ولنا أن نلزم هذا البعض بما ألزم به نفسه، فهل يقبل بأن نقول له: إن كلامه وفعله لا ـ يملك روحاً مطلقة تحميه من الاحتمالات الأخرى. فكلامه يحتمل أن يكون دائماً كلام تضليل، وفعله يحتمل دائماً أن تكون له طبيعة سيئة، وخلفيات شائنة؟! ولماذا إذن يقيم الدنيا ثم لا يقعدها على منتقدى مقولا ـته التى هى صريحة فى خلاف الحق. ولماذا يتهمهم بالعقدة تارة، وبالتغفيل أخرى، وبالوقوع تحت تأثير المخابرات ثالثة، و بعدم الدين والتقوى رابعة وما إلى ذلك؟ ۹ ـ على أن هذا الكلام يستبطن أن لا يبقى هناك حق يعرف أو يؤخذ به من أحد من الناس.. كما أنه لا ـ يبقى معنى لتشريع العقوبات ولا ـ لوضع المثوبات. وأن كل ما يقال أو يفعل ترد فيه الاحتمالات المثبتة والنافية، وتدخله الشبهات، فلا مجال للاحتجاج به، أو له أو عليه.. ولم يكن أيضاً معنى للجهاد، لعدم إمكان قطع العذر، وإقامة الحجة. ولا معنى للحد والقصاص لأن الحدود تدرأ بالشبهات لأن كل دليل يستدل به على تشريع شىء لا يملك روحاً تحميه من الاحتمال الآخر. ۱۰ ـ وإذا انجر الكلام إلى هذا الحد، فإنه لا حرج إذا قيل: إن هذا معناه أن تنتفى الفائدة من بعثة الأنبياء والرسل، ومن تشريع الشرائع والأحكام.. ما دام أنه ليس ثمة من سبيل لنيلها، ولا وسيلة للوصول إليها!!! ۱۱ ـ ثم ما معنى قوله": لم يكن كل المسلمين قادرين على لقاء النبى (ص)، فبقيت الخلافات تتحرك فى وعى هؤلاء وأولئك على أنها الإسلام؟! "هل يريد أن يقول: إن الذين اختلفوا لم يروا رسول الله (ص) ليسمعوا منه ما يزيل خلافاتهم؟! إذا كان هذا هو المقصود فإننا نقول له: إن الاختلاف فى معظمه لم يكن بين من لم يكونوا قادرين على رؤية الرسول.. بل كان فى معظمه بين من رأوا الرسول (ص) وعاشوا معه، وسمعوا أقواله وكانوا قادرين على الرجوع إليه فيما شجر بينهم. ۱۲ ـ وحتى لو رجعوا إلى الرسول فإنه ـ على حسب قول هذا البعض ـ لن يكون (ص) قادراً على حسم مادة النزاع، لأن كل كلام سيقوله لهم لا ـ يملك روحاً مطلقة، تحميه من الاحتمال الآخر. وكذلك الحال بالنسبة لما يمارسه من فعل توجيهى وتعليمى. وسيبقى الحرج فى انفسهم مما يقضيه، ولا يبقى معنى ولا مجال لتحقيق مضمون قوله تعالى: ثم لا يكن فى أنفسهم حرج مما قضيت. ۱۳ ـ إن هذا البعض يدعى: أنه يعرف": أن الإجتهادات بالرأى كانت موجودة خاصة إذا صحت الأحاديث التى تقول: إن النبى أجاز لقضاة المناطق العمل بالرأى "..ومن الواضح: أ ـ أن وجود الاجتهاد بالرأى فى زمن الرسول لا ـ يعنى أن الرسول قد أمضاه وقبل به.. بل هو والأئمة من أهل بيته الطاهرين ما زالوا يقبحون العمل بالرأى وينهون عنه، ويعلنون رفضهم له ويخبرون الناس بأن دين الله لا ـ يصاب بالعقول، ويعلمونهم بالعقوبات القاسية التى أعدها الله لمن يفعل ذلك. ونذكر من هذه النصوص الرواية التالية: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الوشاء، عن مثنى الحناط، عن أبى بصير قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: ترد علينا أشياء ليس نعرفها فى كتاب الله، ولا سنة نبيه؛ فننظر فيها؟! فقال: لا، أما إنك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله عز وجل [۶۵] . ب ـ لو صح ما ذكره هذا البعض لم تتحقق بدعة أصلاً.. لأن بإمكان كل أحد أن ينتج رأياً يخالف فيه حكم الله بحجة: أنه لا ـ يستطيع أن يرى النبى، وحتى لو رآه، فإن ما يقوله وما يفعله (ص) لا يملك روحاً مطلقة، تحميه من الاحتمال الآخر.. وقد روى عن رسول الله (ص) قوله: (إذا ظهرت البدع فى أمتى، فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله) [۶۶] . وعنه (ص): من أتى ذا بدعة فعظمه، فإنما يسعى فى هدم الإسلام [۶۷] . وعنه (ص): (أبى الله لصاحب البدعة بالتوبة،

قيل: يا رسول الله، وكيف ذلك؟ قال: إنه قد أشرب قلبه حبها) [۶۸] . وروى الكلينى، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب عن معاوية بن وهب، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (ص): (إن عند كل بدعة تكون من بعدى، يُكاد بها الإيمان، ولياً من أهل بيتى، موكلاً به، يذب عنه، ينطق بإلهام من الله، ويعلن الحق وينوّره، ويرد كيد الكائدين، يعبر عن الضعفاء، فاعتبروا يا أولى الأبصار، وتوكلوا على الله) [۶۹] . وعن يونس بن عبد الرحمان عن أبى الحسن الأول: (يا يونس لا تكونن مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيه (ص) ضل، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر) [۷۰] . وعن أبى جعفر (عليه السلام): (من أفتى الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم، ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضادّ الله، حيث أحلّ وحرّم فيما لا يعلم) [۷۱] . وعن محمد بن يحيى، عن بعض أصحابه: وعلى بن إبراهيم (عن أبيه) عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبى عبدالله (ع): وعلى بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب رفعه، عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: (إنّ من أبغض الخلق إلى الله عز وجل لرجلين: رجل وكله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف [۷۲] بكلام بدعة، قد لهج بالصوم والصلاة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هدى [۷۳] من كان قبله، مضل لمن اقتدى به فى حياته وبعد موته، حمّال خطايا غيره، رهن بخطيئته. ورجل قمش جهلاً فى جهّال الناس، عان [۷۴] بأغباش الفتنة، قد سماه أشباه الناس عالماً ولم يغن [۷۵] فيه يوماً سالماً، بكّر [۷۶] فاستكثر، ما قلّ منه خير مما كثر، حتى إذا ارتوى من آجن [۷۷] واكتنز من غير طائل [۷۸] جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، وإن خالف قاضياً سبقه، لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتى بعده، كفعله بمن كان قبله، وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هيّأ لها حشواً من رأيه، ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات فى منزل غزل العنكبوت لا يدرى أصاب أم أخطأ، لا يحسب العلم فى شىء مما أنكر، ولا يرى أن وراء ما بلغ فيه مذهباً، إن قاس شيئاً بشىء لم يكذب نظره وإن أظلم عليه أمر اكتتم به، لما يعلم من جهل نفسه، لكيلا يقال له: لا يعلم، ثم جسر فقضى. فهو مفتاح عشوات [۷۹] ، ركّاب شبهات، خبّاط جهالات، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعضّ فى العلم بضرس قاطع فيغنم، يذرى الروايات ذرو الريح الهشيم [۸۰] . تبكى منه المواريث، وتصرخ منه الدماء؛ يستحل بقضائه الفرج الحرام، ويحرّم بقضائه الفرج الحلال، لا ملىءٌ بإصدار ما عليه ورد [۸۱] ، ولا هو أهل لما منه فرط، من ادعائه علم الحق) [۸۲] .

۱۴ ـ ثم إن هذا البعض قد أشار إلى": الأحاديث التى تقول بأن بعض الناس ممن أرسلهم النبى ليقضوا فى بعض المناطق، قد قال لهم ما مفاده: أنه إذا لم يجد أحدكم شيئاً فى كتاب الله وسنة رسوله ـ مما يعرض عليكم ـ فإنه يعمل باجتهاد رأيه "..ونقول: إنه يشير بكلامه هذا إلى ما يستدل به بعض أهل السنة على تشريع الرأى والقياس، وهو ما رووه عن الحارث بن عمر، بن أخى المغيرة بن شعبة عن ناس من أصحاب معاذ (من أهل حمص)، عن معاذ، قال: لما بعثه (ص) إلى اليمن، قال كيف تقضى، إذا عرض لك قضاء؟! قال: أقضى بكتاب الله. قال: فإن لم تجد فى كتاب الله؟ قال: فبسنّة رسوله. قال: فإن لم تجد فى سنّة رسول الله ولا فى كتاب الله؟ قال: أجتهد رأيى ولا آلو. قال: فضرب رسول الله (ص) صدره وقال: الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضاه رسول الله [۸۳] . وهذه الرواية قد حكم عليها أهل السنة أنفسهم بالضعف وذلك: ألف: لجهالة الحارث بن عمر، ولأن الرواية لم تبين من هم أصحاب معاذ، ليمكن التأكد من وثاقتهم أو عدمها [۸۴] . ب: قال أبو محمد: هذا حديث ساقط، لم يروه أحد من غير هذا الطريق، وأول سقوطه أنه عن قوم مجهولين لم يسموا، فلا حجية فى من لا يعرف من هو. وفيه الحارث بن عمرو، (وهو مجهول لا يعرف من هو، ولم يأت هذا الحديث قط من غير طريقه) [۸۵] . وقد أورد الجوزجانى هذا الحديث فى الموضوعات، وقال: هذا حديث باطل، رواه جماعة عن شعبة. وقد تصفحت هذا الحديث فى أسانيد الكبار والصغار، وسألت من لقيته من أهل العلم بالنقل عنه، فلم أجد له طريقاً غير هذا. إلى أن قال: ومثل هذا الإسناد لا يعتمد عليه فى أصل الشريعة [۸۶] . وقال البخارى عن هذا الحديث: (لا يعرف الحارث إلا بهذا ولا يصح) [۸۷] . ج: إن هذا الحديث الضعيف لا يقوى على معارضة ما دل على الردع عن إعمال الرأى. د: قد أشار البعض إلى أن من الممكن أن تصح الأحاديث التى تقول: إن النبى قال لبعض من أرسلهم إلى بعض المناطق أن يعملوا بالرأى. ونقول له: إن حديث معاذ الذى ذكرناه هو المعتمد، بل وحتى لو انضم إليه حديث أبى موسى الأشعرى، ومعاذ، أو انضم إليه حديث ابن مسعود

أيضاً [٨٨] . فإنه يبقى غير مقبول.. لأن رواته لم تثبت وثاقتهم عند علماء المذهب. بل ثبت ضدها. بل إننا نطمئن القارىء الكريم إلى أن أهل السنة أنفسهم يصرحون ـ وقد قدمنا بعض تصريحاتهم ـ بإرسال تلكم الأحاديث، وبمجهولية رواتها، وتفرّد هؤلاء المجاهيل بنقلها. إذن، فلماذا هذا التهويل على الآخرين بوجود أحاديث بصيغة الجمع!! وبأنها يمكن أن تكون صحيحة!!.. فإنها لا يمكن أن تكون كذلك عند السنة أنفسهم، فكيف تصح عند الشيعة.. هـ: قال ابن ماجة: حدثنا الحسن بن حماد، سجّادة، حدثنا يحيى بن سعيد الأموى، عن محمد بن سعيد بن حسان، عن عبادة بن نسيّ، عن عبد الرحمن بن غنم، حدثنا معاذ بن جبل، قال: لما بعثنى رسول الله (ص) إلى اليمن قال: لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم، وإن أشكل عليك أمر، فقف حتى تبينه، أو تكتب إلىّ فيه [٨٩] . قال فى هامش عون المعبود: (وهذا أجود إسناداً من الأول، ولا ذكر فيه للرأى) [٩٠] . و: إن من الواضح: أن الله سبحانه، قد أكمل الدين وأتم النعمة، ورضى لنا الإسلام ديناً بولاية على عليه السلام.. وكان كمال هذا الدين بحيث أن الأمام الصادق (ع) يقول: إن عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة؟! قال: قلت (أى الراوى): جعلت فداك، وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله (ص) وإملائه، من فلق فيه، وخط على (ع) بيمينه، فيها حلال وحرام، وكل شىء يحتاج الناس إليه حتى الأرش فى الخدش. وضرب بيده إلى، فقال: تأذن لى يا أبا محمد؟! قال: قلت: جعلت فداك، إنما أنا لك، فاصنع ما شئت. قال: فغمزنى بيده، وقال: حتى أرش هذا؟ [٩١] . وفى حديث آخر عن الأمام الصادق عليه السلام حول الجفر الأبيض، قال (ع): (فيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد، حتى فيه الجلدة، ونصف الجلدة، وربع الجلدة، وأرش الخدش) [٩٢] . وعن أبى عبد الله (عليه السلام) حول الجامعة:.. فيها كل ما يحتاج الناس إليه، و ليس من قضية إلا وهى فيها) [٩٣] . وفى نص آخر عنه (عليه السلام): (إن عندنا كتاباً أملاه رسول الله (ص) وخط على عليه السلام صحيفة فيها كل حلال وحرام الخ..) [٩۴] . وفى نص آخر يقول عن كتاب على (ع): (.. ما على الأرض شىء يحتاجون إليه إلا وهو فيه حتى أرش الخدش) [٩۵] . وعن الأمام الرضا (ع) حول علامات الأمام قال عليه السلام: (يكون عنده الجفر الأكبر والأصغر)و(أهاب ماعز وأهاب كبش، فيهما جميع العلوم، حتى أرش الخدش، وحتى الجلدة، ونصف الجلدة، وثلث الجلدة) [٩۶] . ١۵ ـ قوله": إن سبب بقاء الاختلاف بين المسلمين هو عدم قدرة كثير منهم على لقاء رسول الله (ص ").."غير صحيح، فإن بعضهم قد خالف رسول الله (ص) نفسه، وتنازعوا عنده، ومعه وقالوا: إن النبى ليهجر، ومنعوه من أن يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده.. ونقول أيضاً: ألف: إن قول رسول الله (ص): إيتونى بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً يوضح: أن تلك الكتابة وذلك الفعل سوف يملك روحاً مطلقة تحميه من جميع الاحتمالات الأخرى.. ولولا ذلك لم يصح قوله: لن تضلوا بعده أبداً. ب: إن الأحاديث التى يراد الإيحاء بصحتها هى تلك التى رواها أتباع غير أهل البيت عليهم السلام والتزموا بها. وهى لا تمت إلى أهل البيت ولا إلى شيعتهم بأية صلة. بل المروى عن أهل البيت مناقض لها، فقد روى عنهم عليهم السلام: القضاة أربعة: ثلاثة فى النار، وواحد فى الجنة: رجل قضى بجور وهو يعلم فهو فى النار، ورجل قضى بجور وهو لا يعلم، فهو فى النار، ورجل قضى بحق وهو لا يعلم فهو فى النار، ورجل قضى بحق وهو يعلم، فهو فى الجنة [٩٧] . فأئمتنا يقولون: إن من قضى بالحق، وهو لا يعلم فهو فى النار.. فهل يصح أن يقول هذا البعض": أن النبى صرح لهم بأن يعملوا باجتهاد آرائهم "إذا لم يعلموا؟! وإذا قال هذا البعض: إن حكم الله تابع لآراء المجتهدين، وإن تباينت تلك الآراء واختلفت. فإذا لم يكن فى كتاب الله وسنة رسوله كانت آراء الناس هى الحق المعلوم.. وإن الرواية السابقة ناظرة لموافقة أو مخالفة الحق الموجود فى كتاب الله وسنة رسوله فقط، دون ما لم يكن وارداً فيهما. فإن الجواب لهذا البعض هو: أ ـ إن هذا الكلام يستبطن التصويب فى اجتهاد الآراء. والتصويب باطل بلا ريب. ب ـ روى عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (ترد على أحدهم القضية فى حكم من الأحكام، فيحكم فيها برأيه، ثم يرد تلك القضية بعينها على غيره، فيحكم فيها بخلاف قوله، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الأمام الذى استقضاهم، فيصوّب آراءهم جميعاً وإلههم واحد! ونبيهم واحد! وكتابهم واحد!. أفأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطاعوه! أم نهاهم عنه فعصوه! أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه) [٩٨] . وروى عن عمر بن أذينة، وكان من أصحاب أبى عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: دخلت يوماً على عبد الرحمن بن أبى ليلى

بالكوفة، وهو قاض، فقلت: أردت أصلحك الله أن أسألك عن مسائل وكنت حديث السن. فقال: سل يا ابن أخي عما شئت. فقلت: أخبرني عنكم معاشر القضاة ترد عليكم القضية في المال والفرج والدم فتقضي أنت فيها برأيك، ثم ترد تلك القضية بعينها على قاضي مكة فيقضي فيها بخلاف قضيتك، وترد على قاضي البصرة وقضاة اليمن وقاضي المدينة فيقضون بخلاف ذلك، ثم تجتمعون عند خليفتكم الذي استقضاكم فتخبرونه باختلاف قضاياكم فيصوّب قول كل واحد منكم، وإلهكم واحد ونبيكم واحد ودينكم واحد، أفأمركم الله عز وجل بالاختلاف فأطعتموه؟ أم نهاكم عنه فعصيتموه؟ أم كنتم شركاء الله في حكمه فلكم أن تقولوا وعليه أن يرضى؟ أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بكم على إتمامه؟ أم أنزله الله تاماً فقصّر رسول الله (ص) عن أدائه؟ أم ماذا تقولون؟ فقال: من أين أنت يا فتى؟ قلت: من أهل البصرة. قال: من أيها؟ قلت: من عبد القيس. قال: من أيهم؟ قلت: من بني أذينة. قال: ما قرابتك من عبد الرحمن بن أذينة؟ قلت: هو جدي. فرحب بي وقربني وقال: أي فتى لقد سألت فغلظت، وانهمكت فعوّصت. وسأخبرك إنشاء الله. أما قولك في اختلاف القضايا فإنه ما ورد علينا من أمر القضايا مما له في كتاب الله أصل وفي سنة نبيه فليس لنا أن نعدو الكتاب والسنة، وما ورد علينا ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله فإنّا نأخذ فيه برأينا. قلت: ما صنعت شيئاً لأن الله عز وجل يقول: (ما فرطنا في الكتاب من شيء)، وقال: (فيه تبيان كل شيء) [٩٩] . وبديهي أنه إذا لم يستطع الناس أن يكتشفوا الحق بأنفسهم فعليهم أن يرجعوا إلى العالمين به، الذين يتيقنون تأويله.. وهم أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة. ١۶ ـ إنه يقول": إن الأحزاب بعد النبي (ص) هي التي جعلت قضية الخلافة قضية مركزية، وحداً فاصلاً فصل المسلمين عن بعضهم البعض "..ونقول: من الواضح: أن جعل قضية الخلافة قضية مركزية إنما كان من قبل الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.. والأحاديث المتواترة عن رسول الله (ص) خير شاهد على ما نقول. وقد صرحت بذلك الآيات أيضاً. ومنها قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين) [١٠٠] . حيث اعتبر أن عدم إبلاغ أمر الإمامة والقيادة من بعده، يوازي عدم إبلاغ الرسالة نفسها من الأساس.. وليلاحظ قوله أخيراً: (والله لا يهدي القوم الكافرين) الذي جاء ليؤكد على أن من يقف في الموقع المناهض لهذا الأمر، فإنه يصبح في معسكر الكفر. ولا يكون في دائرة الإسلام، فضلاً عن الإيمان.. ونذكر من الأحاديث التي أكدت على محورية أمر الإمامة والولاية في الإسلام والإيمان ـ وهي أحاديث متنوعة، وكثيرة جداً ـ الحديث التالي: محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن صفوان بن يحيى، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: (كل من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه، ولا إمام له من الله، فسعيه غير مقبول، وهو ضال متحير، والله شانئ لأعماله) إلى أن قال: (وكذلك ـ والله ـ يا محمد، من أصبح من هذه الأمة، لا إمام له من الله جل وعز ظاهراً عادلاً أصبح ضالاً تائهاً، وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق. واعلم يا محمد أن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله، وقد ضلوا وأضلوا، فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، لا يقدرون مما كسبوا على شيء، ذلك هو الضلال البعيد) [١٠١] . ١٧ ـ إنه يفهم من كلام هذا البعض": أن قضية الخلافة هي التي تفصل المسلمين عن بعضهم البعض. "وقد اعتبر أن": هذا الانفصال لم يكن في عهد الخلافة، بل كان هناك تواصل من الذين اختلفوا حول قضية الخلافة "..ونقول: ألف: إنه لا شك في أن كل ما يختلف فيه الناس لا يمكن أن يكون جميع الفرقاء محقين فيه، فلا شك ـ والحالة هذه ـ من وجود مبطل في البين، وإذا كان الطرف الآخر ملتزماً بالحق، فلا بد من وقوع الفصل والانفصال بين الحق والباطل والمحق والمبطل.. وقد تحدث الله سبحانه في كتابه الكريم عن هذا التمايز والإنفصال ـ ربما في عشرات الآيات ـ كقوله تعالى: (فماذا بعد الحق إلا الضلال) [١٠٢] . وقوله: (أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون) [١٠٣] . وقوله تعالى: (وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور) [١٠۴] . وقال: (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) [١٠۵] . وقال: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) [١٠۶] . وقال: (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون) [١٠٧] . وقال: (لا تستوي الحسنة ولا السيئة) [١٠٨] . وغيره كثير وكثير جداً. ب ـ إنه قد نسب إلى الأحزاب أنهم هم الذين جعلوا قضية الخلافة قضية مركزية، فهل يقصد

بالأحزاب: الشيعة؟ أم السنة؟ أم هما معاً؟ إننا نرجح أنه يقصد الشيعة، أو أنهم فى جملة من يقصد، ولكن: هل الشيعة، أتباع أهل البيت حزب بنظره؟ فإذا كانوا كذلك عنده، فإنهم ليسوا كذلك فى واقع الأمر بل هم الصفوة المؤمنة، والملتزمة بما جاء به الرسول الكريم (ص) وهم الذين يحملون دين الإسلام الصحيح، وهم المحقون، المدفوعون عن حقهم؟! وهل تصح مساواة من يصرّ على الالتزام بالحق بمن يصرّ على مجانبة الحق، ومحاولة منع أهله من الالتزام به؟! ج ـ إن ما يقوله الشيعة فى أمر الخلافة لا يختلف عما يقوله أئمتهم عليهم السلام ونبيهم (ص) فيها. فإذا كان ذلك يجعل الشيعة حزباً، فإنه يجعل أئمتهم عليهم السلام، ونبيهم الأكرم (ص) حزباً.. وليسمح لنا هذا البعض بأن نوجه إليه سؤالاً واحداً هنا: هل هو راض عن هذا الحزب أم ساخط عليه؟! إننا نرجح أن يجيبنا بأنه ساخط عليه، وماقت له، لأن الأحزاب ـ بنظره ـ هى السبب فى فصل المسلمين عن بعضهم البعض. هـ ـ ما معنى تواصل الذين اختلفوا على الخلافة؟ هل معناه أنهم قد اعترفوا لبعضهم البعض بخطأهم فيما يعتقدونه. وأنهم قد تخلوا عن التمسك بالحق لصالح الباطل، أو عن الباطل لصالح الحق؟. أم أن معناه أنهم لم يواجهوا العنف بالعنف، واهتموا بحفظ بيضة الإسلام، كما صرح به أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه؟! وهل تجد أن موقف الشيعة اليوم يختلف عن موقف إمامهم الأول على بن أبى طالب (عليه السلام)؟. فهل تجدهم قد حاربوا أحداً ليرغموه على الاعتقاد بإمامة على عليه السلام؟ أم تجدهم يدفعون بالتى هى أحسن ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً؟ وأنهم ما زالوا مسالمين ومسلمين ما سلمت أمور المسلمين؟ وأن غاية ما يقومون به هو بيان الحق لمن يريد الحق.. وليس ثمة أكثر من ذلك..

التأويل.. استيحاء من الأئمة

اشاره

أقوال الأئمة (عليهم السلام) مجرّد آراء. عندما ننسب رأياً للإمام لا بد من معرفة وثاقته بسند صحيح. سئل البعض: هناك قول للإمام العسكرى (ع) يقول: من لم يحسن أن يمنع لم يحسن أن يعطى. فأجاب": من قال: إن الأمام العسكرى (ع) قال ذلك؟، فلا بد لنا عندما ننسب رأياً إلى الأمام (عليه السلام) أن يعرف هل هو موثق بسند صحيح؟! الخ"..

وقفة قصيرة

ونقول: ١ ـ إنك تلاحظ: أن هذا البعض يعتبر هذه الكلمة" رأياً "للإمام عليه السلام!! [١٠٩] . ٢ ـ إنه قد استنكر على هذا الرجل نسبة القول إلى الأمام من دون أن تثبت له صحة سنده.. مع أن هذا البعض نفسه ينسب الكثير الكثير من الأقوال والقضايا والأحداث إلى المعصومين وإلى غيرهم. ولا ـ يمكنه أن يثبت صحة كثير من ذلك، بل هو عاجز عن إثبات صحة أكثرها من حيث السند. بل إنه هو نفسه حين يسأل بعد صفحة واحدة من كلامه هذا فيقال له: دعوتم كثيراً للتدقيق فى الروايات التى تتحدث عن سيرة الحسين (ع)، خاصة المتعلق منها بواقعة كربلاء، والليلة ذكرتم: أن الحسين (ع) بكى على أعدائه، لأنهم يدخلون النار بسببه، فهل هى موثقة روائياً؟ يجيب بقوله": قلت: إن بعض الروايات تتحدث، وأنا لم التزم هذا. ولكن روحية الأمام الحسين (ع) وأخلاقيته وأريحته تسمح بذلك، فهو يعلم ما لا يعلمون، لأنه على يقين، ولأنه يرى الأمور على اليقين، وهم فى الغى سادرون. وربما كان مضمون الرواية، وانسجامه مع أخلاقيته دليلاً على وثاقة الرواية [" ١١٠] . ونسجل على هذا الكلام: أولاً: إن مضمون الرواية لا يكون دليلاً على وثاقة الرواية، بل هو يرفع المانع أمام قبولها.. إذا تمت شرائط القبول. ثانياً: قوله": وأنا لم التزم بهذا. "لا مجال لقبوله منه، لأنه أتى به ليستدل على قضية أطلقها بصورة يقينية، فكيف تكون الدعوى يقينية، إذا كانت تستند إلى أمر لم يلتزم هو به. وهذه هى عبارته": لأن الأمام الحسين (ع) لا ـ يملك إلا ـ أن يحب، ولذلك يقول بعض رواة السيرة: إنه كان يبكى على الذين يقاتلونه، لأنهم سوف يتعرضون إلى عذاب الله

بسببه؛ فأى قلب أرحب، وأوسع وأرق من هذا القلب؟، ولذلك لا نملك إلا أن نحب الحسين (عليه السلام [")١١١] . ثالثاً: كيف جاز له أن يورد أمراً، ويستدل به، ولا ـ يعّرف الناس أنه لا ـ يلتزم به. ثم ينكر على ذلك الرجل نسبة ذلك الحديث إلى الأمام؟! فكيف جرّت الباء عنده، فأورد حديثاً، واستدل به على الناس العوام.. وأنكر على العوام نفس ما فعله هو معهم؟!. رابعاً: إن على من يصف الحديث المروى عن المعصوم بأنه رأى للمعصوم، أن يعذرنا إذا قلنا: إن هدفه من هذا التوصيف هو إثارة الشكوك، والإيحاء بوجود أكاذيب ومختلقات فى المروى عنهم (عليهم السلام). وقد قرأنا فى هذا الكتاب أنه يقول": اعتقد أنه يجب أن نستوحى القرآن، كما كان الأئمة يستوحونه ["١١٢] . ويقول": إن المشكلة هى أن الكذب على أهل البيت كان كثيراً، ولذلك فهناك مشكلة السند. "ويقول": إن هناك ركاماً من الأكاذيب الخ ["..١١٣] . ثم هو يقول": إن علينا أن ننفتح على أصالة التراث الإسلامى الفكرى، الذى تركه أهل البيت (ع) لنتنبّه إلى ما وضعه الوضاعون، وكذب فيه الكذابون. وهذا ما يدعونا إلى رفض الأحاديث التى تنسب زوراً وبهتاناً إلى أهل البيت، وقد حذّرنا الأئمة من ذلك الخ ["..١١۴] . خامساً: لا ينكر أحد أن هناك من كذب على الله وعلى رسوله (صلى الله عليه وآله) حتى صعد (صلى الله عليه وآله) المنبر فى حال حياته، وحذر الناس من أنه قد كثرت عليه الكذابة. وكذلك كان هناك من يكذب على الأئمة الطاهرين (عليهم السلام). ولكن لماذا ننسى جهود الأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، والعلماء الأتقياء الأبرار، الذين تصدوا للوضاعين، ورصدوا الكذابين، وعرفوا الناس بهم، وبيّنوا عبر القرون المتمادية من الجهود المشكورة صحيح الحديث، من ضعيفه، وميزوا الأصيل من الدخيل؟! هناك ما يشبه الإستيحاء للأئمة!! إستيحاءات الأئمة مجرد اجتهادات. الأئمة (ع) يستوحون القرآن. هو يستوحى القرآن كما يستوحيه الأئمة (ع). وحول آية: (ومن أحياها، فكأنما أحيا الناس جميعا) [١١۵] ، قال الأمام الباقر (ع): تأويلها الأعظم: من نقلها من ضلال إلى هدى. فيعقب هذا البعض على ذلك بقوله": فالأمام فى ذلك يستوحى الحياة المعنوية من الحياة المادية. "ويتابع قائلا": أعتقد: أنه يجب أن نستوحى القرآن كما كان الأئمة يستوحونه ["١١۶] . ويقول البعض فى تفسير قوله تعالى (كهيعص.."): وقد وردت بعض الأحاديث المأثورة فى تأويل هذه الكلمة عن بعض أئمة أهل البيت، فقد جاء فيما روى عن الأمام جعفر الصادق ـ فيما رواه عنه سفيان بن سعيد الثورى ـ قال: (كهيعص) معناه، أنا الكافى الهادى الولى العالم الصادق الوعد. وعن ابن عباس ـ كما فى الدر المنثور ـ معناه كريم هاد حكيم عليم صادق وربما كان هذا اجتهاداً من ابن عباس، كما قد يكون الأول استيحاء أو ما يشبه ذلك، على تقدير صحة الرواية ["١١٧] . ويقول أيضاً..(": ونُرى فرعون وهامان) فيما نريهم من مظاهر القوة ومواقعها للمستضعفين الذين يتحركون فى خط المواجهة لهما ولسلطتهما (وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) ويخافون، فيما يخافه الطغاة من تنامى قوة المستضعفين وتعاظمها بحيث تشكل خطراً مستقبلياً على ما يملكونه من سلطة الظلم وقوة الاستكبار على يد شخص من بنى إسرائيل. وقد وردت بعض الروايات عن أئمة أهل البيت (ع) فى الاستشهاد بهذه الآية فى موارد معينة، كما فى مسألة الأمام المهدى، ونحوها.. والظاهر أنها من باب الاستيحاء والتطبيق، باعتبار أن الآية توحى بأن سيطرة المستكبرين لا بد أن تعقبها سيطرة المستضعفين.. مما يجعل من القضية سنّة إلهية.. ويوحى بأن النهاية فى الدنيا سوف تكون للمستضعفين الذين يكونون ورثة الأرض وخلفاء الله ["١١٨] .

وقفة قصيرة

إن لنا هنا ملاحظات: الأولى: إن هذا النص قد عرَّفنا: أن هذا البعض يقصد بكلمة (الإستيحاء): الإجتهاد. وذلك لأن ما نقله عن ابن عباس فى تفسير كلمة (كهيعص) قد وصفه بأنه اجتهاد، ثم ذكر أن نفس هذا التفسير منقول عن الأمام الصادق (ع)، ولكنه وصفه بأنه (استيحاء) من قبل الأمام. ومعنى ذلك هو أنه يلطِّف التعبير بالنسبة للأئمة عليهم السلام. وربما يمكن تأييد ذلك: بأنه هو نفسه يرى أن باستطاعته أن يستوحى القرآن كما كان الأئمة عليهم السلام يستوحونه [١١٩] ، فإن كان يريد بالإستيحاء غير الاجتهاد فلابد أن يبيِّن لنا معناه، لنعرف كيف نتعامل معه، فإن كان هذا الأمر من مختصاتهم (ع) فلم ادعاه هو لنفسه إذن؟! فهل إن الله سبحانه وتعالى

قد خصه بذلك إلى جانبهم، فادعى لنفسه ما هو لهم و له أيضاً؟! وكيف يمكنه أن يثبت لنا ذلك؟!. وإن كان الإستيحاء هو نفس الاجتهاد، خرجنا بنتيجة، حبذا لو لم تتراءَ لنا من كلامه، لاسيما وأنه لم يزل يكرر على الناس قوله: إن الأئمة رواة لما عند رسول الله (ص). فإن نسبة الاجتهاد إليهم عليهم السلام أمر مرفوض جملة وتفصيلا، بل ما عندهم هو علم من لدن عليم حكيم. هذا، ولا يفوتنا التنبيه على أنه حيث نسب الإستيحاء إلى نفسه، وفسر التأويل به، فقد نسب لنفسه تأويل القرآن، وعدّ نفسه من جملة الراسخين فى العلم الذين يقول تعالى عنهم: (ولا يعلم تأويله إلا الله و الراسخون فى العلم)، مع أن روايات أهل البيت عليهم السلام وقراءتهم للآية تدل على أن ذلك من مختصاتهم عليهم السلام. الثانية: إننا لم نفهم المراد من (ما يشبه الإستيحاء) الذى نسبه إلى الأئمة (ع)، فهل يريد به الإجتهاد فى التطبيق للمفهوم العام على موارده، فهذا لا يصح نسبته إلى الأمام كما هو معلوم، أم أنه يقصد به شيئاً آخر؟ حبذا لو أوضح لنا ذلك لننظر فيه أيضاً. الثالثة: إن الأمام (عليه السلام) يقول فى الرواية المتقدم ذكرها فى كلام هذا البعض: تأويلها الأعظم كذا.. وهذا البعض يعتبر هذا استيحاءً، ثم يرى لنفسه الحق فى استيحاء القرآن كما كان الأئمة يستوحونه!! التأويل هو الإستيحاء للمعنى من خلال التقاء المعانى فى الأهداف. التأويل لا يعنى المعنى الباطن للكلمة. ليس للقرآن بطون، بل أنزل ليفهمه الجميع بشكل طبيعى. يقول البعض: قد جاء عن الأمام الباقر عليه السلام فيما رواه عنه الفضيل بن يسار، قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام: قول الله عزّ وجل فى كتابه: (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) قال: من حرق أو غرق، قلت: من أخرجها من ضلال إلى هدى، قال: ذلك تأويلها الأعظم ومن خلال ذلك نفهم أن التأويل لا يعنى المعنى الباطنى للكلمة فيما يحاول البعض أن يفسره من بطون القرآن فإنه قد أنزل على طريقة العرب فى التعبير، ليفهمه الجميع بشكل طبيعى.. من دون أن يكون فيه أى إشارات رمزية.. فيما تعارف عليه الأسلوب الرمزى الذى يحمّل الكلمة غير معناها، ويجرى بها فى غير مجالها من دون أساس للاستعارة والكناية والمجاز.. بل التأويل يمثل عملية الإستيحاء للمعنى من خلال التقاء المعانى ببعضها فى الأهداف التى يستهدفها القرآن فى القضايا التى يثيرها أمام الناس، والمفاهيم التى يريد أن يوحيها اليهم.. كما فى هذه الآية التى تحدثت عن الحياة والموت، وعن الناس الذين يعتدون على الحياة، وعن الناس الذين ينقذونها. .. فقد يستوحى منها الإنسان الفكرة فيمن ينقلون الناس من الضلال إلى الهدى، أو بالعكس، أو فيمن ينقلونه من الجهل إلى العلم أو بالعكس، وذلك لأن الله قد أشار إلى ذلك فى قوله تعالى: (يا أيها الذين أمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)، كما عبر عن الذين يعيشون الضلال فى واقعهم بالموتى فى قوله تعالى: (إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولّوا مدبرين)، وهكذا يمكن لعملية الإستيحاء هذه أن تأخذ من الحياة والموت كل الأجواء التى تشارك هذين المعنيين فى تحويل الإنسان من حالة الجمود إلى حالة اليقظة والحركة على مستوى الفكر والعمل والحياة ["١٢٠] . وقد قال فى موضع أخر عن هذه الرواية المروية عن الأمام الباقر عليه السلام": فالإمام فى ذلك يستوحى الحياة المعنوية من الحياة المادية ["١٢١] .

وقفة قصيرة

ولنا هنا مع ما ذكره هذا البعض كلام كثير، لكن بما أن المقام ليس مقام تحقيق وتفصيل، فإننا سوف نقتصر على الإلماح إلى ثلاث نقاط، آثرنا الوقوف عندها، وهى التالية: ١ ـ إن هذا الرجل قد حاول أن ينكر بطون القرآن ـ واعتبرها من المحاولات التفسيرية لبعضهم ـ وقد برهن على مدّعاه هذا بمقولة أن القرآن قد أنزل على طريقة العرب فى التعبير، ليفهمه الجميع بشكل طبيعى، من دون أن يكون فيه أى إشارات رمزية الخ.. ٢ ـ قوله": بل التأويل يمثل عملية الإستيحاء للمعنى من خلال التقاء المعانى ببعضها فى الأهداف التى يستهدفها القرآن، فى القضايا التى يثيرها أمام الناس، والمفاهيم التى يريد أن يوحيها إليهم ".٣ ـ ثم إنه قد ذكر فى مناسبات عديدة أن الأئمة عليهم السلام كانوا يستوحون القرآن، وعقّب على ذلك فى بعض الموارد بقوله": أعتقد أننا يجب أن نستوحى القرآن كما كان الأئمة يستوحونه ["١٢٢] . ونحن نرى ذلك كله إخلالاً ـ فى جهات هامة، حبذا لو سنحت الفرصة لنا للتوسع فى الحديث عنها وفيها، لاسيما بعد أن عرفنا أنه يقصد بالإستيحاء": الإجتهاد، "غير أن علينا أن نتوقف قليلاً أمام تبسيطه القضايا إلى حد

يجعل من فهم القرآن أمراً طبيعياً حيث يقول: فإنه قد نزل على طريقة العرب فى التعبير، ليفهمه الجميع بشكل طبيعى.. إذ إن الأمر ليس بهذه البساطة التى يدعيها، لأنا نبقى جميعاً وبلا استثناء بحاجة إلى النبى (ص)، وإلى الأمام (ع) ليفسر لنا القرآن ويبقى أكثر الناس بحاجة إلى العلماء ليفسروا لهم ما يمكنهم تفسيره. كما أن فى القرآن آيات لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون فى العلم، الذين هم الأنبياء والأوصياء، فليس التأويل الذى يعلمه الأمام مجرد عملية استيحاء للمعنى، بل هو علم من ذى علم، على حد تعبيرهم عليهم السلام.

بطون القرآن و الإستيحاء والتأويل

وعن" أن للقرآن بطوناً "نقول: قد صرّحت الروايات المتواترة بذلك، فلا معنى لإنكار ذلك. ولا صحة لما يحاوله البعض من تفسيره لبطون القرآن بالإستيحاءات، بل هى حقائق ثابتة أخبر المعصوم عنها، وليست مجرد استيحاءات. ومهما يكن من أمر فإننا نشير هنا إلى بعض ما يرتبط بالتأويل، ثم إلى بطون القرآن لنؤكد على حقيقة أننا بحاجة إلى المعصوم، ليعلّمنا التأويل، وليكشف لنا عن غوامضه وبطونه، ويفسره لنا، لأنه لا يتظنّى تأويله، بل يتيقّن حقائقه كما فى الرواية عنهم (ع). أما ما يستوحيه غيرهم فهو من التظنى، وربما يصل إلى حد الحدس والتخمين، بل و التخرص و الرجم بالغيب.

تأويل القرآن

قد يطلق التأويل على التفسير وبيان الوجه الخفى لما ظهر من فعل أو نحوه، وذلك كما فى قول العبد الصالح لموسى (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) وفيما عدا ذلك فإن المتأمل فى آيات القرآن يجد أنه أطلق وأريد منه معنيان: أحدهما: تحقّق مصداق ما تحدّث عنه، وظهور حقيقته فى المستقبل، كما فى قوله تعالى: (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون. هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل: قد جاءت رسل ربنا بالحق، فهل لنا من شفعاء؟) [١٢٣] . وقوله تعالى: (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولما يأتهم تأويله) [١٢۴] . وقال تعالى حكاية عن يوسف: (لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله) [١٢۵] . الثانى: رجوع المتشابه إلى المحكم من آيات القرآن، كما جاء فى قوله تعالى: (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذّكّر إلا أولوا الألباب) [١٢۶] . فظهر مما تقدم: ١ ـ أن التأويل يحتاج إلى تعليم إلهى ولا يصح فيه التخرص والتخمين والتظنّى، فقد قال تعالى بالنسبة ليوسف: (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث، ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب) [١٢٧] . وقال تعالى: (ربِّ قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث، فاطر السموات والأرض، أنت وليّى فى الدنيا والآخرة) [١٢٨] . وقال سبحانه: (وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته، أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا، وكذلك مكّنا ليوسف فى الأرض، ولنعلمه من تأويل الأحاديث، والله غالب على أمره) [١٢٩] . ٢ ـ إن آية سورة آل عمران المتقدمة (لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم) تفيد أن العلم بتأويل آيات القرآن مقصور عليه سبحانه وتعالى، وعلى الراسخين فى العلم، باعتبار أن الواو عاطفة، كما ظهر من الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام فى تفسير الآية، فعن أبى عبد الله عليه السلام: نحن الراسخون فى العلم، ونحن نعلم تأويله [١٣٠] . وعن الباقر أو الصادق عليهما السلام فى تفسير الآية: فرسول الله أفضل الراسخين فى العلم، قد علّمه الله عز وجل جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلّمه تأويله، والأوصياء من بعده يعلمونه كله الخ.. [١٣١] . وعن الفضيل بن يسار، عن أبى جعفر (ع): (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم): نحن نَعلَمُهُ [١٣٢] . وثمة روايات أخرى تدل على ذلك فلتراجع فى مظانها. ٣ ـ وعن الأمام الحسن عليه السلام، فى خطبة له بعد البيعة له ذكر فيها أنهم أحد الثقلين: التالى كتاب الله فيه تفصيل كل شىء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعوَّل علينا

فى تفسيره، لا نتظنى تأويله، بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة الخ.. [۱۳۳] . وما ذلك إلا لأن القرآن ـ كما قال رسول الله (ص) ـ لا ـ تحصى عجائبه، ولا ـ يشبع منه علماؤه.ولعمرى بعد قول الأمام (ع "):لا تنتظنّى تأويله، بل نتيقن حقائقه، " كيف يدّعى البعض لنفسه تأويل واستيحاء القرآن كالإمام (ع)!؟.

بطون القرآن

أما بالنسبة لبطون القرآن فنقول: لقد ثبت وجود بطون للقرآن بالنصوص الكثيرة الواردة من طرق الشيعة وغيرهم، ونذكر منها ما يلى: فى خطبة مروية عن النبى صلى الله عليه واله وسلم يقول: له ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، لا تحصى عجائبه، ولا يشبع منه علماؤه [۱۳۴] . وعنه صلى الله عليه واله وسلم: ما فى كتاب الله آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكل حد مطلع [۱۳۵] . قال ابن المبارك: سمعت غير واحد فى هذا الحديث: ما فى كتاب الله آية إلا ولها ظهر وبطن، يقول: لها تفسير ظاهر، وتفسير خفى، ولكل حد مطلع، يقول: يطلع عليه قوم يستعملونه على تلك المعانى، ثم يذهب ذلك القرن، فيجيء قرن آخر، فيطلعون منه على معنى أخر، فيذهب عليه ما كان قبلهم، فلا ـ يزال الناس على ذلك إلى يوم القيامة [۱۳۶] . وعن ابن عباس قال: إن القرآن ذو شجون، وفنون، وبطون، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن، فظهره التلاوة، وبطنه التأويل [۱۳۷] . وعن الحسن البصرى: ما أنزل الله عز وجل آية إلا ـ ولها ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع [۱۳۸] . وعن ابن مسعود: إن القرآن نزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن، وإن على بن أبى طالب عنده منه الظاهر والباطن. وأوضح من ذلك فى الدلالة على ما ذكرناه، ما نقل عن أبى الدرداء": لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة ["۱۳۹] . وقال على (عليه السلام) لابن عباس، حينما أرسله لِحجاج الخوارج": القرآن حمال ذو وجوه ["۱۴۰] . وليراجع ما روى عن الأمام أبى جعفر (عليه السلام) حول أن للقرآن ظهراً وبطناً فى كتب الأمامية أعزهم الله تعالى [۱۴۱] . بل قال بعضهم: إن الأخبار تدل على أن" للقرآن بطوناً سبعة أو سبعين ["۱۴۲] . وقد ألفوا كتباً فيما تضمنه القرآن، من علم الباطن [۱۴۳] . ومما يدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: (لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به) [۱۴۴] . وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) حول القرآن": فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتى إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم، وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون ["۱۴۵] . وعنهم عليهم السلام": ظاهره أنيق، وباطنه عميق. "وعنهم عليهم السلام": ظاهره حكم، وباطنه علم ["۱۴۶] . وما يشير إلى هذا المعنى كثير جداً لا مجال لاستقصائه، ولعلّ إلى جميع ذلك يشير ما ورد عن الأمام الصادق عليه السلام، وعن الأمام الحسين عليه السلام: كتاب الله على أربعة أشياء، على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق؛ فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء [۱۴۷] .

اهل البيت يعلمون بطون القرآن

وقد دلت الأحاديث السابقة على أن علياً عليه السلام و هو نفس النبى (ص) وأبناءه الأئمة الهداة عليهم السلام يعرفون حقائق القرآن ولطائفه، وبطونه، وهم الواقفون على أسراره؛ السابرون لأغواره، الخائضون لغماره، والمستخرجون للكنوز من أعماق بحاره. ومما يدل على وجود البطون، وعلى أن الأئمة عارفون بها، واقفون عليها ما روى عن على عليه السلام: لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً فى تفسير فاتحة الكتاب [۱۴۸] . وعنه عليه السلام: لو شئت لأوقرت بعيراً من تفسير: بسم الله الرحمن الرحيم [۱۴۹] . وفى حديث آخر عنه: لو شئت لأوقرت أربعين بعيراً من شرح بسم الله [۱۵۰] . وعن الغزالى عنه عليه السلام أنه لو أذن له الله ورسوله لشرح معانى ألف الفاتحة حتى يبلغ أربعين وقراً أو جملاً [۱۵۱] . وفى نص ثالث عنه عليه السلام: لو شئت لأوقرت ثمانين بعيراً من معنى الباء [۱۵۲] . وعن ابن عباس قال: يشرح لنا على عليه السلام نقطة الباء من بسم الله الرحمن الرحيم ليلة؛ فانفلق عمود الصبح، وهو بعد لم يفرغ [۱۵۳] . و نقول: ۱ ـ إنه قد لا يكون ثمة منافاة بين حمل البعير الواحد، والأربعين والثمانين بعيراً؛ إذا كان عليه السلام قد قال ذلك فى مناسبات

مختلفة، واقتضت كل مناسبة منها أن يشير إلى مستوى معين من المعانى والمعارف، فإن ذكر الأقل لا ينافى ذكر الأكثر ولا يناقضه، فهو لو شاء لأوقر بعيراً، ولو شاء لأوقر أكثر من ذلك إلى الأربعين، بل لو شاء لأوقر ثمانين بعيراً أيضاً. ٢ ـ إن سعة علم على عليه السلام وغزارته مما لا يختلف فيه اثنان؛ كيف وهو باب مدينة علم النبى (ص)، وقد علمه رسول الله (ص) ألف باب من العلم، يفتح له من كل باب ألف باب. وقد أثبت عليه السلام عملياً ما يقرّب إلى الأذهان معقولية تلك الأقوال والنقول و واقعيتها. ٣ ـ إنه عليه السلام بقوله هذا يريد أن يفتح الآفاق الرحبة أمام فكر الإنسان لينطلق فيها، ويكتشف أسرار الكون، والحياة، ويتعامل معها من موقع العلم والمعرفة، وليقود مسيرة الحياة من موقع الطموح، والهيمنة الواعية والمسؤولة. ۴ ـ إن هذه الأرقام ليست خيالية بالنسبة لسورة الفاتحة، التى هى أم القرآن، وهى السبع المثانى التى جعلت عِدْلاً للقرآن العظيم فى قوله تعالى (ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم) [۱۵۴] كما روى [۱۵۵] . كما أن ذلك ليس بعيداً عن بسم الله الرحمن الرحيم، أعظم آية فى كتاب الله العزيز، كما روى عن الإمامين الصادق، وأبى الحسن الكاظم عليهما السلام [۱۵۶] . أما بالنسبة لحديث نقطة الباء فلا ندرى مدى صحته، بعد أن كان المؤرخون يذكرون أن تنقيط الحروف قد تأخر عن عهد على عليه السلام بعدة عقود من الزمن. إلا أن يكون ثمة نقط لبعض الحروف فى أول الأمر، ثم استوفى النقط لسائرها بعد ذلك.

مناوئوا على و حساده

وحين رأى حساد على عليه السلام، ومناوئوه المتسترون: أن علياً عليه السلام قد ذهب بها فخراً ومجداً وسؤدداً فى جميع المواقع، وفى مختلف الجهات، انبروا ليدَّعوا لأنفسهم ما هو أعظم من على (ع)، ومن علم على (ع)، رغم أن كل أحد يعرف مبلغهم من العلم، ويعرف نوع ومستوى ما يتداولونه من أمور عادية مبتذلة، أطلقوا عليها اسم العلم، وهى أبعد ما تكون عنه، وذلك بسبب ما فيها من شوائب وأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان؛ فلنقرأ ما يقوله هؤلاء عن أنفسهم فى انتفاخات وادعاءات استعراضية خاوية. فقد ادعى أعظم مفسريهم الفخر الرازى: أنه يمكن أن يستنبط من فوائد سورة الفاتحة عشرة آلاف مسألة [۱۵۷] . كما يدعون: أن أبا بكر ابن العربى قد استنبط من القرآن بضعاً وسبعين ألف علم [۱۵۸] . أما البكرى، فقد تكلم على بعض علوم البسملة فى سنين بكرة كل يوم فى الأشهر الثلاثة منه، وقال فى بعض مجالسه: لو أردت التكلم على ذلك العمر كله لم يفِ، أو كما قال [۱۵۹] . بل إن البكرى قد تكلم فى نقطة البسملة فى ألفى مجلس ومائتى مجلس. ونقول: حدث العاقل بما لا يليق له، فإن لاق له فلا عقل له، ونحن لا ندرى كيف لم تظهر فرق ومذاهب من الغلاة فى البكرى يقدسونه، بل ويؤلهونه، كما غلا بعض الناس فى على عليه السلام حتى ألّهُوه؟!! ولا ندرى أيضاً كيف ضاعت تلك العلوم التى نشرها البكرى فى محاضراته تلك؟! وكيف لم يحفظها تلاميذه ولم ينشروها فى سائر الأقطار والأمصار، ليستفيد منها الناس، فى أمور معاشهم ومعادهم؟!! وليت الناس قد نقلوا لنا ولو أسماء وهمية للعلوم التى استنبطها أبو بكر ابن العربى من القرآن !! وتلك هى مؤلفات هذا الرجل متداولة بين الناس، ولا نجد فيها أى رائحة لهذه العلوم، بل لا نجد فيها أى تميز لها عما سواها من مؤلفات أقرانه، ومن هم على شاكلته، إن لم نقل: إن فى الآخرين من هو أكثر براعة منه، وأدق نظراً. ومهما يكن من أمر، فإن هذه الأكاذيب والأباطيل لن تستطيع أن تنال من المقام الشامخ والباذخ لعلى عليه السلام، ونقول هنا نفس ما قالته الحوراء زينب عليها السلام ليزيد لعنه الله: (فكد كيدك واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، وهل رأيك إلا فند وجمعك إلا بدد، وأيامك إلا عدد)؟!! فصلوات الله وسلامه عليها، وعلى جدها النبى الأعظم، وأمها الزهراء وعلى أبيها أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، وقائد الغرِّ المحجلين إلى جنات النعيم، ورحمة الله وبركاته.

خلاصة و بيان

وبعد ما تقدم كله نقول: لماذا ينسب القول بأن للقرآن بطناً وظهراً إلى الشيعة فقط؟!! ولماذا أيضاً يشنعون على الشيعة إذا تفوهوا بهذا

الأمر، أو كتبوه، إذا كانت الروايات الدالة عليه موجودة عند غيرهم، كما هى موجودة عندهم؟! وإذا كان معنى الظهر والبطن هو أن يكون ذلك المعنى الذى يزاح عنه الستار مما يمكن للفظ أن يتحمله، و للمتكلم أن يقصده ليكون بالنسبة للبعض بمنزلة البطن لهذا المعنى المكشوف؛ فأى محذور عقلى أو شرعى يحصل من الالتزام بهذا؟!! فليكن ـ و الحال هذه ـ للقرآن بطون سبعة بل سبعون، أو أكثر، يكتشفها هذا الإنسان كلما ترقى فى مدارج العلم والمعرفة، أو يكشفها له الأئمة الأطهار (ع) الراسخون فى العلم و السابقون فى العمل، الذين أشار إليهم ـ كما تقدم ـ القرآن الكريم ـ صلوات الله و سلامه عليهم.

النبوة و معالمها و أمور عقائدية عامة حول الأنبياء

سمات الأنبياء.. و مستوياتهم

بداية

نذكر فى هذا الفصل مقاطع من كلمات البعض حول ملامح النبوة العامة وحول أنبياء الله (عليهم السلام) وتصرفاتهم وحالاتهم مع الله سبحانه وتعالى، ومع الناس، وحركتهم فى الحياة وأساليبهم، نحسب إنها تكفى لإعطاء تصور دقيق عن نظرة هذا الرجل إليهم وإلى دورهم، ومواقفهم، ولتقديم الدليل الحى على حقيقة ما وكيف يفكر هذا البعض تجاه القضايا الإسلامية والإيمانية وغيرها. وحيث إن فريقاً من الناس هم فى منأى عن وعى هذه الحقيقة بصورة كافية وسليمة، فقد رأينا من اللازم الوقوف عند العهد الذى قطعناه على أنفسنا بضرورة ذكر طائفة كبيرة من الموارد تعطى بمجموعها تصوراً أوفى عن تشعب وتخالف وتنوع القضايا التى تعرض لها، وعن أن ذلك يدخل فى دائرة نهج تشكيكى عريض له ميزاته وخصائصه، التى تهىء من خلالها الفرصة لتكوين تيار يحاول الإنفصال عن القاعدة الإيمانية الأم، ليواصل هجرته عنها إلى غيرها. ولربما نلمح فى ضمن أسطر يسيرة إلى بعض أوجه الخلل ومواقع الإشتباه فيما يرتبط بتفسير الآيات القرآنية، وقد نهمل ذلك اعتماداً على وضوح فساد الفكرة المطروحة، فإلى ما يلى من مطالب وموارد نقرؤها فى الصفحات التالية: ضعف النبى بشريا فى أكثر من موقع. النبوة لا تفرض الكمال. القرآن لا يريد إعطاء النبوة هالة مقدسة. وبعد، فإن نظرة هذا البعض للنبوة وللأنبياء نظرة عجيبة وغريبة، فهو يقول فى قصة النبى آدم عليه الصلاة السلام": إننا نستفيد منها نقطتين: الأولى: أن النبوة تلتقى بمواقع الضعف البشرى فى الإنسان فى أكثر من موقع،ولا تفرض الكمال الذى يبتعد عن المواقع الطبيعية لديه. الثانية: أن القرآن لا يريد إعطاء النبوة هالة مقدسة،غائمة فى مجال التصور ["١٦٠] . وظاهر العبارة لا يأبى عن القول: إن النبى قد يقع فى ما يخالف العصمة،مما يلتقى فى مواقع الضعف البشرى، وإرادة خلاف ذلك تحتاج إلى بيان. أما حديثه عن" الهالة المقدسة والغائمة، "فإن كان يقصد به: أن القرآن لا يعطى انطباعا عن الرسول يفيد أن لديه قدرات تفوق قدرات البشر.. فكيف يجيب عن ما يذكره القرآن من إحضار عرش بلقيس من قِبَلِ من لم يكن نبيا، بل كان من أتباع أحد الأنبياء؟ وماذا يصنع بإحياء عيسى (ع) للموتى، وإبراء الأكمه والأبرص؟ وبقاء يونس (ع) فى بطن الحوت؟ والإسراء والمعراج؟ وما إلى ذلك. وإن كان يقصد به أنه ليس للأنبياء أى تميز فى أنفسهم، فذلك معناه عدم صحة ما ذكره القرآن من أمر الله للملائكة بالسجود تحية وتكريما له، وكذلك ما ورد حكاية عن قول عيسى عليه السلام (وجعلنى مباركا أينما كنت..) (الآية)، وعدم صحة ما ورد من أن النبى (ص) والأئمة (ع) كانوا أنوارا قبل خلق الخلق، أو فى الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة. أليس هذا الأمر مقبولاً ومتواترا عند الشيعة وعند السنة أيضا؟!! ألا يعطيهم ذلك هالة مقدسة، ويفرض كمالا يبتعد عن المواقع الطبيعية لديهم؟! فهل الاقتراب من تصور مواقع الأنبياء الطبيعية الواقعية، يقتضى منا أن نكذب كل ما دل على قداستهم؟! لا أسرار فوق العادة فى شخصية الأنبياء. الضعف فى طبيعة الروح للأنبياء. أوضاع سلبية فى التصور والممارسة لدى الأنبياء. وهو يقول": إن الأسلوب القرآنى لا يريد أن يعمق فى ذهننا الإسلامى الفكرة التى تتحدث عن شخصية الأنبياء، بالمستوى الذى يوحى بأنّ هناك أسرارا فوق العادة تكمن فى داخل شخصيتهم، فى ما هى الخصائص الذاتية للشخصية،

فهناك أكثر من نقطة ضعف خاضعة للتكوين الإنسانى فى طبيعة الروح والجسد. ويمكن أن تتحرك لتصنع أكثر من وضع سلبى على مستوى التصور والممارسة ["١٦١] . ونلاحظ أننا لا نعرف مدى هذا الضعف الروحى للأنبياء،الذى تنشأ عنه أوضاع سلبية على مستوى التصور والممارسة. فقد يظهر ذلك فى صورة أخطاء فى السلوك وفى تلقى الوحى، أو فى سلوكهم الأخلاقى، وحتى فى دائرة الإيمان والكفر وغير ذلك مما قد يناله هذا الضعف الروحى ويؤثر فيه. حيث لا يوجد أية ضمانة، وأية حدود يمكن أن ينتهى إليها.. وقد ظهر ذلك فيما يأتى من أمور نسبها إلى الأنبياء، إذا لوحظت جميعا فإنها تظهر أن الضعف الذى يتحدث عنه لا حدود له ولا قيود.. ومع غض النظر عن ذلك، فإن مراجعة التراث الإسلامى تعطينا أن لأنبيائنا ولأئمتنا عليهم السلام مقامات عظيمة،وأن هناك أسرارا فوق العادة فى شخصياتهم،حتى لقد روى عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال لعلى (عليه السلام"): يا على ما عرف الله حق معرفته غيرى وغيرك،وما عرفك حق معرفتك غير الله وغيرى. "ويكفى أن نشير إلى حديث الأنوار المروى عن نبينا (ص) عند الشيعة والسنة،بل لقد رواه السنة عن ثمانية من الصحابة، فضلا عما روى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما أن الأئمة وفاطمة عليهم السلام هم موضع سر الله سبحانه كما صرحت به الأحاديث الشريفة. نسيان المعصوم فى أمور الحياة الصغيرة. وعن نسيان المعصوم يقول": لا ـ نجد هناك أى دليل عقلى أو نقلى يفرض امتناع نسيان النبى لمثل هذه الأمور الحياتية الصغيرة، لأن ذلك لا يسىء إلى نبوته من قريب أو بعيد. ولكن ربما نلاحظ ـ فى هذا المجال ـ أن النبى إذا كان لا ينسى أمر التبليغ كما هو المتفق عليه بين المسلمين ـ فلا بد أن يكون ذلك من خلال ملكة ذاتية تمنعه من النسيان بحيث تجعل وجدانه واعيا للأشياء فلا تغيب عنه عندما ينفصل عنها.. مما يجعل المسألة غير قابلة للتجزئة، كما هى القضايا المتصلة بالملكات النفسية.. وقد يثير البعض أمام هذه الملاحظة أن مسألة التبليغ قد تكون موضعا لتدبير إلهىّ غير عادى من أجل حفظ الرسالة عن الضياع أو التحريف بحيث يعطى وجدانه الرسالى إشراقة قوية، تختلف عن وعيه للأشياء الأخرى والله العالم ["١٦٢] . فهو إذن لا يجد أى دليل عقلى أو نقلى يمنع من نسيان هذه الأمور الحياتية الصغيرة.. وحين تحدث عن أن عدم النسيان فى التبليغ يدل على وجود ملكة تمنع من النسيان فى كل شىء، سجل إشكالا نسبه إلى البعض، مفاده: أن عدم النسيان فى التبليغ لا يكشف عن وجود ملكة،بل قد يكون نتيجة تدبير إلهى.. ثم لم يتحفظ على هذا الإشكال ولا أجاب عليه. ونتيجة لذلك فإن قوله": لا نجد هناك أى دليل عقلى أو نقلى يفرض امتناع نسيان النبى لمثل هذه الأمور الحياتية الخ "..يبقى محتفظا بقوته وبدرجة اعتباره. سهو المعصوم فى الأمور الحياتية. ويقول": على أن هناك من يتحدث عن أن السهو عن بعض الأشياء التى لا تتصل بالتبليغ على أنه لا ينافى العصمة، وطبعا هناك وجهة نظر أخرى لا تقول ذلك. وهذا الرأى ليس رأيا مطلقا بالنسبة للسهو والنسيان، بل هناك من يقول أن السهو ليس منافيا للعصمة فى القضايا الحياتية، ونحن نقول بذلك ["١٦٣] . لا يجب أن يكون النبى هو الأعلم فى كل شىء. يقول البعض": أما وجوب أن يكون النبى أعلم الأمة فى كل شىء، حتى ما لا علاقة له بمهمّته الرسالية، ولكن الله قد يعلمه من ذلك ما يحتاجه فيه، أو إذا أراد علم، فليس لدينا دليل على هذا [" ١٦٤] . أحاديث الأسرار الخفية فى الأنبياء أحاديث مبالغة. أحاديث الأجواء النورانية فى أجواء القدس للأنبياء مبالغة. أحاديث الأسرار والأجواء النورانية لا تملأ الوجدان. أحاديث الأسرار والأجواء النورانية لا تغنى الفكر. يقول البعض": ونلاحظ فى هذا الإتجاه كيف يتحدث الله عن إبراهيم (ع) كنموذج حى للنبى المطيع والموحد له والذى اختاره الله لرسالته وهداه إلى صراط مستقيم وذلك هو الحديث عن الأنبياء فى الدائرة الإنسانية المنفتحة على ساحة المسؤولية بين يدى الله.. من دون الدخول فى أحاديث المبالغة التى تتحدث عن الشخصية الغامضة ذات الأسرار الخفية والآفاق النورانية السابحة فى أجواء القدس.. وغير ذلك من الكلمات التى قد تثير فى داخلك الكثير من مشاعر التعظيم ولكنها لن تثير فى نفسك المعرفة التفصيلية التى تملأ وجدانك وتغنى فكرك ["١٦٥] .

وقفة قصيرة

لا ـ ندرى كيف سوّغ هذا البعض لنفسه أن يحكم على الأحاديث المروية عن رسول الله (ص) وعن أهل بيته الطاهرين (ع)، والتى لا

يملك دليلاً ـ صالحاً بأنها" أحاديث مبالغة "ومن أين عرف أنها كذلك؟! وكيف ولماذا؟!. فهل أطلعه الله على غيبه، فعرف أنها أحاديث لا حقيقة لها ولا واقع وراءها؟ وهل يصح من رسول الله (ص) والأئمة الطاهرين (ع) أن يبالغوا فى الأمور، ويتكلموا بغير ما هو حق وواقع؟!. أم أنه يريد أن يحكم على هذه الأحاديث بأنها موضوعة ومكذوبة. لمجرد استبعادات ذهنية خطرت له!؟. وهل يستطيع أن يحكم على هذه المئات بل الألوف من الأحاديث التى تتحدث عن قدسيتهم ومقاماتهم الشريفة عليهم سلام الله وما أعده الله لهم، وما لهم من شأن عند الله، هل يستطيع أن يحكم على ذلك كله بالوضع والافتعال؟. أليست هذه الأحاديث فوق حد التواتر الإجمالى الذى يعلم معه على نحو اليقين صدور جزء من هذه الأحاديث عنهم عليهم السلام، مما يعنى قطع الطريق على ردها وتكذيبها. وقد تقدم فى أوائل هذا الفصل ما ينفع هنا فليراجع. وإذا كان سبب حكمه على هذه الأحاديث بأنها مبالغة هو أنها لن تثير فى نفسه المعرفة التفصيلية، فهل يصلح هذا مبرراً لإصدار حكمه هذا عليها؟. وهل إن كل ما لا نستطيع معرفته بالتفصيل تطرح معرفته الإجمالية ويحكم عليه بأنه مبالغات؟ وهل نستطيع أن نجرى هذه القاعدة حتى بالنسبة إلى ما ورد فى القرآن من حديث عن أمور لا ـ نملك معرفة تفصيلية فيها؟!.. كما صرح هو نفسه بهذا الأمر فى موارد تعد بالعشرات فى كتابه (من وحى القرآن)، حيث يطلب باستمرار أن نجمل ما أجمله القرآن، ولا نرجع إلى التفاصيل التى تكفّل بها الحديث الشريف.. فهل تعتبر تلك الموارد القرآنية من أحاديث المبالغة؟ فنطرح ما علمناه منها بالإجمال؟!. الدور الرسالى.. يفجر المشكلة من الداخل، ويحولها إلى صراع يثير النزاع والخلاف والإهتزاز.. ويقول البعض": ذلك لأن الدور الرسالى يمثل إرادة التغيير فى المفاهيم والوسائل والأهداف.. وتفجير المشكلة من الداخل وتحويلها إلى حالة صراع يثير النزاع والخلاف والإهتزاز وتجاذب المواقف.. من أجل أن تكون النتائج النهائية خاضعة لعملية غربلة وتقييم وتفتيت للواقع الذى يراد تغييره.. لئلا تبقى الرواسب الماضية عقبة نفسية أمام التغيير الداخلى الذى يفسح المجال لتغيير الواقع.. وهكذا أراد الله لرسوله (ص) أن يتجاوز كل المخاوف التى قد تعطل الحركة وتمنع المبادرة وتربك المسيرة.. يا أيها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربك [".. ١٦٦] .

وقفة قصيرة

لا نريد أن نتهم هذا البعض بأنه يريد التسويق للفكرة التى تقول": إن كل شىء يحمل نقيضه فى داخله. "ولكننا نقول: إننا لا نتفاعل كثيراً مع قوله: إن الدور الرسالى يعمل على تفجير المشكلة من الداخل وتحويلها إلى حالة صراع يثير النزاع والخلاف والاهتزاز.. فهل يسمح لنا بهذا المقدار من التحفظ على هذا القول؟ إذ كيف نقبل بأن يقال: إن الدور الرسالى هو دور يثير النزاع، والخلاف، والإهتزاز، نعم ربما استلزم الدور الرسالى ذلك أحيانا؛ لكن هل هذا الأمر أعنى إثارة النزاع والخلاف هو من مقدمات الدور الرسالى كما يظهر من كلام هذا الرجل؟! كلا، وحاشا!. عجز النبى عن الإتيان بالخوارق، إلا فى مواقع قريبة من التحدى. الوحى هو الفارق بين النبى وبين والناس. لم نعهد تحدُّث النبى عن المغيبات فى المجتمع لا فى الشؤون العامة ولا الخاصة. لم تحتج الرسالة إلى الحديث عن المغيبات العامة أو الخاصة. ويقول البعض.. ": وقد يلاحظ المتأمل فى القرآن أن الآيات تؤكد دائما على جانب الوحى كفارق بين الناس و بين النبى، كما تثير مسألة عجزه الذاتى عن القيام بكل الأمور الخارقة للعادة فى غير النطاق المحدود للمعجزة فى طبيعتها القريبة من مواقع التحدى الذى يجتذب ذلك للمحافظة على شخصية الرسالة وفاعليتها فى المجتمع.. كما أن هناك نقطة مهمة فى سيرته، وهى أنه لم يُعهد عنه التحدث بالمغيبات فى مجتمع المسلمين فيما يتعلق بشؤونهم العامة والخاصة لأن رسالته لم تحتج إلى ذلك [" ١٦٧] .

وقفة قصيرة

١ ـ لا نريد أن نقول: إن مما يؤسف له اشد الأسف أن يكون مقام النبى (ص) قد نزل إلى درجة أنه لم يعد الفارق ـ بنظر البعض ـ بينه

وبين الناس إلا الوحى. فقد يتهمنا البعض ـ كما عودنا ـ بأننا نفهم كلامه بطريقة غرائزية أو من خلال العقدة، أو ما إلى ذلك. ولكننا نريد أن نقول: ماذا تعنى دعوى كون هذا النبى عاجزاً ذاتاً عن أى أمر خارق للعادة فى غير النطاق المحدود للمعجزة، فيما هو قريب من مواقع التحدى. فهل معنى ذلك هو أن كل ما ورد من أحاديث فى مناقبهم، وخوارق عاداتهم فى غير مواقع التحدى مكذوب ومخالف للواقع؟!. أو هل أن هذا البعض يرى.. أن هذه المئات من خوارق العادات التى صدرت عن النبى (ص) وعن الأئمة (ع) قد كانت كل مفردة منها فى مواقع قريبة من التحدى؟. فهل كان ذلك الرجل الذى دخل على الأمام الصادق (ع) وكان قد ارتكب مخالفة مع الجارية على الباب، فأخبره الأمام (ع) بما كان منه [١٦٨] ، هل إن ذلك الرجل كان فى مواقع قريبة من التحدى؟! وهل كان ذلك الرجل الذى دخل على الأمام الصادق (ع) والإمام الحسين (ع) وهو جنب، فنهاه (ع) عن ذلك [١٦٩] ، هل كان هو الآخر فى موقع قريب من مواقع التحدى؟! وحين جاء رجل إلى النبى ليفدى أسيراً له وكان معه عدد من الجمال فاستحسن جملا منها وخبأه فى الطريق، فأخبره النبى (ص) بذلك، هل كان ذلك الرجل فى موقع التحدى؟!. وحين اشتكى ذلك الجمل صاحبه إلى النبى (ص)، هل كان النبى (ص) فى موقع التحدى؟ [١٧٠] . وحين سبّح الحصى بيده الشريفة، وحين حنّ الجذع إليه، ونبع الماء من بين أصابعه، وأطعم الجيش كله من فخذ شاة، وكلّمه كتف الشاة بأنه مسموم، وطلبت الغزالة منه أن تذهب لإرضاع ولدها ثم تعود، وغير ذلك مما يعد بالمئات من المنقول عنه (ص)، وكذا الكثير مما نقل عن الأئمة الطاهرين عليهم صلوات الله وسلامه، وكذلك حين تحدثت النملة عن سليمان وجنوده، وغير ذلك، هل كان ذلك كله فى مواقع التحدى. أو أن ذلك من الأكاذيب والموضوعات!؟. ٢ـ إن الآيات حين أكدت على افتراق النبى (ص) عن سائر الناس بالوحى، فإنما أرادت أن تحصن كلامه عن التشكيك والريب: (وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى). أو أرادت أن تنفى عنه (ص) صفة الألوهية، أو صفة الملك، التى يريد الكفار أن يجدوها فيه. ولم تذكر هذه الآيات أبداً.. أن الفارق بين النبى (ص) وبين الناس محصور بالوحى بحيث لا يملك أية ميزة أخرى سوى ذلك. على أنه إذا كان الفارق بين النبى وبين الناس يقتصر على خصوصية الوحى ـ كما هو صريح كلام هذا الرجل هنا ولم يزل يردد ذلك فى كثير من المواضيع ـ فإن السؤال الذى نطلب الإجابة عليه هو: ما هو الفارق بين الأمام وبين سائر الناس يا ترى، فإن الأمام لا ـ يملك خصوصية الوحى التى يتحدث عنها هذا الرجل؟!.. ٣ ـ إن تعبير هذا الرجل بـ (العجز الذاتى) لا يغير فى الحقيقة شيئا، لأن من يثبت هذه الكرامات والمعجزات للأنبياء والأصفياء، لا يدعى استغناء هذا النبى عن قدرة الله تعالى، لأن الفقر هو قوام كل من عداه سبحانه. والأنبياء والأصفياء هم أولى الناس بتذكر هذه الحقيقة، وبالتذكير بها على الدوام. ٤ ـ وأما أنه لم يعهد من النبى (ص) التحدث فى المغيبات فى الشؤون العامة والخاصة. لأن الرسالة لم تحتج إلى ذلك. فلا ندرى كيف نفسره، وتلك هى كلمات النبى (ص) والأئمة (ع) التى يخبرون فيها عن العشرات بل المئات من المغيّبات فى الشؤون العامة والخاصة، قد زخرت بها المجاميع الحديثية السنية والشيعية، وغيرها من مؤلفات علماء الإسلام. فكيف يقول: لم نعهد أن النبى تحدث بشىء من ذلك؟. هذا عدا عما ورد فى القرآن من إخبارات غيبية كثيرة، يتداولها الناس ويسألون عنها باستمرار، كما فى قوله تعالى (الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون) وقوله تعالى (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا، أولى باس شديد فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولا..). فكيف يقول: إن الرسالة لم تحتج إلى الحديث عن المغيّبات، لا العامة منها ولا الخاصة؟. ولماذا امتدح تعالى فى كتابه المؤمنين بالغيب؟ إلا أن يدّعى هذا البعض: أن الله سبحانه قد تحدَّث بأمور لا فائدة فيها، ولم تكن لها مناسبة تقتضيها. أو أن يكذّب بكل هذا المنقول الذى لا يرتاب أحد فى تواتره الإجمالى.! أو أن ينكر كل ما نقل عن الأئمة عليهم السلام فى هذا السبيل.! فإنه إذا لم يحتج مجتمع المسلمين إلى الحديث عن المغيّبات فى المجتمع فى الشؤون العامة أو الخاصة؛ فهل احتاج المسلمون إلى ذلك بعدها حتى زخرت كتب الحديث والتاريخ بما أخبر به على عليهم السلام من بعده.؟ وما الفرق بين أن يحدثنا الكتاب العزيز عن هذه المغيّبات، أو يحدثنا بها وعنها أحد المعصومين عليهم السلام. سوى قطعية الصدور فى الكتاب ولزوم التثبت والتأكد من السند فى الثانى. تفضيل نبى على نبى مبعث خصام وانقسام. تفضيل

الأنبياء على بعضهم هو فى مواقع العمل. تفضيل الله لبعض الأنبياء لا يمثل مسؤوليةً لأتباعهم. التفضيل هو فى نوعية الكتب. التفضيل فى طبيعة المعجزة. لا تستغرقوا فى الأنبياء كأشخاص (كلام تكرر عشرات أو مئات المرات فى خطبه وفى كتبه). لا فائدة فى الوقوف عند تفضيل نبى على نبى. يقول البعض(": ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض..) فيما ميزناهم به من مواقع العمل، وطبيعة المعجزة، ونوعية الكتب، من قاعدة الحكمة التى أقام الله الحياة عليها [".. ١٧١] . ويقول فى موضع آخر.. ": وربما كان لنا أن نستوحى من ذلك.. أن الله يريد أن يعلمنا ويقول لنا.. لا تستغرقوا فى الأنبياء كأشخاص، بل استغرقوا فيهم، كخط وكهدى وكرسالة.. ولا تقولوا إن هذا النبى أفضل من ذاك، ليكون ذلك مبعث خصام وخلاف وانقسام فيما بينكم، لأنهم لا يعيشون فى حياتهم هذا الهاجس، ولا يتحركون من أجل تأكيده، وإن كان الله قد فضّل بعضهم على بعض، لكن ذلك لا يمثل مسؤولية أتباعهم، ولا يباعد بين خطواتهم.. بل كل ما هناك هو السير على الخط الذى ساروا عليه، فى اتجاه الهدف الذى استهدفوه، لأن الله هو الذى يفاضل بينهم، فى الدرجات عنده، بعد أن فاضل بينهم فى المسؤوليات فى الحياة، وليس لنا فى ذلك دخل من قريب أو من بعيد، فلنقف حيث يريد الله لنا أن نقف، ولنوفّر على أنفسنا جهد البحث فيما لا سبيل لنا إلى الإحاطة به ولا فائدة لنا فى الوقوف عنده، ولنذّخر تفكيرنا لما أرادنا الله من الخوض فى معرفته، والجهاد فى سبيله، وهو الرسالة من خلال قيادة الرسول، فى الفكر والحركة والعمل ["١٧٢] .

وقفة قصيرة

أما بالنسبة للحديث عن تفضيل نبى على نبى، فإننا نقول: أولاً: قد ادعى هذا البعض أن الحديث عن تفضيل نبى على نبى يوجب الخلاف والخصام والإنقسام. مع أننا لم نجد فى كل الحقب التاريخية أى مفردة تشير إلى أى نزاع نشأ عن الحديث عن تفضيل نبى على نبى، فضلا عن أن يكون، هناك خصام أو انقسام بسبب ذلك. ثانياً: إننا لم نعرف كيف تكون نوعية الكتب من أسباب تفاضل الأنبياء، فأيهما أفضل إبراهيم (ع) الذى جاء بالصحف فقط؟! أم موسى (ع) الذى جاء بالتوراة والألواح والصحف أيضا؟! وأيهما أفضل موسى (ع) صاحب التوراة أم عيسى (ع) صاحب الإنجيل؟! ثالثاً: قوله إن الأنبياء يتفاضلون بحسب طبيعة المعجزة أيضا، يثير لدينا السؤال، كيف نفهم أن التفاضل بين إبراهيم (ع) وعيسى (ع) وموسى (ع) عن طريق المعجزة؟ وهل أنزال التوراة والألواح زيادة على الصحف، يعنى أن موسى (ع) كان أفضل من إبراهيم (ع)؟ إن ذلك لا يقبل به أحد. رابعاً: قوله إن التفاضل بين الأنبياء إنما هو فيما ميزهم به من مواقع العمل، فإن ذلك يطرح امامنا أسئلة كثيرة؛ فهل كان موقع العمل من الأنبياء مختلفاً، فيشتغل أحدهما بتبليغ الدين، ويشتغل الآخر بأمر آخر غير ذلك؟!. أم أن المقصود بمواقع العمل، هو أن يكون شغل هذا مع بنى إسرائيل، وشغل ذاك مع آخرين، وهذا مع عاد، وذاك مع ثمود.. وهكذا؟!.. ثم إننا لا ندرى لماذا يصر هذا الرجل على كون المفاضلة هى فى المسؤولية فى الحياة، ولا ربط لها بمقاماتهم الغيبية سلام الله عليهم. مع انه لا يملك دليلا على دعواه هذه.. سوى الادعاء والاستحسان!. خامساً: إن كان يريد: أن التفاضل فى المسؤولية هو الموجب للتفاضل فى الآخرة وعلو الدرجات؛ بسبب كثرة العمل الناشئ عن حجم المسؤولية، فمعنى ذلك:هو أن لا يبقى ثمة من فرق فى ذات الأنبياء بين نبى ونبى، وذلك يعنى، أن ما جوّزه هذا البعض على يونس (ع) وآدم (ع)، ونوح (ع)، وموسى (ع) والخ.. لا بد أن يجوّز صدوره من نبينا الأكرم (ص)، فيمكن أن يكون نبينا (ص) ساذجاً وأن يرتكب معاصى، تشبه معصية إبليس، ثم يتوب كما جرى لآدم (ع)، وأن يرتكب جرائم دينية، ويقتل انفساً بريئة، وأن لا يعرف تكليفه الشرعى فيما يرتبط بهداية الناس، كما يزعم البعض جريانه فى حق موسى (ع) وهارون (ع)، وأن.. إلى آخر القائمة التى سنذكرها قريباً. فان كان مراده غير ذلك، فعليه أن يشرح لنا كيف ومن أين جاء ارتفاع الدرجات وتدانيها فى الآخرة. سادساً: ليت هذا البعض يدلنا على وجه التفاضل بين مسؤولية إبراهيم (ع) ومسؤولية نبينا الأكرم (ص)، أو مسؤولية عيسى، ومسؤولية سليمان عليهم السلام. سابعاً: إن قول هذا البعض: إن تفضيل الله تعالى بعض الأنبياء على بعض لا يمثل مسؤولية أتباعهم..غير سديد،فقد حدثنا النبى والأئمة عليهم السلام عن أفضلية السيدة الزهراء، عليها السلام على مريم بنت عمران، وعن أفضلية الأمام المهدى (عجل الله تعالى فرجه الشريف)

على بقية التسعة من ذرية الأمام الحسين عليه السلام. وعن أفضلية الأمام أمير المؤمنين على الحسن والحسين عليهم السلام: (وأبوهما خير منهما). وحدثونا أيضاً عن أفضلية سلمان إلى غير ذلك مما لا مجال لاستقصائه، أضف إلى ما تقدم أن على الإنسان المؤمن أن يلتزم خط القرآن، ونهج أهل البيت عليهم السلام فى كل تفاصيله وحيثياته،فلا يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعضه الآخر. بل عليه أن يؤمن بكل ما جاء به، ولا حرج عليه من الجهر بحقائقه، رضى الناس لأجل ذلك أم غضبوا، وكذا الحال فيما جاء به الرسول الكريم، والعظيم، لا بد من الالتزام به ولا حرج من التصريح به ونشره وإشاعته. ثامناً: لو سلمنا حصول نزاع بسبب الجهر ببعض الحقائق الدينية؛ فإن ذلك لا يمنع من نشرها وبلورتها فى أذهان وعقول الناس على نحو لا توجب التنازع، لا أن تلغى هذه المعانى من أساسها واللازم على المتنازعين الذين يخالفون أمر الله أن يكفّوا عن نزاعهم الذى لا يرضاه الله، وان يلتزموا بحقائق الدين مهما كانت، ولولا ذلك للزم الكف عن تبيان أية حقيقة دينية اختلف عليها المسلمون، فلا نتحدث عن الإمامة والإمام، ولا عن غير ذلك من التعاليم والأحكام، لأن ذلك يغضب فريقا من الناس وهو من أسباب انقسام الناس قطعا إلى فريقين. ولنفرض جدلا، صحة ما يدّعى من نزاع أو خصام؛ وصحة لزوم التحاشى عن ذكر مثل هذه الأمور، فإنما تقدّر الضرورات بقدرها، وبالتالى يكفّ عن ذلك حيث ينشأ عنه خصام وحيث يلزم منه تضييع الدين الواجب حفظه والعمل به، ولا يكفّ عنه حيث لا يلزم ذلك. تاسعاً: قوله: إنه لا فائدة من هذا الأمر فلا داعى للوقوف عنده. لا يصح: لأن الله سبحانه لا يتحدث عن شىء بلا فائدة، وكذلك النبى (ص) الذى لا ينطق عن الهوى، وفى حكمه (ص) الأئمة الأطهار (ع). عاشراً: لا ندرى كيف عرف هذا البعض أن تفضيل الله سبحانه نبياً على آخر إنما هو فيما ميزهم من مواقع العمل، وطبيعة المعجزة ونوعية الكتب، وأين هى القرينة التى اعتمد عليها فى حكمه هذا. الرسالة الإلهية تجربة واقعية فى مستوى التطبيق. حركة الأنبياء مجرد تجارب عملية. لا مصلحة فى إعطاء الصورة الإنسانية للنبى ـ ثم إعطائه قدرات مطلقة تمتد من الله فى ذاته. يقو ل البعض: وهو يتحدث عن صفة الرسولية فى الرسول، وأن دراسة هذه القضية". من خلال القرآن فى ظواهره من حيث يريد للناس أن يفهموه، ويعتقدوه، ويعيشوه، لاسيما فى عهد الرسالة الأول فى المرحلة التى كان يعيشها النبى مع الناس من أتباعه وخصومه، مما كانت تثير الكثير من المشاكل، والتعقيدات، وعلامات الإستفهام، لأن الوحى كان ينطلق من الفكرة العامة فى مستوى النظرية، ومن حركة التجربة الواقعية فى مستوى التطبيق، فكان الناس يرون النبى فى مضمون الآيات..الخ [١٧٣"] . ويتحدث عن الصورة النبوية فى الوجدان الإسلامى، فيقول": ما هى المصلحة فى أن يقدم الله لنا الصورة فى ملامحها الإنسانية المنسجمة مع الواقع الإنسانى فى قدراته المحدودة، وفى تجاربه العملية، فى الوقت الذى قد تكون الصورة الحقيقية تنطلق فى البعد الإلهى، الذى يمتد فى القدرات المطلقة، التى تحلق بعيدا فى أجواء الغيب، الذى يقترب من قدرة الله بفارق واحد، وهو ذاتية القدرة فى ذاته، وامتدادها منه فى ذات النبى [١٧٤.."] .

وقفة قصيرة

ونقول: ١ ـ ماذا يعنى تعبير هذا البعض عن حركة الرسالة، التى تحظى بالتوجيه والرعاية الإلهية من خلال جهد النبى (صلى الله عليه وآله) وتضحياته ومواقفه.. ما معنى التعبير عنها بـ: التجربة الواقعية فى مستوى التطبيق. "وعن حركة النبى الرسالية بـ: تجاربه العملية. "إنه تعبير غير سليم وله إيحاءاته التى تختزن مفهومى الخطأ، والإصابة، والقصور عن إدراك ما يصلح، وما يفسد.. وتختزن أيضاً جهلاً، وضعفاً.. وما إلى ذلك.. مما لا يصح نسبته إلى التوجيه الإلهى والتسديد الربانى الذى ما زالت حركة الأنبياء تعيش آفاقه. ٢ ـ لماذا يصر هذا البعض على إظهار محدودية قدرات الأنبياء، وأنها قدرات تقترب، بل هى لا تزيد عن قدرات أى إنسان عادى. وما هو دليله على: أن الله لم يعط أنبياءه وأولياءه فوق ما أعطى البشر من قدرات، ومن طاقات، وذلك من خلال طاعتهم لله سبحانه، وفقاً لقوله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وهو عام مطلق لم يحدد أى سبيل.. كذلك وفقاً للحديث القدسى المأثور الذى أيده هذا البعض، والذى سنذكر كلامه حوله فيما يأتى من فصول: (عبدى أطعنى تكن مثلى تقول للشىء كن فيكون). فطاعة الله إذن

ـ حسب اعتراف هـذا البعض ـ تضاعف قـدرات المطيع لتصل بها إلى درجات لم يكن ليتصورها هـذا البعض وسواه مع أن هذا المطيع هو واحد من الناس المؤمنين، فكيف بالأنبياء، والأوصـياء؟! ٣ ـ أى محـذور فى أن يعطى الله عباده الصالحين قـدرات هى فوق قدرات البشر، وإن كانت لا تقترب من قـدراته، والفارق هو أنها ممتـدة من الله فى ذات النبى، وأى محـذور فى أن يمتد فى القدرات المطلقة الـتى تحلّق بعيـدا فى أجواء الغيب.. فـإن كـل شـىء يعود إلى الله، ومنه، وليس فى ذلـك أى شـرك أو غلو، بـل هو محض التوحيـد، وخـالص الإسـتقامة على جـادة المعرفـة بالله سـبحانه، والتسـليم له، واعتباره هو المبـدأ، والمنتهى، والأول والآخر، وسوف نتحـدث عن ذلك فيما يأتى. ۴ ـ إن جهل هـذا البعض بالمصلحة لا يعنى عدم وجودها، ومن الواضح: أن الله سـبحانه لا يسـتأذنه إذا أراد أن يفعل ذلك، لمصـلحة يعلمها هو تعالى ويجهلها هذا البعض، كما يجهل ما هو أهون وأبسط.. جو النبى قد يعيش نوعا من الإهتزاز والضعف فلا يؤثر كثيراً فى عائلته. ضغط الدعوة قد يشغل النبى فى بيته. قد ينغلق النبى عن أهله. المجتمع المنحرف قد يأخذ من النبى أهله دون مقاومـة، لأـن مقـاومته كانت متجهـة للمجتمع الكبير. المرأة تـدخل الإنحراف إلى بيت النبى، بحيث تحاصـر النبى. قـد تملك الزوجة فعاليات لا يسـتطيع النبى أن ينقـذ نفسه منها. الفرق بين إسـماعيل، وابن نوح أن إبراهيم عزل ابنه عن ضـغط البيئة. إسـماعيل عاش فى بيئة لا يضـغط عليها الإنحراف لأن أمه كانت صالحة. فساد وصـلاح البيئة مكّن من حماية التجربة فى إسماعيل ومنع من ذلك فى ابن نوح. سـئل البعض: فى قبـال صورة إبراهيم وإسـماعيل طرح القرآن صورة نوح وابنه، هنـاك دعوة للذبـح، وهنـا دعوة للنجـاة.. هناك امتثال وطاعة، وهنا رفض وتمرد.. ماذا نسـتوحى من ذلك؟.. فأجاب": إن أبناء الأنبياء والأوصياء والعلماء هم بشر كبقية البشر يتأثرون بالأجواء الإيجابيـة كما يتأثرون بالأجواء السـلبية.. وقـد يعيشون فى ساحة الصـراع عندما تتدافع العوامل الإيجابية والسـلبية لتكسب هذا الإنسان أو ذاك، بحيث يعيش فى صـراع داخلى من خلال الصـراع الخارجى بما فيه من مؤثرات وإيحاءات، وعلى هذا الأساس فليس من الضرورى أن يكون ابن النبى صالحاً، أو أن يكون ابن الوصى أو العالم أو المجاهد مثله، لأن الأب يمثل جزءاً من البيئة وهو واحد من العوامل الكثيرة التى تؤثر فى شخصـيته، وقـد يعيش جو الأب نوعاً من الإهتزاز، والضـعف الذى قد لا يسـتطيع فيه أن يترك التأثير الكبير على عائلته بفعل العوامل المضادة الأخرى أو بفعل الضـغط على مواقع حركته، إنها قـد تكون مشـكلة الكثيرين من الـدعاة سواء كانوا أنبياء أو أوصـياء أو علماء و ذلك أن ضـغط الـدعوة فى تعقيـداتها وتحدياتها ومشاكلها قد يشـغل الإنسان عن بيته بحيث يعيش منفتحـاً على العـالم ومنغلقاً عن أهله من خلال طبيعـة ما يفرضه هـذا الإنفتاح من ابتعاد عن مواقعه الذاتيـة باعتبار أن أهله يمثلون أحد هـذه المواقع. ومما يجـدر بالـذكر أن المجتمع المنحرف قـد يأخـذ من النبى أهله دون مقاومـة على اعتبار أن مسألـة المقاومـة كانت موجهـة للمجتمع الكبير، وربما تكون المسألة أن القوى المضادة تملك من القوى المادية والتحدى ما لا تسـتطيع العناصـر الرسالية أن تصـمد أمامها بفعل الظروف الطبيعية الطارئة بحيث لا يصـمد الرسول فى حركته أمام هذه القوى الكبيرة لأن الرسول، أى رسول كان، لا يملك كل الوسائل، وإنما يملك بعض الوسائل المنطلقـة من معطيات قـدراته الذاتية فعالم الرسالة ليس هو عالم الغيب، وإنما عالم القـدرة البشـرية التى يطل الغيب عليها فى بعض مواقعها إلى حد معين، وقد لا يطل عليها بالكامل بالمعنى الحركى لهذه الإطلالة. وفى هذا الجو يتحول المجتمع إلى قوة ضاغطة حتى على بيت النبى أو بيت الوصى أو بيت العالم، على اعتبار أنه يملك من عناصر الضغط ما يسـتطيع معه أن يجتذب جوانب الإنحراف لدى هؤلاء بالمسـتوى الذى يمكن أن يهزم فيه الحركة الرسالية، وقد يبتلى بعض الأنبياء أو العلماء أو الأولياء بزوجات تقف فى الموقف المضاد من حركـة الرسالـة بحيث إنها تقف ضـد حركـة النبى، وهذا ما حدثنا القرآن عنه بالنسـبة لامرأة نـوح وامرأة لـوط: (ضـرب الله مثلاً ـ للـذين كفروا امرأة نـوح وامرأة لـوط كانتـا تحت عبـدين من عبادنـا صـالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين) (التحريم:١٠). إننا نستطيع أن نستوحى من ذلك أن الخيانة ليست خيانـة العرض فى الجانب الجنسـى، ولكن الخيانـة خيانـة الرسالـة، وخيانة الأمانة الرسالية. ومن الطبيعى أن مثل هذا يترك تأثيراً سـلبياً على أولاـد الأنبيـاء، أو أولاد الأوصـياء أو أولاد العلماء، وأن للأم تأثيرها الكبير إذا كانت خاضـعة فى أفكارها، وسـلوكها للتيار الكافر المنحرف المضـاد حيث إنهـا تـدخل كـل التيـار إلى بيتهـا على نحو يجـد النبى فيه نفسه محاصـراً كما أنه محاصـر فى مجتمعه لأنه لا

يستطيع أن يحمى بيته على أساس أن امرأته جزء من هذا البيت، وقد تملك من الفعاليات ما لا يستطيع أن ينقذ نفسه منها. كما أننا لا نجد إشارة فى القرآن إلى تاريخ ابن نوح لكننا نلاحظ أن أباه خاطبه أن يركب معه، وأن لا يكون من الخاسرين: (إركب معنا ولا تكن مع الكافرين) (هود: ۴۲). ولكنه لم يستجب لوالده: (قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء) (هود: ۴۳)، فأجابه نوح الذى فقد الأمل فى تلك اللحظة: (لا عاصم اليوم من أمر الله) (هود: ۴۳)، وعندما نادى ربه فإنه لم يناد ربه معترضاً، ولكنه كان متسائلاً لأن الله سبحانه وعده بأن ينجى ابنه: (قال: رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال: يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) (هود: ۴۶). وهكذا نستطيع أن نربط قرآنياً بين امرأة نوح، وابن نوح فنجد أنه كان خاضعاً لتأثيرات تربية أمه أكثر من خضوعه لأبيه لقربه أكثر منها وتعلقه بمجتمعها. وبهذا نستطيع أن نفهم الفرق بين مسألة إسماعيل وبين مسألة ابن نوح من أن إسماعيل عاش فى بيئة استطاع إبراهيم أن يعزل فيها الولد عن ضغطها، بحيث عاش فى بيئة لا يضغط عليها الإنحراف بقوة فى الوقت الذى كانت أمه صالحة أيضاً، وبذلك أمكن حماية التجربة هنا، ولم يمكن حماية التجربة هناك ["۱۷۵] .

وقفة قصيرة

ونقول: قد ذكر هذا البعض": أن دور البيئة فى صنع شخصية ابن نوح كان قوياً إلى درجة يعجز النبى نوح عن مواجهة تأثيراتها، حتى كانت النتيجة هى الهلاك والبوار لولده "..وذكر هذا البعض أيضاً أن ضغط الدعوة على النبى والوصى والعالم فى تعقيداتها وتحدياتها ومشاكلها قد يشغل الإنسان عن بيته، بحيث يعيش منفتحاً على العالم ومنغلقاً عن أهله.. وأن المجتمع المنحرف قد يأخذ من النبى أهله دون مقاومة، باعتبار أن مسألة المقاومة كانت موجهة للمجتمع الكبير. ثم مثل لذلك بامرأة نوح، وامرأة لوط، وبابن نوح، الذى تأثر بتربية أمه أكثر من خضوعه لأبيه، لقربه منها أكثر من قربه من أبيه.. ونقول له: إن كلامه هذا يعطينا كل الحق فى أن نرفض ما قاله فى حق الزهراء (عليها السلام) من أنه لا يجد فيها، ولا فى أمها خديجة الكبرى، وابنتها زينب ـ لا يجد ـ خصوصية إلا الظروف الطبيعية التى كفلت لهن إمكانيات النمو الروحى والعقلى، والإلتزام العملى بالمستوى الذى تتوازن فيه عناصر الشخصية بشكلٍ طبيعى فى مسألة النمو الذاتى، ولا نستطيع إطلاق الحديث المسؤول القائل بوجود عناصر غيبية مميزة تخرجهن عن مستوى المرأة العادى، لأن ذلك لا يخضع لأى إثبات قطعى، على حد تعابيره فى كتابه: تأملات حول المرأة. وقد تحدثنا عن ذلك بالتفصيل فى محله من هذا الكتاب.. فراجع. وكلامه هنا يثبت صحة ما فهمناه من كلامه هذا، وأنه لا يرى للزهراء عصمة، إلا بمقدار ما حققته ظروفها الطبيعية لها، بحيث إنها لولا تلك الظروف لكان سبيلها سبيل ابن نوح، وغيره من الجناة والعصاة. ۲ ـ إن بيت النبى والوصى يعتبر جزءاً من المجتمع الذى بعث لهدايته ورعايته، وتربيته، وإقامة الحجة عليه. فلا معنى لأن ينغلق عنه ـ على حد تعبير هذا البعض ـ ولا لأن يشغله المجتمع الكبير عن الصغير.. كما أن على النبى المبعوث أن يقاوم الإنحراف أينما كان، وحيثما وجد، فلا معنى لأن يوجه مقاومته إلى جهة، ويترك جهة أخرى، وإلا لكان مقصراً ـ والعياذ بالله ـ فى أداء مهماته الرسالية، أو غير قادر على القيام بها، فلا مبرر لبعثته، بل اللازم هو بعث سواه، أو إرسال رسول آخر معه ليعينه، كما كان الحال بالنسبة لهارون وموسى عليهما وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام.. إن هذا البعض يقيس الأنبياء على الناس العاديين، سواء أكانوا علماء أو غير علماء، فيصفهم بأوصافهم فالحق الذى لا محيص عنه هو أن امرأتى نوح ولوط، وكذلك ابن نوح كانوا غير مستعدين للهداية ولا للصلاح، ولا شك فى أن نوحاً ولوطاً (عليهما السلام) قد بذلا مختلف المحاولات فى سبيل هدايتهم وإصلاحهم، ولكن قد ران على قلوب أولئك الكفرة ما كانوا يكسبون، وغرتهم الحياة الدنيا، وراقهم زبرجها. ۳ ـ والغريب فى الأمر مقارنته إسماعيل (عليه السلام) بابن نوح، حيث استطاع إبراهيم (عليه السلام) أن يعزل ولده عن الضغط القوىّ للإنحراف فى البيئة التى عاش فيها، مع كون أمه صالحة أيضاً، وبذلك أمكن حماية التجربة هنا، ولم يمكن حماية التجربة هناك، على حد تعبيره.. مما يعنى أنه لو كانت أم إسماعيل غير صالحة لما أمكن حماية التجربة، ولكان إسماعيل قد اتخذ سبيل الكفر والإنحراف ـ والعياذ بالله ـ كما فعل ابن نوح. وهذا ما يؤكد طبيعة ما كان يرمى إليه هذا البعض حين تحدث عن أنه ليس

فى الزهراء أى خصوصية إلا ـ الظروف الطبيعية التى كفلت لها إمكانات النمو الروحى والعقلى والإلتزام العملى.. وأنه ليس فيها أى عنصر غيبى مميز يخرجها عن مستوى المرأة العادى.. ۴ ـ إننا لا ـ نوافق على اعتباره ما يقوم به الأنبياء من واجبات، وتكاليف حتى فى مجال التربية مجرد تجارب تخطئ وتصيب، بل هى إنجازات جاءت وفق التكليف الإلهى الشرعى الصائب لكبد الحقيقة، دون أى تقصير أو ضعف فى ذلك.. وقد أشرنا إلى هذا الأمر أكثر من مرة فى نظائر المقام. ۵ ـ ما الدليل على أن امرأة نوح قد حاصرت النبى فى فعالياتها فإن التصويرات التى قدمها عن بيت نوح، وعن فعاليات زوجته، ومحاصرتها له.. وغير ذلك، ما هى إلا رجم بالغيب، لم يقدم عليها أى دليل مهما كان ضعيفاً وهزيلاً.. مع أنه يشترط فى أحداث التاريخ الدليل المفيد لليقين كأن يكون متواتراً، ولا يكفى مطلق ما هو حجة حسب زعمه.. وكذلك الحال فيما ذكره بالنسبة إلى إسماعيل عليه السلام، فقد أشرنا إلى عدم مقبوليته أو معقوليته.. كما أن عليه ـ حسب ما قرره هو ـ أن يأتى بالدليل القاطع عليه.. وأين ذلك منه، وأنى له!! القول بلزوم كون النبى أجمل الناس تطرّف. نتحفظ على قاعدة قبح قيادة المفضول للفاضل. لا يجب تفوق النبى فى كل صفة ذاتيه. لا يجب تفوق النبى فى كل علم. لا ضرورة تفرض قدرات غير عادية للنبى. لا ضرورة فى أن يصنع النبى كل شىء خارق للعاده فى أى وقت ومناسبة. المطلوب فى النبى القدرة فيما يحتاج اليه الداعية والمشرّع والحاكم. الربط بين النبوة وبين القوة الخارقة تصور منحرف. القول بلزوم أن يكون النبى أشجع الناس تطرّف. القول بلزوم التفوق فيما لا يرتبط بالقيادة والنبوة تطرّف. قد يكون الجنود أشجع من قائدهم فى قيادات العالم. المهم تفوق القائد فى الفكر القيادى، وليس المهم خوض المعركة. المهم هو التفوق والكمال فى المسائل التى تدخل فى قيادة النبى. ليس دور النبى التأسيس للعلوم الطبيعية والرياضية، ولا ـ المعلم للألسن واللغات. دور النبى هو الإبلاغ والإنذار، والهداية، والتعليم، وقيادة الناس إلى تطبيق ذلك. يقول البعض": فقد نلاحظ ـ بوضوح ـ تحديد المهمات الرسالية للأنبياء فى وضع الخطوط العامة للفكر والتشريع من أجل أن ينطلق الحكم على أساس الحق، وميزان العدل، وفى رعاية الناس بما يخفف عنهم أغلالهم، وأثقالهم التى ترهقهم وتعطل مسيرتهم فى بناء الحياة على قاعدة ثابتة، وفى تركيز الأسس التى تلتقى عليها مصالح الناس وأفكارهم، من أجل إخضاع الإختلافات إلى الحكم العدل الذى لا ـ ينحرف ولا يجور. وبالتالى، إشاعة السلام القائم على الرحمة والعدل.. وفى ضوء ذلك، لا نجد أمامنا ـ فى هذا الإطار ـ أى ضرورة تفرض اتصاف النبى بالقدرات الغير عادية [۱۷۶] التى يستطيع ـ معها ـ أن يصنع كل شىء خارق للعادة فى أى وقت وفى أية مناسبة. بل كل ما هناك، أن يملك النبى القدرة على حمل الرسالة وإبلاغها وتطبيقها بالحكمة والمرونة والقوة، فى كل ما يحتاج إليه الداعية والمشرّع والحاكم فيما يتعلق بدعوته وشريعته وحكمه.. وبذلك يبطل التصور المنحرف الذى يربط بين النبوة وبين القوة الخارقة التى تصنع ما تشاء، بلا حدود. النبوة والتفوق المطلق وقد يمكن لنا فى هذا المجال أن نتحفظ فيما يفيض فيه الكثيرون من علماء الكلام عندما يتحدثون عن صفات النبى ـ أى نبى كان ـ فيوجبون له التفوق فى كل علم، وفى كل صفة ذاتية على أساس القاعدة العقلية المعروفة لديهم وهى قبح قيادة المفضول للفاضل.. فإذا لم يكن النبى فى مستوى القمة فى كل شىء، لم يصلح لمركز القيادة الحياتية للناس. وقد يتطرف البعض فيوجب أن يكون النبى أجمل الناس، وأشجعهم، وأقواهم فى عضلاته إلى غير ذلك من الصفات الجسمية التى لا ـ ترتبط بالنبوة ولا بالقيادة من قريب ولا من بعيد.. فإننا نلاحظ فى أوضاع القيادات فى العالم.. حتى العسكرية منها.. أن القائد لا يفرض فيه أن يكون أكثر شجاعة من جنوده، فربما يكون الكثيرون من جنوده أشجع منه، لأن دوره الأساسى ـ كقائد ـ ليس هو خوض المعركة، بل قيادتها التى تتمثل فى الفكر العسكرى القيادى الذى يعرف كيف يخطط للمعركة وكيف يواجه التطبيق العملى للخطط المرسومة. وهكذا نجد القضية فى كل جانب من الجوانب الحياتية التى لا تتطلب فى القيادة إلا أن تكون فى مركز التفوق والكمال فى القطاع الذى تتولى قيادته. إننا نسجل تحفظنا الشديد حول هذا كله.. لأن دور النبى، لم يكن هو دور المؤسس للعلوم الطبيعية والرياضية وغيرها، ولم تكن مهمته هى مهمة المعلم للألسن واللغات، يجب أن يكون مُلماً بجميع العلوم، وبجميع اللغات، فضلاً عن أن يكون متفوقاً من زاوية نبوته، بل المهمة الأساسية ـ كما حددها القرآن الكريم، فى الآيات المتقدمة، هى الإرشاد والإبلاغ والإنذار وتعليم الناس الكتاب والحكمة، وقيادتهم إلى تطبيق ذلك كله

على حياتهم، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد [١٧٧] .

وقفة قصيرة

ونقول: ١ ـ إن هذا البعض: قد نفى وجود ضرورة تفرض اتصاف الأنبياء بهذه الصفة، أو بتلك، ومن الواضح: أن نفى وجود شيء من هذا القبيل يحتاج إلى الإطلاع على أسرار كل الواقع القائم، ليتمكن من تحديد وجود ضرورة فيه، أو عدم وجودها. فهل أطلع الله هذا البعض على غيبه، وأوقفه على أسرار خلقه، حتى استطاع أن ينفى وجود ضرورة، تفرض اتصاف الأنبياء بقدرات غير عادية؟! ٢ ـ إن هذا البعض قد حدد المهمات الرسالية للأنبياء، وفق فهمه الخاص للأمور.. واعتبر نفسه قد استوفى المعرفة بكل الأهداف الإلهية من الخلق والخليقة، ومن بعثة الأنبياء. وعلى هذا الأساس فإن لنا كل الحق فى أن نوجه إلى هذا البعض الأسئلة التالية: إذا كان ما ذكره هو المبدأ والمنتهى، ويبرر له أن يحكم بعدم وجود أية ضرورة تفرض اتصاف النبى (ص) بالقدرات غير العادية.. فلماذا، أو ما هو السر فى حدوث الإسراء والمعراج؟! ولماذا سخر الله الريح والجن، والطير. و.. و.. لسليمان. الخ؟! ولماذا يرفع الله للنبى والوصى عموداً من نور، فيرى أعمال الخلايق؟! ولماذا علم الله داود (ع) منطق الطير؟!. ولماذا وصف الله داود (ع) بذى الأيد، أى القوة؟!. ولماذا تطوى الأرض للأنبياء وللأئمة عليهم السلام؟!. ولماذا يطعم النبى الجيش كله من شاة عجفاء يذبحها لهم، مع أن معجزته هى القرآن.؟!. ولماذا، ولماذا، مما لو أردنا استقصاءه، لملأنا مئات الصفحات بالأسئلة التى لابد من الإجابة عنها لمن يدعى، معرفة ما تفرضه المهمات الرسالية للأنبياء. ٣ ـ إن آصف بن برخيا لم يكن نبياً، وليس لديه مهمات رسالية.. فلماذا أعطاه الله قدرة فوق قدرة عفريت من الجن ـ كما تنص الآية ـ مكنته من أن يأتى بعرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس، قبل ارتداد الطرف، وذلك بعلم من الكتاب. ٤ ـ لماذا آثر سليمان (ع) أن يتصرف تصرفا غير عادى تجاه بلقيس، حيث قال لمن حوله (أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين)، فآثر إظهار القوة الخارقة التى تقهر عقولهم. على استعمال قوة السلاح وفرض السلام أو الإسلام عليهم. ٥ ـ كيف ثبت لهذا البعض، ثم كيف يثبت لنا أن الربط بين النبوة وبين القوة الخارقة للعادة هو من مصاديق التصور المنحرف؟! وهل انحرافه عن تصورات هذا البعض؟ أم كان انحرافه عن الحق والحقيقة؟!! ٦ ـ ما معنى رفضه للقاعدة العقلية القاضية.. بقبح قيادة المفضول للفاضل، فهل يريد التمهيد لتصحيح خلافة أبى بكر، وفقاً لمقولة معتزلة بغداد بجواز إمامة المفضول، والتى عبر عنها ابن أبى الحديد المعتزلى فى كلمته الشهيرة فى مفتتح كتابه (شرح نهج البلاغة) حيث قال: (الحمد لله الذى قدم المفضول على الفاضل). أى قدم أبا بكر على على عليه السلام. ٧ ـ وانظر إلى دليله الذى ساقه على عدم صحة مقولة لزوم كون النبى هو الأكمل والأشجع و.. حيث قاس ذلك على القيادات الظالمة والمنحرفة، حيث لا يفترض فيها ـ عندهم ـ أن يكون القائد أشجع من جنوده. فإنها مبنية فى الغالب على الأهواء، وعلى الجهل بحقيقة الأشخاص وطاقاتهم. ٨ ـ ولو صح ما ذكره من أن القيادة لا تتطلب إلا أن تكون فى مركز التفوق، والكمال فى القطاع الذى تتولى قيادته، لجاز لنا أن نقول له: بل هى لا تتطلب التفوق أصلاً، بل يكفى المساواة بين القائد وبين الآخرين، بل حتى لو كان أقل من الآخرين، فإنه يكفى له ما يحفظ به ما يوكل إليه من أمر قيادته. ٩ ـ حتى لو كان الآخرون من أعلم الناس بشؤون وشجون ذلك الأمر الذى هو محط النظر. فمن أين ثبت: أن مهمة النبى والوصى لا تحتاج إلى التفوق حتى فى العلوم الطبيعية والرياضيات واللغات وبجميع العلوم.. وأما الآية القرآنية التى استشهد بها فإنما تدل على خلاف مقصوده. فإن الحكمة المطلوب تعليمها للناس (ويعلمهم الكتاب والحكمة) [١٧٨] لا تقتصر على مجال دون مجال.. بل هى وضع الشيء فى موضعه فى كل كبيرة وصغيرة، وفى كل علم وصنعة وحرفة وغير ذلك..

الولاية التكوينية.. إدعاءات و استدلالات واهية

بداية

إن حديث هذا البعض عن قدرات الأنبياء وطاقاتهم، وسعيه إلى تجريدهم عن أية قدرات وطاقات امتن الله بها عليهم، إلا فيما يرتبط باجتراح المعجزات.. التى يصرّح هذا البعض أيضاً.. ويقول: إنها لا ترجع إلى قدرة أودعها الله فيهم، بل ربما تكون بتدخل إلهى مباشر. إن هذا الحديث قد ذاع عنه وشاع، ولم يعد من الأمور الخفية ولا المستورة، كيف وقد جهر به فى أكثر من مناسبة، وسجله فى أكثر من كتاب. ومهما يكن من أمر، فإنهم من أجل التعبير عن قدرة الأنبياء ـ الممنوحة لهم من الله سبحانه ـ على التصرف فى أمور واقعية خارجية وغيرها، فقد اصطلحوا على عبارة (الولاية التكوينية) لتفيد أن الله سبحانه قد أقدر أنبياءه على التصرف فى هذه الأمور الواقعية على سبيل إظهار المعجزة أو غيرها. ولم يزل هذا البعض ينكر ذلك، ويخصّ قدرتهم على التصرّف فى خصوص دائرة المعجزة وقد يتعدى ذلك إلى ما تتوقّف عليه مهمات النبى كمبلّغ ومرشد وحاكم.. مع احتفاظه بإمكانية أن يكون ذلك حتى فى المعجزات بتدخل إلهى مباشر، دون أن يكون للنبى أى دور فى ذ لك وهذه بعض كلماته.. ونسجل أيضاً تحفظاتنا عليها: الولاية التكوينية شرك. ويقول البعض": رأينا فى الولاية التكوينية ـ بحسب الدلالة القرآنية ـ هو أن الله يعطى القدرة للأنبياء من علم الغيب ومن المعاجز والكرامات ما يحتاجونه فى نبوّتهم وإمامتهم، ولم يعطهم أكثر من ذلك ["١٧٩] . ويقول": أنا من الناس الذين لا يرون الولاية التكوينية؛ لأننى أتصور كل القرآن دليل على عدم الولاية التكوينية ["١٨٠] . ويقول عن الولاية التكوينية": الولاية التكوينية. نحن نقول ولاية تكوينية، يعنى بعض الناس يقول: إنه يعنى الأنبياء والأئمة مشاركين الله، مثل ما الله ولى الكون هم أولياء الكون" [١٨١] . ونقول: ١ ـ لا يقول أحد من الأمامية بأن الولاية التكوينية تفويضية على النحو الذى أشير إليه فى النص الأخير، فإذا كان هذا البعض قد درس الموضوع دراسة موسّعة فليدلّنا على قائل بهذا القول من الأمامية. ٢ ـ إن هذا البعض نفسه قد كرر عند الكلام عن الحديث القدسى عبدى أطعنى) قوله": ومن الممكن أن أجعلك تقول للشىء كن فيكون كما جعلت ذلك لعيسى(ع. ")وهو معنى الولاية التكوينية. ولكن ناقض هذا البعض نفسه!! فقال مرّة": ومن الممكن أن أجعلك تقول للشيىء كن فيكون، كما جعلت ذلك لعيسى (ع)..، فمن الممكن جدّا أن الطاعة تستلزم ذلك أى الحصول على هذه القدرة. "وقال أخرى.. ": ولكن ليس معنى ذلك أن الطاعة تستلزم هذه القدرة، وليس كل من أطاع الله حصل على هذه القدرة. "٣ ـ إذا كانت الولاية التكوينية تفويضية كما يقول، فكيف كانت ممكنة عنده لعيسى (ع) أو لغيره من عبيد الله المطيعين.؟! وكيف صحت لعبيد الله المطيعين من غير المعصومين بينما منع من صحتها فى حق الأئمة الأطهار عليهم السلام؟. ثم كيف لم تثبت الولاية التكوينية عنده بحسب الدلالة القرآنية— كما يقول — مع أن الله تعالى يصرّح فى كتابه فيقول: (إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى وتبرئ الأكمه والأبرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى) وهذه الآية صريحة الدلالة على إعطاء الله تعالى لعيسى (ع) الولاية التكوينية. قد يقال: قد قيّد الله تعالى كل ذلك بإذنه، فلا دلالة على ما تقولون من أنه (ع) يتصرف باختياره من دون إذن الله. والجواب: أولا: لم ندعّ أن أصحاب الولاية التكوينية يمكن أن يفعلوا شيئاً بغير إذن الله. ثانيا: قال الله تعالى (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله) ففى هذه الآية دلالة على أن الفعل ـ وهو الإيمان ـ مع كونه اختياريا، فهو صادر عن العبد بإذن الله تعالى. فكذلك الأفعال التى يقوم بها المعصوم صاحب الولاية التكوينية، فهى مع كونها صادرة عنه بكامل اختياره (ع)، كلها حادثة بإذن الله. ۴ ـ إن من يقرأ القرآن يدرك أنه لا يمكن أن يكون كله دليلا على نفى الولاية التكوينية، بل فى القرآن ما يدل على إعطاء الولاية التكوينية لمثل آصف بن برخيا، الذى جاء بعرش بلقيس من اليمن قبل ارتداد الطرف.. ودعوى أن الله لم يعطه أزيد من مقدار الحاجة فى دوره الموكول إليه تحتاج إلى دليل، فان هذا المستدل نفسه يقول: إن النفى يحتاج إلى دليل كما أن الإثبات يحتاج إلى دليل. على انه لم نتبين كيف كانت حاجة سليمان فى دوره النبوى لإحضار عرش بلقيس، فهل كانت حاجته الإتيان بعرشها قبل ارتداد الطرف، فى حين أن عفريتا من الجن كان قد عرض عليه أن يأتيه به قبل أن يقوم من مقامه. وكل هذا لا ربط له بالدور الظاهرى لسليمان النبى (ع). ۵ ـ إن ذلك البعض قد ذكر فى أجوبته على المرجع الدّينى الشيخ التبريزى: أن الله لم يعطهم ـ أى الأنبياء والأئمة ـ أكثر من ذلك، أى

أكثر مما يحتاجونه فى نبوّتهم وإمامتهم. ولكنه حين بدأ يستدلّ على ذلك، قال عن عيسى (ع"): وليس هناك دليل على أنه أعطاه غير ذلك فى تدبير أمور الكون الأخرى، كما أنها لا تدل على أنه أعطاه الكمال النفسى الذى يتصرف به فى أمور الكون بإذن الله، فان هذا وان كان أمرا ممكنا من حيث الثبوت، إلاـ أن الكلام فى إثبات ذلك يحتاج إلى دليل. "فهو تارة ينفى عنهم ذلك بصورة قاطعة، ويجعله من التفويض الباطل قطعا لرجوعه إلى الشرك، وتارة يعترف بالأمكان فى مقام الثبوت من دون لزوم محذور، ثم يدّعى بعد ذلك عدم وجود ما يدلّ على الإثبات! وثالثة يقر بجعل الولاية التكوينية كما أقر بذلك فيما يتعلق بعيسى (ع). ۶ ـ وقول البعض فى أجوبته على المرجع الدينى الشيخ التبريزى [١٨٢"] : وأما الأخبار الواردة فى ذلك فهى ضعيفة سندا ودلالةً. "لا يصح لوجود روايات صحيحة وموثّقة، فراجع كتاب: الولاية التكوينية: الحق الطبيعى للمعصوم ص ١١٢ـ١٢١. الجزم بأن الله لم يخلق فى الانبياء طاقة تكشف الغيب بشكل مطلق. الجزم بأن الله يفيض عليهم ما يحتاجون إليه فى رسالتهم ومواجهة التحديات. إعطاء الغيب المحدد للأنبياء يبطل الولاية التكوينية لهم. يقول البعض: (ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء) وتلك هى قصة الخالق فى علمه غير المحدود بالنسبة إلى المخلوق المحدود فى وجوده المستمد من وجود الله، وعلمه المستمد من علم الله، فيما أعطاه وفتح له من مجالاته وهيأ له أسبابه، فليس للمخلوق أن يحيط بشىء من علم الله فى عالم الشهود، وفى عالم الغيب إلا بما شاء الله، حتى الأنبياء، فإنهم لا يملكون علم الغيب فى تكوينهم الذاتى، بحيث أن الله خلق فيهم الطاقة التى تكشف لهم عالم الغيب بشكل مطلق، فينفتحون عليه باستقلالهم بعد ذلك بل إن الله هو الذى يفيض عليهم من هذا العلم بما يحتاجون إليه من ذلك فى شؤونهم الرسالية من خلال طبيعة الدور الذى يقومون به والتحديات التى تواجههم، وهذا هو ما نستوحيه من قوله تعالى فى الحكاية عن النبى نوح فى خطابه لقومه على ما قصه الله من ذلك فى سورة يونس (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب) (الأنعام ـ ۵۰). وقوله تعالى: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً، إلّا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم، وأحصى كل شىء عدداً) (الجن: ۲۶ ـ ۲۸). فإنها ظاهرة فى أن الله يمنحهم علم الغيب بما يهىء لهم السبيل لاستقامة أمرهم وسلامة دورهم وحمايتهم من كل ما بين أيديهم وما خلفهم مما هو حاضر عندهم أو غائب عنهم، تأكيداً لبقاء الإشراف الإلهى والسيطرة الربوبية عليهم، بحيث يحتاجونه فى كل شىء مما يحدث لهم أو يطرأ عليهم، وهذا ما قد يوحى ببطلان نظرة الولاية التكوينية التى يراها بعض العلماء للأنبياء وللأئمة (عليهم السلام) [١٨٣] .

وقفة قصيرة

ونعود فنكرّر القول، لأن البعض ما فتئ يكرّر مقولاته هذه، ويؤكّدها ونقول: ١ ـ من الذى قال لهذا البعض": إن الله سبحانه لم يخلق فى نبيه طاقة تمكنه من معرفة ما هو غائب ".. وكيف يرفع الله للوصى والولى عموداً من نور فيرى فيه أعمال الخلائق، كما ورد فى الرويات. وكيف يمكن تكذيب ما يدل على أن النبى كان يرى من خلفه كما يرى الذى أمامه.. ۲ ـ وكيف جزم بأمر دون أن يقدم دليلاً يفيد اليقين حسب شروطه هو نفسه فى مثل هذه الأمور. أليس النفى يحتاج إلى دليل حسبما قرره هذا البعض نفسه؟ ۳ ـ وهل ثبت لديه بشكل قاطع": أن الله سبحانه لم يطلع أحداً على غيبه حتى من ارتضاه من رسول "ولعله أطلعه على ذلك بواسطة خلق قوة فيه تعرفه الغيب وتوصله إليه، لينفتح عليه باستقلاله فى عين أنه بإذن منه، وبإعطاء إلهى كريم. ۴ ـ من الذى حدد له مقدار الغيب الذى يعطيه الله لمن ارتضاه من الرسل، حتى جاز له القول: يفيض عليهم من العلم ما يحتاجون إليه، من ذلك فى شؤونهم الرسالية، من خلال طبيعة الدور الذى يقومون به. ۵ ـ ومن الذى قال لهذا البعض": إن دور النبى والوصى لاـ يحتاج إلى الإطلاع على مختلف حالات الغيب وشؤونه ".. وكيف يفسر لنا أن طبيعة دور الرسول والتحديات التى تواجهه قد اقتضت المعراج، والاطلاع على كل تلك الآيات بتفاصيلها حتى بلغ (صلى الله عليه وآله) إلى سدرة المنتهى.. ۶ ـ وكيف استوحى من الآية الكريمة بطلان الولاية التكوينية للأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، وما هو ربط الآية بالولاية التكوينية.. بل إن اطلاع النبى على الغيب، إذا كان له مساس بدوره

وبالتحديات التى تواجهه فإنما يكون من أجل أن يحرك الغيب فى مواجهة التحديات وللقيام بذلك الدور، وإلا فليس ثمة من فائدة كبيرة فى علم الغيب هذا.. وإذا نفى النبى نوح عن نفسه علم الغيب فإنما نفى أن يكون علماً له بالاستقلال عن الله سبحانه ولم ينفه مطلقاً ولو بتعليم منه تعالى. وسائل النبى عادية إلا فى مواقع التحدى. إهانة وتحقير الأنبياء بحجّة نفى الولاية التكوينية. النبى لا يستعمل الوسائل غير العادية للتخلص من المشاكل. التشريف لا يتمثّل فى إعطاء القدرة من دون قضية. الله لا يشرّف أنبياءه فى الدنيا.. الولاية التكوينية إنما تكون فى أصعب أوقات التحدى فقط. فى التحدى، يحتمل كونها تدخلاً إلهياً مباشراً، لا من فعل النبى. لا معنى لولاية، لا أثر لها فى حياة الانبياء. لا معنى لولاية، لا أثر لها فى حماية رسالاتهم. قراءة تاريخ الأنبياء الصحيح أظهرت أنهم لم يحركوا الولاية لحماية أنفسهم.. دور عيسى فى إحياء الموتى كان دور الآلة.. حصر مهمة النبى فى الإبلاغ والتبشير والإنذار، والهداية فقط. الآيات قد تدل على عدم الولاية التكوينية. موسى كان خاضعاً للخوف من تجربة السحرة. موسى كان خاضعاً للحيرة فيما يمكن أن يردّوا به التحدى. موسى كان ينتظر التدخل الإلهى المباشر. لا معجزة للنبى (ص) سوى القرآن. انشقاق القمر أصعب من اقتراحات المشركين عليه.. مظاهر الضعف البشرى للأنبياء. خوف موسى من قتل فرعون له مظهر ضعف. خوف موسى من موقف التحدّى مع السحرة مظهر ضعف. خوف إبراهيم حين دخول الملائكة مظهر ضعف. الله يمنح الرسول بقدر حاجة الرسالة. لا توجد لدى النبى بالفعل طاقة دفع الشر وجلب الخير. دفع الشر وجلب الخير يحصل تدريجاً بإفاضة مباشرة، لا من خلال قدرة موجودة. لا يحتاج النبى إلى الغيب إلا فى تاريخ رسالات السابقين فقط. علم الغيب إنما يكون بطريق الوحى التدريجى عند الحاجة. قد يكون المراد بالغيب الذى يطلع عليه رسله الجو الملائكى الذى يحميه من الشياطين. علم الغيب الماضى وحى، وفيما يواجهه من حاجات إلهام. الاستثناء فى آية (إلا من ارتضى من رسول) منقطع. حصر علم الغيب فى مفردات قليلة. لا يملك النبى فعلية علم الواقع. الله لم يعط النبى قدرة على الغيب، لا أصالة ولا تبعاً. لا ضرورة أو حاجة تفرض الولاية التكوينية المطلقة. الرسالة لا تفرض الولاية التكوينية. الانبياء لم يمارسوا الولاية التكوينية فى حياتهم. لا نجد تفسيراً معقولاً للاحاديث: (إن الله خلق الكون لأجلهم). هل خلق الكون لأجلهم لأجل التشريف أو فى نطاق الدور الرسالى. الكلام هو فى المبررات الواقعية للمضمون فى العلاقة بين النبوة والأمامة وبين الولاية التكوينية. حديث خلق الكون لأجلهم لا بد من إهماله. حديث: (خلق الله الكون لأجلهم) لابد من إخراجه عن العقيدة. ويقول البعض": ولكن التأمل يفرض علينا ـ بالإضافة إلى ذلك ـ أن نجد تفسيرا للمضمون الفكرى من حيث انسجامه مع طبيعة الأشياء المتصلة بالمضمون، وذلك كما هو الحديث عن مسألة الولاية التكوينية التى يذهب إليها الكثيرون من علماء الأمامية انطلاقا من الأحاديث الدالة على ذلك، ومن عدم وجود أية ممانعة عقلية فى تجويزها، فقد يبرز سؤال فى ذلك، عن ضرورتها، ما دامت الرسالة التى أمروا بالحفاظ عليها، كما أمر النبى (ص) بتبليغها لا ـ تفرض ذلك، وما داموا لا ـ يمارسونها فى حياتهم بشكل وبآخر، لاسيما أن النبى (ص) ينفى عن نفسه هذه القدرة فيما حدثنا القرآن عنه فى جوابه للمشركين الذين اقترحوا عليه القيام ببعض الأفعال الخارقة للعادة، وذلك بقوله (سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولا) (الإسراء: ٩٣) مما يوحى بأن الرسولية لا ـ تفرض وجود مثل هذه القدرة فى دوره ومهمته. وهكذا نجد السؤال يفرض نفسه فى الأحاديث التى تدل على أن الله خلق الكون لأ ـجلهم، فإننا لا ـ نستطيع أن نجد له تفسيرا معقولاً ـ حتى على مستوى وعى المضمون فى التصور الفكرى، فهل القضية واردة فى نطاق التشريف، أو فى نطاق الدور الرسالى، أو نطاق الهداية أو ما إلى ذلك؟ إن القضية ليست فى الحديث عما هو الممكن والمستحيل فى الجانب التجريدى من حيث الحكم العقلى، بل هى فى إيجاد المبررات الواقعية للمضمون على أساس العلاقة بين النبوة أو الإمامة وبين هذه الأمور وإذا كان البعض يتحدث بأن ما لا نفهمه من هذه الأمور لا بد أن يردّ علمه إلى أهله، فإن ذلك يفرض علينا إهمالها وعدم اعتبارها من أصول العقائد باعتبار أن العقيدة لا بد أن تمثل وعياً فى الفكر وقناعة فى الوجدان ["١٨٤] . وفى مورد آخر: بعد أن اعترف هذا البعض صراحة بأن": الله القادر يملك أن يمكّن بعض خلقه من بعض مواقع القدرة ووسائلها، ويمكن أن يوسّع هذه الأمكانات لأ ـكثر من مهمة جديدة فى الكون.. كما أنه يمكن أن يبقيها فى دائرة خاصة، وليس فى ذلك أى انحراف عن العقيدة التوحيدية لأن القضية قضية عطاء إلهى يتحرك فى الدائرة

الخاصة التى يحدّدها الله لعباده من خلال إرادته المطلقة التى لا يعجزها شىء "..بعد أن قرّر ذلك.. اتجه نحو الحديث عن وقوع ذلك بالفعل أو عدم وقوعه، فقال": جانب الحاجة أو الضرورة لذلك، والسؤال: لماذا يجعل الله لهم الولاية التكوينية؟ هل هناك مهمة تتوقف على ذلك، بحيث تكون المسألة هى أن يملكوا القدرة الفعلية الشخصية بحيث يصدر الفعل منهم فلا يتحقق الهدف إلا من خلال ذلك، أم هى قضية تشريف إلهى لهم حيث يمنحهم هذا الموقع الكبير الذى لا يملكه أحد فى الوجود غيرهم؟ هذه علامات استفهام تطوف فى الذهن، فلا نجد لها جواباً إيجابياً يؤكد النظرية، فنحن نعلم أن دور الأنبياء هو دور تبشير وإنذار وتبليغ، وإذا كان لهم دور تنفيذى فإنهم يتحركون فيه من خلال الوسائل العادية المطروحة بين أيديهم فى الحالات العادية، فإذا جاء التحدى الكبير الذى يحول الموقف إلى خطر كبير على الرسالة والرسول، بحيث كانت الوسائل العادية ذات مردود سلبى على الموقف والموقع، لأنها تجعل القضية فى حالة الضعف الشديد، فإن المعجزة عندئذ تتحرك لتحفظ توازن الرسالة فى موقع الرسول، وتصدم واقع الكافرين بالصدمة القوية القاهرة التى ترد كيدهم وتهدم كيانهم وتؤدى بهم إلى الضعف والهزيمة. كما فى طوفان نوح (عليه السلام) ونار إبراهيم (عليه السلام)، وعصا موسى (عليه السلام)، أو يده البيضاء، وفلق البحر له، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص لدى عيسى (عليه السلام)، وقرآن محمد (ص)، وتنتهى المسألة عند هذا الحد فتكون بمثابة قضية فى واقعة، وتعود الرسالة إلى مجراها الطبيعى، ويعود الرسول إلى الوسائل العادية، ويتحرك الصراع من جديد ليعيش النبى هنا، وهناك أكثر من مشكلة، وهمّ وبلاء، فيتحمل الألم القاسى، ويواجه التحديات الصعبة، كأى إنسان آخر من دون أن يبادر إلى أية وسيلة غير عادية للتخلص من ذلك كله. أما التشريف، فإنه لا يتمثل فى إعطاء القدرة من دون قضية، أو توسيع السلطة من دون مسؤولية، والله يشرف أنبياءه من خلال رفع درجتهم عنده من خلال تقريبهم إليه، ومحبته لهم، وعلو مقامهم فى الآخرة، أما الدنيا فلا قيمة لها عنده، ولذلك لم يجعلها أجراً لأوليائه بل أتاح الفرصة الكبرى فيها لأعدائه. إننا لا نجد أية ضرورة أو حاجة تفرض إعطاء الولاية التكوينية المطلقة لهم إلا بالمقدار الذى تحتاجه الرسالة فى أصعب أوقات التحدّى مع احتمال أنها ليست من قدرتهم، ولكنها قدرة الله بصورة مباشرة، ثم ما معنى هذه الولاية التى لا أثر لها فى حياتهم من قريب أو من بعيد، ولا دخل لها فى حماية رسالتهم، فلم يستعملوها فى إذهاب الخطر عنهم، ولم يتحركوا بها فى الانتصار لرسالاتهم، وذلك من خلال قراءة تاريخهم الصحيح كله؟ أدلة الولاية التكوينية الناحية الثانية: ناحية الدليل على ثبوتها من خلال النص القرآنى فى نطاق المعاجز الخارقة فى حياة الأنبياء، فنلتقى فى البداية بالنبى نوح فى قوله تعالى: (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر، فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر، ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر، وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمرٍ قد قدر) (القمر: ٩ـ١٢) وهى واضحة الدلالة على أن المسألة كانت دعاء نوح واستجابة ربه له بإغراق الكافرين بالطوفان، من دون أن يكون لنوح أى دور عملى فيه. فإذا انتقلنا إلى إبراهيم (ع) فنجد قوله تعالى: (قالوا حرقوه وانصروا ءالهتكم إن كنتم فاعلين، قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم، وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين) (الأنبياء:٦٨ ـ ٧٠) إنه اللطف الإلهى بنبيه إذ أردوا إحراقه، فأنجاه الله من النار، فحوّلها إلى عنصر بارد، فإذا انتقلنا إلى الطلب الذى قدمه النبى إبراهيم (عليه السلام) إلى ربه أن يريه كيف يحيى الموتى، وذلك قوله تعالى (وإذ قال إبراهيم ربّ أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك ثم اجعل على كل جبلٍ منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم) (البقرة: ٢٦٠) فإننا نرى أن دور إبراهيم فى المسألة هو أن يأتى بالطيور ويذبحها، ويقسمها إلى أجزاء ثم يدعوهن لتأتينه سعياً، لنشاهد الصورة الواضحة فى كيفية إحياء الله الموتى، فإن الله هو الذى أحياها بطريقة مباشرة، ولم يكن لإبراهيم دور فى ذلك. ونصل إلى موسى (ع) الذى تمثّلت المعجزة لديه أولاً ـ فى مجلس فرعون الذى قال كما جاء فى قوله تعالى: (قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين، فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين، ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين) (الأعراف: ١٠٦ـ١٠٨) ثم فى ذروة التحدى الذى واجهه فى صراعه مع السحرة، وذلك فى قوله تعالى: (وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفكون) (الأعراف: ١١٧)، ونحن لا نرى أى جهد لموسى فى الموضوع، فإنه كان يعيش دور المنفعل الذى يحول الله يده السمراء إلى

بيضاء، ويحول العصا التى يمسكها إلى ثعبان، وكان خاضعاً للخوف من تجربة السحرة، وللحيرة فى ما يمكن أن يقوموا به رداً للتحدى، لأنه كان ينتظر تدخل الله غير العادى فى المسألة، وذلك هو قوله تعالى (فأوجس فى نفسه خيفة موسى، قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى، وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) (طه: ٦٧ـ٦٩). ثم نلتقى بالنبى سليمان (عليه السلام) الذى قال: (رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب) (ص: ٣٥) واستجاب الله دعاءه: (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بنّاء وغواص، وآخرين مقرنين فى الأصفاد، هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) (ص: ٣٦ـ٣٩)، فليس فى القصة إلا دعاء واستجابة ربانية أعطته ما يريد من دون أن يكون له أى دور عملى أو قدرة واقعية فى تحقيق ذلك. ونصل ـ بعد هذه الجولة الطويلة ـ إلى عيسى (ع) الذى يُدّعى ظهور الآية فى صدور المعجزة عنه من خلال جهده الذاتى الذى اكتسبه بإذن الله، وهذا هو ما جاء فى الآية الكريمة: (أنى أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون فى بيوتكم) فنلاحظ أنه ينسب الخلق إلى نفسه، كما يتحدث عن عملية إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، والإخبار بالغيب فى أوضاع الناس الخاصة إلى جهده وفعله الشخصى، ولكن بإذن الله. وربما يجد القائلون بالولاية التكوينية الحجة الدامغة فى هذه الآية الكريمة، ولكننا نستوحى من كلمة: (بإذن الله) فى هذه الآية، أو كلمة: (بإذنى) (المائده: ١١٠) أن دور عيسى كان دور الآلة التى تتحرك لتصنع شيئا كهيئة الطير وتنفخ فيه، فيبعث الله فيه الحياة، وهكذا يضع يده على الأكمه والأبرص، وعلى الميت، فتحدث العافية فى الأولين، وتنطلق الحياة فى الثالث من خلال إرادة الله. من هنا فإن كلمة (بإذن الله) لا تعنى معناها الحرفى اللغوى، بل تعنى معنى القوة التى تنطلق لتحقق النتائج الحاسمة التى لا يملك عيسى (ع) آية طاقة خاصة به فيها. وهكذا نرى أنه لا دليل فى كل هذه المواقع على الولاية التكوينية فى النص القرآنى، بل ربما نجد الدليل على خلافها من خلال الآيات التى تدل على أن النبى لا يملك شيئا فى ذلك كله وأن مهمته الأولى والأخيرة هى الرسالة فى حركتها فى الإبلاغ والتبشير والإنذار، وهداية الناس إلى سبل السلام فى الطريق إلى الله، بل إن القرآن يؤكد وجود عناصر الضعف البشرى فى ذات الرسول، ولكن فى المستوى الذى لا ينافى العصمة، فنقرأ فى سورة الإسراء قوله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتى بالله والملائكة قبيلا، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولاً) (الإسراء: ٩٠ـ٩٣) فنحن نلاحظ أن النبى (ص) لم يتحدث عن رفضه للمعجزات الإقتراحية التى يوجهها الناس الكافرون للأنبياء كوسيلة للتحدى والتعجيز مما يرفضه الأنبياء، لأن مهمة النبى ليست هى إشغال نفسه بتنفيذ هذه الطلبات التى لا معنى لها بعد إقامة الحجة عليهم من قبله، بل تحدث عن أن ذلك لا يدخل فى مهمته الرسالية، كما أنه لا يملك هذه القدرة باعتبار بشريته التى تختزن فى داخلها الضعف البشرى. وإذا كان بعض الناس يتحدثون عن أن القائلين بالولاية التكوينية يؤكدون أن النبى لا يختزن فى مضمون بشريته أية قدرة ذاتية، بل إن الله هو الذى يمنحه ذلك، فإننا نجيب أن النبى (ص) إنما كان يتحدث عن الواقع الفعلى الذى تمثله طاقته فى دوره، فإن الله أعطاه الطاقة المرتبطة بحركية الرسالة فى الناس، ولم يعطه الطاقة ـ حتى بإذنه ـ لمثل هذه الطلبات الصعبة. وقد نستوحى من هذه الآيات ومن غيرها أن المعجزة الوحيدة للنبى هى القرآن الكريم، فلم يقم النبى بمعجزة أخرى كانشقاق القمر، بحيث لو كانت منه لكانت أكثر استجابة للتحدى الذى واجهه النبى (ص) من قبل المشركين، كما أنها أكثر صعوبة من هذه الإقتراحات، وقد تحدث المشركون عن هذه المسألة ـ وهى عدم قيام النبى محمد (صلى الله عليه وآله) بالمعجزة المماثلة لما قام به الأنبياء السابقون ـ وذلك فى قوله تعالى: (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه، قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون) (الأنعام: ٣٧) وقوله تعالى: (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه، إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) (الرعد: ٧) فقد يظهر من هذه الآية، أن إنزال الآيات ليس أمراً ضرورياً للنبوة إلا فى حالات التحدى الكبير الذى يهدد حركتها فى ساحة الصراع والمواجهة، ولذلك لم ينزل الله على النبى آية لأن التحدى لم يصل إلى هذه المرتبة الحاسمة، وقوله تعالى (وما

منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) (الإسراء: ٥٩) وظاهرها نفى الإرسال بالآيات بالرغم من أنها كانت مطلبا ملحا للمشركين، كما جاء فى آية أخرى فى قوله تعالى: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) (الأنعام: ١٠٩) فإن المسألة لم تكن فى مستوى الضرورة، ولم تكن فى واقع الحاجة للمهمة الرسالية. ونلتقى فى آيات أخرى ببعض مظاهر الضعف البشرى الفعلى للأنبياء، وذلك كما فى قصة موسى الذى خرج من المدينة خائفاً يترقّب وكان يعيش الخوف من قتل فرعون وقومه له: (ولهم علىَّ ذنب فأخاف أن يقتلون) (الشعراء: ١٤) والخوف فى ساحة التحدى مع السحرة: (فأوجس فى نفسه خيفةً موسى، قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى) (طه: ٦٨)، ونجد فى قصة إبراهيم عندما دخل عليه الملائكة: (فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف) (الذاريات: ٢٨). ونلاحظ ذلك فى خطاب الله للنبى محمد (ص) كيف يقدم نفسه للناس: (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتّبع إلا ما يوحى إلى) (الأنعام: ٥٠)، وقد ورد هذا المضمون فى سورة هود فى آية: (ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إنى ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً) (هود: ٣١)، فإن هذه الآية ظاهرة فى تأكيد بشرية الرسول (ص)، وبأن كل ما لديه إنما هو من الله سبحانه وتعالى، يمنحه إيّاه بقدر حاجة الرسالة إليه فى حركتها فى الحياة، وثمة إشارة فى الآية إلى أن الغيب الذى قد يعلمه الله للنبى إنما ينزل عليه بطريق الوحى، كما جاء التصريح به فى آية أخرى: (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك) (آل عمران: ٣٤)، وقد جاء به فى قوله تعالى: (قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) (الأعراف: ١٨٨)، وهذه الآية تدل على نفى الفعلية فى وجود الطاقة التى تدفع عن الإنسان الشر، وتجلب له الخير، بحيث إنها تأتى تدريجاً بمشيئة الله، لا بنحو خلق الطاقة فى الكيان النبوى ليتحرك من خلالها إراديا، ويؤكد ذلك أنه يتحدث عن الواقع الذى كان يصيبه بسوء بمختلف ألوانه، أو يمنع منه الكثير من الخير، فكأنه يريد الإيحاء بأن ذلك لا يتصل بدوره لأن دوره البشارة والإنذار لقوم يؤمنون مما لا يحتاج فيه إلى علم الغيب إلا بما يرتبط بحركة الرسالة فى تاريخ الرسالات فى الأمم السابقة، وهذا مما يوحيه الله إليه فى القرآن الكريم من أنباء الغيب، فى التاريخ الذى لا يعلمه هو ولا قومه. وقد ورد فى بعض الآيات الحديث عن أن الله يظهر رسله على الغيب، وذلك هو قوله تعالى: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً، إلّا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عدداً) (الجن: ٢٦ ـ ٢٨)، فقد استند إليها القائلون بأن الله قد أعطى رسوله وأولياءه العلم بالغيب إما بطريق الفعلية الإستحضارية، وإما بطريق القوة، بمعنى أنه لو شاء أن يعلم لعلم. وذكروا أن ظاهر الإستثناء فى قوله تعالى: (إلا من ارتضى من رسول) هو الإطلاق الذى لم يتقيد بشىء مما يوحى بأن المسألة تشمل كل شىء يريد الرسول أن يعلمه من الغيب ويفسرون ما حكى من كلامه تعالى من أن إنكارهم العلم بالغيب أريد به نفى الأصالة، الاستقلال دون ما كان يوحى، ولكننا نحتمل أن يكون قوله تعالى: (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً) إشارة إلى الغيب الذى يظهر عليه من ارتضى من رسله، وهو الجو الملائكى الذى يحميه من الشياطين، فيطردهم عنه ويعصمه من وساوسهم وتخاليطهم، حتى يبلغ ما أوحى به إليه، فليست الآية فى مقام الحديث عن علم الرسول للغيب بل عن حمايته بطريق الغيب، فكأنه بداية كلام جديد فى الحديث عن مهمة الرسل فى إبلاغهم رسالات ربهم وإطلاعه عليهم وحمايته لهم، وذلك على أسلوب الاستثناء المنقطع، لأن مثل هذا الاستثناء ـ على حسب ما يرى هؤلاء ـ يتنافى مع الأسلوب القرآنى الذى يؤكد نفى علم الأنبياء بالغيب، الذى لم يكن واردا على سبيل نفى الاستقلال ـ كما ذكر ـ بل على نفى الفعلية بحسب الواقع الفعلى الذى يعيشه فى حياته، وفى مهمته الرسالية. وخلاصة الفكرة أن هناك فرقاً بين علم الغيب كملكة تدخل فى نطاق التكوين الذاتى للنبى ـ فى خصوصية نبوته ـ وهذا ما ينفيه الظاهر القرآنى، سواء ذاك المتصل بأخبار الماضين، والذى يمكن إدراجه تحت عنوان علم الغيب، حيث ثمة إشارة واضحة فى القرآن الكريم أن أنباءه هى من وحى الله تعالى، أو ذاك المتصل ببعض موارد الحاجة اليه فى موارد معينة، فيلهمه الله تعالى إياه إلهاماً، فهذا ما لا ينفيه النص القرآنى، بل قد تؤكده بعض

الآيات، وقد وردت أحاديث متنوعة فى علم الانبياء والأئمة بالغيب، وهى موضع جدل علمى، وربما نتعرض لها فى ما يأتى فى حديث الغيب فى آيات القرآن. ومن خلال هذا الحديث الطويل نستطيع أن نخرج بالفكرة التى تنفى الولاية التكوينية بمعناها التكوينى الذى منحه الله للانبياء وللأئمة، لأن الدليل لم يدل عليه ـ حسب فهمنا القاصر ـ ولكن يبقى ـ فى المسألة أن الله يمنح الأنبياء الفرصة التى يواجهون فيها تحديات الكفر بالمعجزات عند الحاجة إليها، والله العالم ["١٨٥] . ويقول البعض أيضاً فى موضع آخر عن علم الانبياء ونفى ولايتهم التكوينية ما يلى": وقد جاء ذلك فى قوله تعالى: (قل: ما كنت بدعاً من الرسل، ولا أدرى ما يفعل بى ولا بكم إن اتبع إلا ما يوحى إلى، إن أنا إلا نذير مبين) (الاحقاف: ٩) فإنها تدل على نفى فعلية علم الغيب فى واقع الذات، وحصر المسألة فيما يأتيه من الوحى. فهو خارج هذا النطاق لا يملك علم الواقع من ناحية فعلية.. وبهذا يردّ على ما ذهب إليه بعض المفسرين من أن علم الغيب المنفى عن غير الله وارد على نحو الأصالة، فلا ينافى علم غيره بالتبعية مما يصدر منه، فإن الظاهر من كل الآيات نفى العلم الذاتى حتى على نحو التبعية بمعنى جعل النبى عالماً بالغيب بحيث يملك علم الغيب فى ذاته بقدرة الله فى عطائه له كما أعطاه ملكاته الأخرى بل المسألة هى مسألة مفردات الغيب فى حاجاته له من خلال الوحى بطريقة أخرى. وفى ضوء ذلك نستطيع فى النص القرآنى الرد على الفكرة التى تجعل للنبى الولاية على الكون بأن يغيره ويبدّله ويتصرّف فيه من خلال القدرة العظيمة التى أودعها الله فى شخصه مما يطلق عليه اسم (الولاية التكوينية) وإن هذه الفكرة لا تلتقى بالنصوص القرآنية السابقة فإذا كان النبى لا يملك ـ فى فعلية قدرته الوجودية ـ لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا يعلم الغيب الذى يهيئ له فرصة استكثار الخير فى حياته وإبعاد السوء عن نفسه، فيما يستقبله من أمره، وتزداد المسألة وضوحاً فى الآية الكريمة فى مواجهة النبى للمشركين فى اقتراحاتهم التعجيزية كشرط للإيمان... الخ [١٨٦] . ثم يتابع كلامه شارحاً مقولته هذه وفقاً لما نقلناه عنه فى النص السابق، فلا حاجة إلى إعادته بتمامه ما دام أن ذلك لن يفيد شيئاً وسيكون من التكرار الممل، والإطناب المخل.

وقفة قصيرة

ونقول: ١ ـ إن هذا البعض قد قرر": أن الولاية التكوينية ليست من الضرورات التى تفرضها الرسولية. "..ونقول: إن الرسولية تعنى قيادة الأمة من موقع الهيمنة، كما دلّت عليه طبيعة التشريع الإسلامى، وتعاليمه الغرّاء والمشتملة على جهاد الظالمين، وعلى إقامة الحدود، والقصاص، والقضاء بين الناس والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وما إلى ذلك.. ودلّت عليه أيضاً الآيات الكثيرة مثل قوله تعالى: (لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان، ليقوم الناس بالقسط. وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد، ومنافع للناس. وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب، إن الله قوى عزيز) [١٨٧] . بل إن كون النبى شاهداً على الناس فى شرق الأرض وغربها، إنما يعنى: أنه لابد أن يكون مطلعاً على أعمالهم الجوارحية والجوانحية حتى خلجات هذا الإنسان النفسية، وأفعاله القلبية. وحتى فى عواطفه، وفى حبه، وفى بغضه، وفى حالاته النفسية، كاليأس والرجاء.. وما إلى ذلك.. ثم تربيته تربيه صالحة، والهيمنة عليه من موقع المعرفة والوعى وما إلى ذلك.. وبعد ذلك كله نقول: من الذى قال: إن ذلك كله وسواه مما مرّ ويأتى لا يقتضى ولاية تكوينية سواء فى حدها الأدنى، أو فى حدها الأعلى، فإن هذا البعض ينفيها بجميع مراتبها.. ٢ ـ إن هذا البعض لا بد أن يعترف بأن الله قد سخر لسليمان الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب وسخّر له غير الريح أيضاً.. كما أنه لا يستطيع أن يناقش فى أن آصف بن برخيا ـ وهو ليس بنبى ـ قد جاء بعرش بلقيس ـ من اليمن قبل ارتداد الطرف.. وقد نسب الإتيان به إلى نفسه واعتبره فعلاً له.. ٣ ـ قوله": إن الأنبياء، لم يمارسوا الولاية التكوينية فى حياتهم. "قد عرفت آنفا أنه لا يصح.. وثمة أمثلة كثيرة أخرى ستأتى. ٤ ـ أما بالنسبة لما اقترحه المشركون على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأجابهم بقوله: (قل: سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولاً) فقد أشرنا أكثر من مرة إلى أنهم إنما طلبوا منه أن يفعل ذلك لأجل أن يثبتوا أنه (صلى الله عليه وآله) ليس بشراً.. فإجابة طلبهم سوف توجب تضليل الناس، لأنهم سيعتبرونه ـ والحالة هذه ـ من غير البشر، ولأجل ذلك حكى الله عنهم تعجبهم من بشريته، فقال تعليقاً على مطالبهم تلك: (وما

منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى، إلا أن قالوا: أبعث الله بشراً رسولاً..) فرد الله عليهم ذلك بقوله تعالى: (قل: لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً..) [١٨٨] . أضف إلى ما تقدم: أنه لا يجب على الله إجابة مقترحى الآيات والمعجزات فى ما يقترحونه. ٥ ـ إن عدم وجدان هذا البعض التفسير المعقول ـ عنده ـ للأحاديث التى تدل على أن الله سبحانه خلق الكون لأجل النبى (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت الطاهرين (عليهم السلام)، لا ـ يعنى عدم صحة هذه الأحاديث، وعدم وجود التفسير المعقول لها. ولا يستطيع هذا البعض ولا غيره أن يدعى: أنه قد فهم كل شىء ورد فى كتاب الله، وعن النبى (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام). وهذا هو القرآن يكتشف العلماء فى كل جيل الكثير من حقائقه، ويقفون على الكثير من دقائقه، وكذلك الحال بالنسبة لكلام المعصومين (ع). فهل ذلك يعنى أن ما لم يفهمه هذا البعض من القرآن، ومن غيره يجب إسقاطه وحذفه وعدم الإهتمام له، والإعتداد به؟! ٦ ـ إنه يمكن فهم هذه الأحاديث على أساس التشريف، والتكريم لهم فإنهم هم الحقيقة التامة فى ظهورها، والكمال فى تجلياته الجمالية فى مواقع القرب إلى الله، فإن هذا التجلى، وذلك الظهور هو الغرض من خلق الخلق الذى لا ـ يستحق شيئاً من ذلك فى ذاته، وهو مظهر النقص والإنحدار والسقوط فلولا ـ أنه تعالى أراد أن يتجلى ذلك الكمال، وأن تتجسد تلك الحقيقة التامة، فإن هذا الكون الناقص، الذى هو عالم الفساد والإفساد لا يستحق العناية والإهتمام بأى حال.. ٧ ـ وأما بالنسبة لقول هذا البعض": إن رد علم بعض الأمور إلى أهله يقتضى إهماله "..فغير سديد أيضاً، لأن هناك أموراً يطلب العلم والإعتقاد بها على سبيل الإجمال، حيث قد يمتنع التفصيل فيها لأكثر من سبب.. وقد رأينا: أن هذا البعض يعترف فى مواضع كثيرة جداً قد تعدّ بالعشرات بوجود أمور أجملها القرآن، فراجع كلماته. وخذ على سبيل المثال قوله عن دابّة الأرض التى يخرجها الله فى آخر الزمان بأنها مما أجمله القرآن، فلنجمل ما أجمله القرآن، وكذا الحال بالنسبة لما ذكره حول الرجعة [١٨٩] ، وعن الملائكة [١٩٠] ، ومفارقة روح الميت جسده [١٩١] ، وغير ذلك.. فهل يجيز هذا البعض أن لا نعتقد بكل تلك الأمور التى اعترف بإجمالها، وأن نخرجها عن دائرة الإعتقاد لمجرّد أنه لا ـ يوجد تفصيلات كافية لها؟! لكى تمثل وعياً فى الفكر، وقناعة فى الوجدان على حد تعبيره، ولماذا لا يكون المطلوب هو الوعى والقناعة الإجمالية على ما هو عليه الواقع؟! وهل يستطيع هذا البعض أن يتحفنا بتفاصيل دقيقة عن الروح والجن والملائكة وعن حقيقة الذات الإلهية وعن تفاصيل ما يجرى فى البرزخ وكيفياته... وغير ذلك؟!! مع أن ذلك كله وسواه كثير جداً.. مما يلزم الإعتقاد به على ما هو عليه، وعلى سبيل الإجمال!!. وهل يصح إخراج ذلك كله عن دائرة العقيدة لمجرد عدم قدرتنا على الإحاطة بتفاصيله؟! هذا.. وقد روى عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن جميل بن صالح عن أبى عبيدة الحذاء، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: (والله إن أحب أصحابى إلى، أورعهم، وأفقههم، وأكتمهم لحديثنا، وإن أسوأهم عندى حالاً، وأمقتهم للّذى إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنا فلم يقبله اشمأزّ منه، وجحده، وكفّر من دان به. وهو لا يدرى لعل الحديث من عندنا خرج، وإلينا أسند، فيكون بذلك خارجاً عن ولايتنا) [١٩٢] . ٨ ـ إن ما ذكره من أن المعجزة إنما تكون فى مقام التحدّى، وبعدها تعود الرسالة إلى مجراها الطبيعى، ويعود الرسول إلى الوسائل العادية، كأى إنسان آخر من دون أن يبادر إلى أى وسيلة عادية غير دقيق.. فإن ما تقدم يظهر لنا: أن الرسول الشاهد يحتاج إلى الإطلاع المباشر على ما يشهد به، فيرى من خلفه، وتنام عيناه، ولا ـ ينام قلبه، ويرى أعمال الخلائق، وذلك يحتاج إلى وسائل غير عادية، والرسول المسؤول حتى عن البقاع والبهائم يحتاج إلى وسائل غير عادية ليعرف لغات البهائم ويحل مشاكلها (علّمنا منطق الطير). (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم، لا ـ يحطمنكم سليمان وجنوده، وهم لا ـ يشعرون فتبسم ضاحكاً من قولها). ولنتذكر أيضاً حديث سليمان مع الهدهد.. وكذلك ما قدمنا فى هذا المورد وموارد أخرى من هذا الكتاب حيث تكلّمنا حول هذا الموضوع أكثر من مرة. ٩ ـ ونجد فى سيرة النبى (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) مبادرات كثيرة إلى الوسائل غير العادية للتخلّص من المشاكل.. وقد طلب سليمان من الذين حوله أن يأتوه بعرش بلقيس بوسائلهم غير العادية، فكان له ما أراد، كما نص عليه الكتاب العزيز. وفى حرب الخندق أطعم النبى (ص) الجيش الجائع كله من شاة عجفاء، وحطم الصخرة التى اعترضت الجيش فى حفر الخندق فعجز عنها ـ حطّمها ـ بثلاث

ضربات، ولو أردنا استقصاء الموارد التى من هذا القبيل لكان علينا ملء عشرات بل مئات الصفحات من تاريخ النبى (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام)، ولا يمكن لأى كان من الناس أن يعتبر ذلك كله فى عداد الموضوعات والمختلقات، فكيف أجاز هذا البعض لنفسه: أن يدعى أن معجزة النبى (صلى الله عليه وآله) الوحيدة هى القرآن؟!. ١٠ ـ أما قوله": إن التشريف لا يتمثل فى إعطاء القدرة دون قضية "فغير مقبول أيضاً.. فإن التشريف نفسه هو القضية، حيث يؤدّى إلى المزيد من الاحترام للرسول، ورفعة شأنه، وتعميق الإرتباط به من موقع التعظيم، والإجلال، والتقديس.. الأمر الذى يؤدّى إلى المزيد من الحرص على التأسى به، وإلى عمق تأثير كلامه فى النفوس، وإلى مزيد من الدقّة فى التعامل معه، وما إلى ذلك من قواعد وفوائد جليلة وهامة. ١١ ـ وأما عن التشريف فى الآخرة لا ـ فى الدنيا، فإن الله قد شرّفه فى كتابه الكريم مزيد تشريف حيث أمر الناس بالصلاة عليه.. وبأن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوته، وبأن لا ينادوه من وراء الحجرات، وبأن لا يقدّموا بين يدى الله ورسوله. وأن يقدّموا بين يدى نجواهم صدقة.. وبأن لا يكون دعاء الرسول بينهم كدعاء بعضهم بعضاً، وحرم الزواج بنسائه من بعده.. وغير ذلك كثير. فهل إن ذلك كله من التشريف له (صلى الله عليه وآله)؟! أم إنه قلة مبالاة وعدم اهتمام؟! وهل نسى هذا البعض قوله تعالى: (ورفعنا لك ذكرك)، فهل رفع الذكر لا يدخل فى نطاق التشريف والتكريم، كما وأنه سبحانه قد أعطاه الكوثر من خلال ابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام). بل إن الله سبحانه إذا كان قد كرم بنى آدم، وكرم المؤمنين وميّزهم أيضاً على الكافرين، فهل يعقل أن يكون قد ترك أنبياءه، وأولياءه كسائر الناس، خلواً من أى تكريم..؟! ١٢ ـ أما قوله": أما الدنيا فلا قيمة لها عنده، ولذلك لم يجعلها أجراً لأوليائه، بل أتاح الفرصة الكبرى فيها لأعدائه. "..فهل يعنى: أن المؤمنين حتى الأنبياء يجب أن يكونوا فى الدنيا أذلاء حقراء، خالين من أوسمة الشرف التى يستحقونها بظل الله وعنايته، ولا كرامة لهم، ولا قيمة؟!. وهل إن التكريم فى الدنيا، هو عمل دنيوى أم إنه عمل يقصد به شد عزيمة الناس، وتعميق ثقتهم برموزهم الكبار، وبسط الرجاء والأمل لهم فيهم، وتأكيد حالة الإكبار، والإجلال فى نفوسهم.. ليتأكد إلتزامهم بهذا، وليعيشوا حالة الإعتزاز به، والإحساس بالمجد، والكرامة، والسؤدد فيه.. ١٣ ـ وعن احتماله": أن يكون ما يحصل فى أوقات التحدّى ليس من قدرة الأنبياء، ولكنها قدرة الله مباشرة. "..نقول: إن ذلك لا ينسجم مع قوله: (إنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير، فأنفخ فيه، فيكون طيراً بإذن الله). (وأبرئ الأكمه، والأبرص، وأحيى الموتى بإذن الله..) (آل عمران: ٤٩) وقوله تعالى ناسباً العمل إلى عيسى (ع): (وتبرئ الأكمه والأبرص) (المائده:١٠٠)، وقول آصف بن برخيا: (أنا آتيك به..) وغير ذلك مما يدل على نسبة الفعل إلى فاعله، لأن الله سبحانه قد أجراه على يد عيسى، وآصف بن برخيا، من دون أن يكون ذلك باختيارهما بحيث لا يصحّح النسبة إليهما (عليهما السلام) والحال هذه إلا على أساس نظرية الكسب، التى جاء بها الأشعرى.. والتى تقول: إن الله سبحانه يخلق قدرة الإنسان حين صدور الفعل من الله سبحانه، ولكنها ليس لها أى تأثير فى الفعل نفسه، بل التأثير منحصر بالله سبحانه [١٩٣] . وتكون هذه القدرة بمثابة الحجر فى جنب الإنسان!!. ١٤ ـ إن الإذن الإلهى فى الفعل لا ينافى الإختيار، وقد قال الله سبحانه وتعالى: (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله) [١٩٤] فإن الإيمان ليس أمراً إجبارياً. وقال تعالى: (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) [١٩٥] . والآيات فى هذا المجال كثيرة. ١٥ ـ وعن استعمال الأنبياء الولاية التكوينية فى حماية أنفسهم من الأخطار، وفى رسالتهم.. نقول: لا ريب فى أنهم قد استعملوها فى خدمة الرسالة.. وقد أشرنا إلى ذلك فيما ذكرناه آنفا فلا نعيد. ١٦ ـ وأما بالنسبة": لحماية أنفسهم من الأخطار من خلال الولاية التكوينية، وكذلك حماية رسالتهم "..فإن ذلك لا ينسجم مع إعطاء الخيار، والإختيار للإنسان العاصى، والمطيع على حد سواء.. حيث قد ذكرنا أكثر من مرة: أن عدل الله سبحانه يقضى بأن لا يحول بين المرء وإرادته، وأنه إن كان ثمة من حاجة إلى التدخل الإلهى، فإنما يكون فى خارج دائرة اختيار الإنسان. ولأجل ذلك، حين واجه إبراهيم تصميم قومه على قتله بإحراقه بالنار، اقتضى العدل الإلهى أن يمارس الطغاة حريتهم فى جمع الحطب، وفى إضرام النار، وفى أخذ إبراهيم، ووضعه فى القاذف (المنجنيق)، وإطلاقه، ووضعه وسط النار، ولم تتدخل الإرادة الإلهية للحيلولة بينهم، وبين ما أرادوه، فلم نجد أيديهم قد تعطلت عن الحركة، ولم نجد المنجنيق (القاذف) استعصى عليهم بل فعلوا كل ما أحبوه، ولكن الإرادة الإلهية تدخلت من خارج هذه الدائرة، وتوجهت إلى النار نفسها وحالت بينها،

وبين إنتاج النتيجة المفترضة، وهو الإحراق.. (قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم..). وهكذا الحال بالنسبة إلى نبيّنا حين الهجرة، فإن المشركين قد فعلوا كل ما أرادوا، ولكن التدخل الإلهى قد كان خارج دائرة اختيارهم، حيث نسجت العنكبوت على باب الغار، ونبتت الشجرة، وباضت الحمامة الوحشية على باب الغار أيضاً، واحتضنت بيضها، فتوهم المشركون: أن لا أحد فى داخل ذلك الغار، فانصرفوا عنه.. ولأجل ذلك نجد المسلمين رغم أنهم كانوا يعانون من حفر الخندق، ومن حرب الأحزاب، فإن الله لا يتدخل لينجز لهم ما هو مطلوب منهم، ولا يحول بصورة جبرية بين أولئك الأشرار، وبين ما يريدونه من شر بالمسلمين.. بل يكون التدخل فى دائرة أخرى، وهى تكثير الطعام حتى ليأكل الجيش كله من شاة عجفاء، ليزداد المسلمون بصيرة فى أمرهم، وثقة بربهم، ولينجزوا أمر الجهاد ومن ثم، يحققون الأهداف الإلهية باختيارهم وبملئ إرادتهم لينالوا ثواب المجاهدين الصابرين.. ١٧ ـ ولا ندرى بعد هذا.. متى؟ وكيف؟ تسنى لهذا البعض أن يقرأ التاريخ الصحيح كلّه للأنبياء..؟ وأين يوجد هذا التاريخ الصحيح؟.. وكيف ميّز صحيح هذا التاريخ من سقيمه؟.. ومتى قام بهذه المهمة الشاقّة والتى تحتاج إلى عشرات السنين، بل المئات؟ وإذا كان قد قرأ التاريخ الصحيح، فلماذا لم يجد بعض ما صرّح به القرآن مما تضمّن تحريك الولاية التكوينية؟ وكذلك ما ذكرناه له من مفردات فى هذا المورد من هذا الكتاب؟! وكيف لم يقرأ كيف أن سليمان كان يستخدم الجن: (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، وجفان كالجواب، وقدور راسيات، اعملوا آل داود شكرا، وقليل من عبادى الشكور) (سبأ: ١٣). فهل ذلك كلّه لم يكن فيه أى شىء يعود لسليمان نفسه، حتى الجفان، والقدور، والتماثيل، وغيرها.. والذى كان شياطين الجن يبنونه له، ثم الذى كانوا يستخرجونه له بالغوص فى قاع البحار (والشياطين كل بنّاءٍ وغوّاص)، وحتى داود حيث ألان الله له الحديد، حين كان يعمل الدروع السابغات، هل كان هو نفسه يستفيد من تلك الدروع فى حماية نفسه. وكيف يثبت أن ذلك كله قد كان بعيداً كل البعد عن إمكانية استفادته الشخصية منه. ١٨ ـ أما بالنسبة لقضية نوح، حيث دعا على قومه، فاستجاب الله سبحانه له، فكان الطوفان.. فإن هذا الأمر يتعلق بعقوبة الناس على كفرهم، وطغيانهم وظلمهم، وليس ثمة من ضرورة لأن يتولى الأنبياء ذلك بأنفسهم من خلال قدرتهم على التصرف, حيث لم يثبت أن ذلك يدخل فى نطاق صلاحيتهم.. بل ربما يكون فى إيكال ذلك إليهم إحساس لدى الناس بالقهر وبالجبر بمجرد بعثة الرسل إليهم، ولا تبقى لديهم فرصة للإختيار، حين يشعرون: أنهم أمام أمرين إما الإيمان، أو الموت على يد هذا الرسول نفسه. وحتى لو قبل هذا البعض بما ورد عنهم (عليهم السلام) فى تفسير قوله تعالى: (إن إلينا إيابهم) فإن ذلك لا يدفع هذا الإشكال، لأنه ناظر إلى عالم الآخرة لا إلى الدنيا. ١٩ ـ وفى قضية طلب إبراهيم عليه السلام من الله أن يريه كيف يحيى الموتى.. قال: فخذ أربعة من الطير.. إنما كان الأمر متعلقاً برؤية التصرّف الإلهى المباشر.. وتجسيد نفس هذه القدرة الإلهية.. وأما تصرّف إبراهيم عليه السلام، فربما لا يحقق النتيجة المتوخّاة.. فإن فى نسبة الفعل إلى نفسه، وأن يكون له هو دور فى الخلق، إيحاءاته التى لا تنسجم مع ما يسعى إبراهيم (ع) إلى تحقيقه، وهو إخراج قضية الإيمان الراسخ المستند إلى البرهان والحجة، من حالة المعادلة العقلية إلى دائرة التجسد الحى على صفحة الوجود، سعياً وراء تحقيق السكينة، ليتلاءم، وليتّحد السكون النفسى مع تلك القناعة الفكرية والعقلية الراسخة، ليكونا معا الرافد للأحاسيس والمشاعر. ٢٠ ـ وعن موسى عليه السلام نجد الله سبحانه قد نسب الفعل إلى موسى نفسه فى بادئ الأمر، (فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين، ونزع يده فإذا هى بيضاء..). وحين تحدث سبحانه بعد ذلك عن إيحائه له: (أن ألق عصاك) لم يبين: أن هذا الفعل هو لموسى (ع)، بأن يكون تعالى قد أمره باستخدام الطاقة، والقدرة التى منحه إياها.. أو أنه تعالى، قد تصرّف مباشرة من دون أن يكون لموسى (ع) أية علاقة بذلك.. لا شك أن الخيار الأول هو الأولى بالإعتبار، لأن الإيحاء إلى موسى عليه الإسلام بأن يفعل كذا.. معناه أن موسى نفسه هو الذى يملك القدرة على الفعل ـ وأن الله سبحانه هو الذى منحه هذه القدرة ـ كأى إنسان آخر يمنحه الله قدرةً واختياراً، ثم يطلب منه أن يمارس قدرته باختياره.. وحين أوحى الله سبحانه إلى أم موسى: (أن اقذفيه فى اليم) فإنه أوحى إليها أن تفعل ذلك باختيارها. إذن، فلا معنى لقول هذا البعض": ونحن لا نرى أى جهد لموسى فى الموضوع فإنه كان يعيش دور المنفعل الذى يحوّل الله يده السمراء إلى بيضاء، ويحوّل عصاه إلى ثعبان الخ "..إذ ليس فى الآية إلا أن الله سبحانه قد أمر موسى بأن يخرج يده من جيبه لتظهر

المعجزة.. وليس فيها: أن لا ـ دور لموسى (ع) فيها.. أو أن له دوراً ـ ليقال: إنه يعيش دور المنفعل أو لا يعيش. ولنفرض أن الأمر فى خصوص هذا المورد كان كذلك أى أن موسى كان يعيش دور المنفعل فيه.. فهل ذلك يدل على نفى وجود أى دور له أو أية قدرات عنده فى مختلف الموارد؟!. ٢١ ـ وأما عن خوف موسى (ع) من تجربة السحرة، فمن الواضح: أنه لم يكن خوف ضعف، وإنما خاف من أن يؤثر السحرة على عقول الناس، فيضلّوهم. ٢٢ ـ وفيما يتعلق بحيرة موسى (ع) فيما يمكن أن يردّ السحرة به التحدى.. فليس لذلك أثر فى الآيات القرآنية، وإنما هو رجم بالغيب، يراد به إظهار ضعف موسى (ع)، وفقدانه أية وسيلة لمواجهة كيد السحرة. ٢٣ ـ وفيما يرتبط بأن موسى كان ينتظر تدخل الله غير العادى لحسم الموقف ورد كيد السحرة، فإنه هو الآخر تخرّص ورجم بالغيب، وليس فى الآيات أية إشارة إليه، ولا يصح الإستناد إليه فى أى استنتاج. ولا ندرى السبب فى إقدام هذا البعض على تسويق مثل هذه الأمور. ٢٤ ـ وأما عن النبى سليمان (ع) فهل يظن هذا البعض أنه قد فتح القسطنطينية حين قال": ليس فى القصّة إلا دعاء واستجابة ربانية أعطته ما يريد من دون أى دور عملى له "..فهل ثمة من يدّعى أن سليمان (ع) هو الذى أوجد هذا الملك لنفسه، وأعطى لنفسه القدرة على تسخير الريح، والجن؟!. أم أن الله هو الذى أعطاه ذلك. وجعل له القدرة على تحريك الريح ـ تجرى بأمره رخاء حيث أصاب؟!. فهل يريد هذا البعض أن لا يطلب الأنبياء من الله أن يعطيهم القدرات التى تمكنهم من القيام بمهامهم الرسالية؟!. فها نحن نقرأ دعاء إبراهيم (ع): (رب اجعلنى مقيم الصلاة، ومن ذريتى، ربنا وتقبل دعاء) [١٩٦] . فهل يصح القول بأنه فى إقامته للصلاة ومن ذريته، لم يكن إلا دعاء، واستجابة ربانية، أعطته ما يريد من دون أن يكون له أى دور عملى، أو قدرة واقعية فى تحقيق ذلك على حد تعبير هذا البعض؟! وكذا بالنسبة للشكر، والعمل الصالح الذى يرضى الله فى دعاء الإنسان، وفى مثل دعاء سليمان (ع): (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على، وعلى والدى، وأن أعمل صالحا ترضاه) [١٩٧] . ولتراجع سائر الآيات التى تتضمن الأدعية فيها ما يشبه ذلك. ٢٥ ـ وأما بالنسبة لعيسى (عليه السلام) فكيف يستطيع أن يثبت أن دوره (ع) كان دور الآلة.. ولماذا لا يكون مالكاً لقدرة أفاضها الله عليه، والله هو الذى يأذن له باستعمالها هنا تارة، وهناك تارة أخرى؟! ولماذا خرجت كلمة (بإذن الله) عن معناها الحرفى اللغوى فى خصوص هذا المحور، لتصبح دالة على القوة التى تباشر هى تحقيق النتائج من دون أى دور لعيسى (ع)، سوى كونه آلة؟! ومن أين عرف أن عيسى (عليه السلام) لم يكن يملك أية طاقة خاصة به.. ألا يحتاج ذلك حسب ما يقوله هو نفسه إلى دليل موجب لليقين، لأن القضية لا تدخل فى دائرة الأحكام ليكتفى فيها بمطلق الحجة؟! وألا يحتاج هذا النفى القاطع إلى دليل كما يحتاج الإثبات إلى دليل، على حد تعبيره؟! هذا وقد ذُكر عند النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله): أن عيسى (عليه السلام) كان يمشى على الماء. فقال (صلى الله عليه وآله): لو زاد يقينه لمشى على الهواء [١٩٨] . مما يدل على أن وجود هذه القدرة لدى عيسى (عليه السلام) تابع لمستوى اليقين لديه، ولا شك فى كونه اختيارياً. أم أن هذا البعض يتصوّر أن يمشى عيسى (عليه السلام) على الماء لا باختياره تماماً كما يتمّ تحريك الآلة الجامدة من قبل فاعل مختار قادر؟!. ٢٦ ـ إن من جملة ما اقترحه المشركون على رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو أن يرقى فى السماء، ثم ينزل عليهم كتاباً يقرؤونه.. فلم يستجب لهم، وقد جعل هذا البعض ذلك دليلاً على عجزه، وأن الله سبحانه لم يعطه قدرة، فهل ذلك معناه، أن هذا البعض يقول بعدم صحة المعراج الذى تحدث عنه القرآن؟! وعن عدم قدرته على تفجير الينابيع نقول: إنه حين استسقى موسى قومه، ضرب بعصاه الحجر (فانبجست منه إثنتا عشرة عيناً)، كما أنه (صلى الله عليه وآله) وكذلك الأئمة (عليهم السلام) قد فجّروا الينابيع للناس.. وذلك يدل على أن رفضه للإستجابة لهم إنما هو لأجل أنهم يريدون اتخاذ ذلك ذريعة للتشكيك فى بشريته، لا لأنه لم يكن قادراً عليه. ٢٧ ـ إن المعراج الذى حدث لرسول الله فعلاً هو باعتراف هذا البعض مفردة من مفردات رقيّه إلى السماء، بل حيث بلغ العرش، ورجع فى ليلة واحدة.. ومن الواضح: أن هذا الأمر ليس بأقل من حيث أهميته وخطورته، وحساسيته وصعوبته من انشقاق القمر.. فإذا كان هذا العروج قد حصل، فلماذا لا يحصل ذلك الإنشقاق؟! ٢٨ ـ قد عرفنا حين الحديث عن الولاية التكوينية أن هذه الإقتراحات كانت تهدف إلى إثبات أن النبى الذى يرسله يجب أن لا يكون بشراً، فالإستجابة لهم تستوجب تضليل فريق من الناس فلا بد من رفض طلبهم، وإبطال كيدهم. هذا بالإضافة إلى أن فتح

باب الآيات الإقتراحية خطير للغاية، حيث يصبح الأمر ملعبة بأيدى السفهاء، والجهال، وأصحاب الأهواء.. وقد جاءت السنّة الإلهية لتواجه هذه الظاهرة، بإنزال عذاب الإستئصال.. ٢٩ ـ إنه لا ـ ضير فى أن تكون آية: (لولا نزّل عليه آية من ربه) قد نزلت قبل حادثة المعراج، وانشقاق القمر، وتكليم الشجر، والحجر، وتسبيح الحصى، وتكليم الحيوانات، وغير ذلك من آيات.. فلم يستجب الله سبحانه إلى طلبهم هذا.. ثم حصلت آيات من شأنها أن تعطى اليقين، والدلالة الظاهرة على صحة هذا الدين، دون أن يكون هناك أى اقتراح من المشركين، من شأنه أن يثير سلبيات من أى نوع. ٣٠ ـ وحتى لو أن هذه الآية، وآية سورة الرعد قد نزلتا بعد المعراج، وانشقاق القمر، وغير ذلك من آيات كثيرة، لم يكن ذلك ضائراً، إذ المقصود هو طلب نزول الآية فى تلك الفترة، سواء أكانت قد سبقتها آيات أم لم تسبقها.. ٣١ ـ كيف يظهر من آيتى سورتى (الأنعام والرعد): أن إنزال الآيات ليس ضرورياً للنبوة إلا فى حالات التحدّى الكبير؟! والحال.. أن المطلوب هو آيات اقتراحية، لا مجال للاستجابة لهم فيها، لأمور أربعة: الأول: إن الآيات التى من شأنها إزاحة العذر، وإقامة الحجة القاطعة قد جاءتهم، فلم يؤمنوا بها، ومنها القرآن نفسه. الثانى: إن للإستجابة للآيات الإقتراحية عواقب وخيمة ـ لو أنهم لم يؤمنوا بمقتضاها حيث قد جرت سنة الله فى إهلاك الأولين بعد الإستجابة إلى مقترحاتهم.. واستمرارهم على الجحود، فراجع سورة الإسراء: الآية ٥٩، وسورة الأنعام: الآية ٨ و ٥٨. الثالث: إن ذلك يجعل هذا الدين ملعبة بأيدى الأشرار والسفهاء، وأصحاب الأهواء.. الرابع: إن ذلك ربما يساعد على ضلال كثير من الناس، إذا كانوا يريدون إظهار أن النبى ليس من جنس البشر. ٣٢ ـ وعن خوف موسى عليه السلام من قتل فرعون وقومه له، نشير إلى: أن هذا الخوف يدخل فى دائرة الحذر الواجب شرعاً.. كما حصل للنبى (ص) حين دخوله الغار، فإن ذلك حذر واجب على الرسول.. وليس خوف الجبن، والضعف، والإنهزام، ولا يصح احتمال ذلك فى حق الأنبياء. والعجز عن فهم الأمور التى توهم ذلك فى ظاهرها الساذج لا يبرر نسبة أمور كهذه لأنبياء الله. ٣٣ ـ وكذلك الحال تماما بالنسبة لخوف إبراهيم (ع) من ضيوفه، فإنه خوف الحذر الواجب، لا خوف الضعف، والجبن. ٣٤ ـ وخوف موسى (ع) فى موقف التحدّى مع السحرة إنما هو على الناس من أن يقعوا فريسة الوهم، ويؤثر بهم هذا الخداع، فهو خوف على الرسالة، وعلى الناس لا خوف الجبن، والإنهزام، والضعف، كما يقوله هذا البعض. ٣٥ ـ وفى مقام الجواب عن استدلاله بآيتى الأنعام: (قل: لا أقول لكم عندى خزائن الله، ولا ـ أعلم الغيب، ولا ـ أقول لكم إنى ملك، إن أتّبع إلا ـ ما يوحى إلى) وقريب منها فى سورة هود. نقول: إنه إذا كانوا يريدون من خلال إثبات هذه الأمور للأنبياء عليهم السلام التأكيد على عدم بشريّتهم، فإنه لا مجال لقبول ذلك منهم، إذ يلزم من هذا القبول بتضليل الناس وسوقهم لاعتقاد أمور فاسدة فى حق الأنبياء (صلوات الله عليهم). فالمراد إذن نفى ما يكون من هذه الصفات ملازماً لعدم كون الرسول بشراً، أى نفى صفة علم الغيب مثلا من حالاته الذاتية التى لا صلة لها بالله، فإن بعضهم كان يعبد الملائكة، وبعضهم يعتقد أن للملائكة قدرات خارقة، وعلم غيب ذاتياً فيهم، لا صلة له بالله. إذن، فلا يريد الله أن يقول فى هذه الآية: إن نبيه لا يملك طاقة ذاتية كان الله سبحانه قد أفاضها عليه، بل يريد أن ينفى ما يلزم منه عدم بشرية الرسول، أى أنه يريد أن يقول: إنه لا يقول لهم مثلاً إنه يعلم الغيب بطريقة ذاتية لا صلة لها بالله بحيث تجعله من غير البشر، بل الغيب الذى يعلنه سواء كان قدرة أم غير قدرة هو من فيض الله عليه وإعطائه له مع كونه لا يزال بشراً. ٣٦ ـ قوله": إن دفع الخير وجلب الشر كان يحصل بصورة تدريجية من دون أن يكون هناك طاقة فى ذات الرسول تؤثر فى ذلك "..ما هو إلا رجم بالغيب، فلعل هذا الأثر التدريجى كان يصدر عن طاقة أودعها الله فيه، ويتحرك من خلالها إرادياً بحيث لولا ـ أن الله أودعها فيه فهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً. ٣٧ ـ والغريب أنه حصر علم النبى بالغيب بتاريخ الرسالات السابقة، لأن ذلك هو الذى يتصل بالتبشير والإنذار؟! بل لعله الأعظم أثراً فى ذلك. ولماذا لا يكون الإخبار عن الغيب الآتى أيضاً له دوره الأهم فى التبشير والإنذار. ٣٨ ـ إن هذا البعض حصر علم النبى بالغيب بطريق الوحى الإلهى التدريجى عند الحاجة. وهذا غير مقبول منه وغير سديد، إذ قد يكون هذا العلم بواسطة إعطاء قوة يستطيع بها أن يحصل على علم الغيب كلما أراد، كالإلهام مثلا. ٣٩ ـ وحين تحدث عن العموم، والشمول لكل علم الغيب فى قوله تعالى (فلا يطلع على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول..). أجاب عن ذلك بأنه يحتمل!! أن يكون قوله تعالى: (فإنه يسلك من بين يديه، ومن خلفه رصداً) إشارة إلى أن هذا

الغيب، هو الجو الملائكى الذى يحميه من الشياطين.. فالآية لا تتحدّث عن علم الرسول للغيب، بل عن حمايته بطريق الغيب، على طريقة الإستثناء المنقطع. ونقول له: ان من الواضح: أن مجرّد الإحتمال لا يكفى للحكم بالنفى بصورة قطعية، بل لا بد من الدليل القاطع لأن النفى يحتاج إلى دليل، كما الإثبات يحتاج إلى دليل حسبما قرره هذا البعض. ولا بد أن يكون هذا الدليل مفيدا للعلم، واليقين، لأنه فى غير الشرعيات حسبما يقول أيضاً. ٤٠ ـ إنا نعرف أن الإستثناء المنقطع يحتاج إلى قرينة تبين أن المستثنى غير داخل فى المستثنى منه.. والقرينة التى ذكرها هى نفس ما يدّعيه من أن القرآن يؤكد نفى علم الأنبياء بالغيب. وقد عرفنا: أولاً: إن القرآن لم يؤكّد شيئاً من ذلك، بل هو يتحدث عن نفى العلم الذاتى المنقطع، والمستقل بنفسه من الله، حيث يريد الكفار إثبات هذا الأمر ليثبتوا أن الأنبياء ليسوا من البشر، بل هم موجودات أخرى تنال الغيب بقدراتها الذاتية من دون حاجة إلى الله سبحانه. ولا أقل من أن ذلك محتمل احتمالاً قوياً، فلا يبقى ثمة لديه ما يصلح لأن يكون قرينة على ما يقول. ثانياً: إن ظاهر هذه الآية هو الإستثناء المتصل، وثبوت كونه منقطعاً يتوقف على ثبوت ما يدّعيه هذا البعض بصورة قاطعة، وثبوت ما يدّعيه يتوقف على كون الإستثناء منقطعاً.. إذ لو لم يكن كذلك لدلّ القرآن على أن الأنبياء يعلمون الغيب وذلك بهذه الآية بالذات. وبعبارة أخرى: إنه إذا كان المستثنى منه صالحاً للإنطباق على المستثنى، فلا بد من الحكم باتصال الإستثناء، ولا يحكم بكونه منقطعاً إلا بقرينة، ولا يستطيع هذا البعض نفى علم الأنبياء بالغيب قرآنيا إلا إذا ثبت عدم دلالة هذه الآية على ذلك وأن الاستثناء منقطع، أما الآيات الأخرى فلم يثبت فيها ذلك، ومن الواضح أن كون الإستثناء منقطعاً يتوقف على إثبات أن القرآن ينفى علم الأنبياء بالغيب، ونفى علم الأنبياء بالغيب يتوقف على كون الإستثناء منقطعاً. وقد عرفنا: أن جميع ما استدل به من آيات لا يدل على مطلوبه، وهو نفى فعلية العلم بالغيب.. بل هى ناظرة إلى نفى الإستقلال فى مقابل التبعية حسبما أوضحناه. ٤١ ـ ثم إنه قد حسم الأمر فى نهايات كلامه حين أكد نفى الولاية التكوينية": لأن الدليل لم يدل عليه ـ حسب فهمنا القاصر "على حد تعبيره.. ولكن.. كيف نقبل ذلك منه، وهو نفسه يقول": إن النفى يحتاج إلى دليل كما الإثبات يحتاج إلى دليل ".. مما يعنى: أن مجرد عدم وجود دليل لا يكفى للحكم بعدم وجود ولاية تكوينية.. هذا بالإضافة إلى أننا قد ذكرنا: أن تشكيكاته بالآيات غير صحيحة، ولا مجال لقبول أى منها.. ٤٢ ـ أما بالنسبة لمهمة الأنبياء، وأنها مجرد التبشير والإنذار، والإبلاغ، والهداية، فقد ذكرنا فيما تقدم. أولاً: أنه كلام مرفوض.. من وجهة نظر القرآن، والحديث القطعى.. فلا حاجة إلى الإعادة. ثانياً: أن حصره ذلك فى هذه الأمور الأربعة ينافى ما تقدم فى فقرة سابقة من أنها: الإبلاغ، والإنذار، والهداية، والتعليم، وقيادة الناس إلى تطبيق ذلك. ٤٣ ـ بقى أن نشير إلى ما ذكره هذا البعض حول آية (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم، إن أتبع إلّا ما يوحى إلىّ) (سورة الأحقاف، الآية٩)، حيث اعتبرها دالّة على نفى فعلية علم الغيب فى واقع الذات، وأنها تحصر المسألة، فى ما يأتيه من الوحى. ونقول: أولاً: إن هذه الآية ـ كما أشرنا إليه أكثر من مرة فى مثيلاتها ـ ليست ناظرة إلى النفى المطلق، بدليل: أن النبى (ص) والأئمة عليهم السلام قد أخبروا عن غيوب كثيرة جداً، وإنما هى تنفى ما يعتقده أولئك الناس، من أن النبوة تقتضى بذاتها علماً للغيب مستقلاً عن الله سبحانه، مما يعنى أنها مقام لغير البشر بزعمهم. فجاءت هذه الآية ومثيلاتها لتؤكد على أن الأنبياء بشر، وأن علمهم بالغيب ليس ناشئاً عن ذواتهم بالاستقلال، وإنما هو عطاء من الله، واكتساب منه تعالى. ومجرد الإصرار على أنها دالة على نفى فعلية علم الغيب فى واقع الذات، أى أنها تنفى علم الغيب بالأصالة، وبالتبعية معاً، لا يكفى فى مقام الإستدلال، خصوصاً وأن الله قد صرّح بأنه لا يطلع على (غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول) [١٩٩] . ثم أخبر عن رسوله بأنه لا يبخل على الناس بما عنده من علوم غيبيّة، فقال: (وما هو على الغيب بضنين) [٢٠٠] . ثم ذكر عن عيسى عليه السلام أنه قال لقومه: (وأنبؤكم بما تأكلون، وما تدخرون فى بيوتكم) [٢٠١] . رغم: أنه لم يثبت أن عيسى عليه السلام حين قال لهم ذلك كان فى مقام التحدّى الأقصى لهم، وليس إخباره لهم بذلك بأعظم ـ من إحيائه لموتاهم، وإبرائه الأكمه والأبرص. وهذه هى معجزته لهم، وهى تكفى فى مقام التحدى. وقال يوسف عليه السلام لصاحبى السجن: (.. لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما) [٢٠٢] . وما هى حاجة يوسف عليه السلام للعلم بتأويله قبل أن يأتيهما؟، فهل كان فى موقع التحدى آنئذ؟! وما هو المنصب والمقام الذى اضطر يوسف لأن يحوز هذا العلم، ومنع غيره منه؟ وقال سبحانه فى

مواضع: (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك) [٢٠٣] . وذلك كله يبعد جداً تفسير الآية المذكورة، ومثيلاتها بإرادة النفى المطلق للغيب، إلا ما كان يوحيه الله إليهم فى حالات تفرض الحاجة ذلك. ثانياً: إن هذا البعض يصرّ على أن ما يعلمه النبى بالغيب إنما يصله ـ حصراً ـ عن طريق الوحى ـ ونحن نقبل منه ذلك. وإن كنا لا نمنع من أن يكون الله سبحانه قد منح نبيه قوة يعلم بها بعض الغيوب كما دلت عليه الروايات بالنسبة لرؤية الأمام والنبى أعمال الخلائق وشهادته عليهم، غير أننا نقول إن هذا البعض نفسه قد ذكر فى النص السابق: أن هذا العلم ما كان منه متصلاً بأخبار الماضين، فالقرآن يشير بوضوح إلى أن أنباءه هى من وحى الله. أما ما كان متصلاً ببعض موارد الحاجة إليه فى موارد معينة، فيلهمه الله تعالى إياه إلهاماً [٢٠٤] (إلا أن يفرّق بين الوحى والإلهام). فيرد عليه سؤال: لماذا فرّق بين الموردين فكان أحدهما بواسطة الوحى، وكان ذاك بواسطة الإلهام؟! ولماذا لا يكون العكس؟! ثالثاً: لماذا لا يكون هذا الإلهام الذى اعترف به ناشئاً عن قدرة، أو ملكة أودعها الله فى نبيه، تجعله قادراً على أن يعلم ساعة يشاء، حسبما دلّت عليه الروايات الكثيرة. رابعاً: إن قوله تعالى فى نفس آية سورة الأحقاف: (إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ) بعد قوله: (ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) [٢٠٥] يفيد أنه قد جاء فى موضع الإضراب عما قبله.. ليكون المعنى: إنى ما أدرى شيئاً من هذه الحوادث بالغيب من قبل نفسى. وإنما أتبع ما يوحى إلى من ذلك. وحسبنا ما ذكرناه، فإن فيه كفاية لمن أراد الرشد والهداية.

الولاية التكوينية للمعصوم

بداية

إننا نذكر فى هذا الفصل نموذجاً من أقاويل هذا البعض حول أمور مختلفة ترتبط بالأنبياء والأوصياء.. ثم نعقب ذلك ببيان نحاول أن يكون واضحاً، وموجزاً فى آن واحد لما يقوله علماؤنا حول الولاية التكوينية للمعصوم، من خلال ما فهموه من نصوص القرآن ومن أحاديث الرسول وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين)، فنقول: العلاقة الإلهية المميزة بالنبى تقتصر على الوحى. دور النبى هو تبليغ الوحى للناس كرسالة فقط. دور النبى أن يغير العالم فى صفته الفكرية والعملية، لا التكوينية. من يقول بقدرة النبى على التغيير الكونى كمن يقول بلزوم كونه ملَكاً. الإعتقاد بأن الله جعل للنبى ولاية تكوينية مبعث استغراب. استهجان الاعتقاد بأن النبى يعلم الغيب دون حدود إذا أراد. (مع وروده فى أخبار معتبرة وكثيرة عن اهل البيت (ع)). لا ـ داعى للبحث فيما ليس من الضروريات فى العقيدة والعمل. ما ليس من ضرورات العقيدة وفروض العمل لا قيمة له عقيدية أو عملية. بعض العقائد التى تثبت بالروايات الصحيحة قد تكون مما لا قيمة له. أنبياء يبرزون نقاط ضعفهم البشرى بصراحة وتأكيد. حتى ما يثبت من العقائد بالروايات الصحيحة قد يكون فيه سلبيات (كالغلو، أو ما يشبه عبادة الشخصية). تحدث القرآن عن الضعف البشرى للأنبياء فى واقعهم الداخلى والخارجى. يقول البعض.. ": كيف يطلب هؤلاء منه أن يقوم بتلك الأعمال الخارقة التى لا يستطيع أى بشرٍ بقدرته العادية أن يحققها.. وهل كانت دعوى النبوة تعنى القيام بمثل ذلك، أو تختزن فى مضمونها ادعاء القدرات الغيبية، أو العمق الإلهى الذى يمكنه من تحقيق ذلك.. لقد كان النبى يعلن دائما أنه بشر يحمل الرسالة، مما يعنى اقتصار العلاقة الإلهية المميزة بشخصه، التى يختلف بها عن بقية الناس، على الوحى الذى ينزله الله عليه ليبلغه للناس كرسالة إلهية، بعيداً عن كل شىء آخر لأن ذلك هو دور النبى فى الحياة، فليس دوره أن يغير صورة العالم فى صفته التكوينية، بل كل دوره أن يغيره فى صفته الفكرية والعملية، فى حركة الحياة والإنسان.. حتى المعجزة، فيما كان يقوم به الأنبياء من معاجز لم تكن غاية فى الرسالة، بل كانت وسيلة لمواجهة التحدى الكبير حولها [٢٠٦] . ويقول أيضاً": ما هى شخصية الرسول؟ وما هى قدراته..؟ هل هو إنسان غيبى فى شخصه، وفى إمكاناته.. هل من المفروض فى الرسول الذى يرتبط بالله من خلال الوحى، أن يكون ـ فى طبيعته ـ شخصاً غير عادى، كما هو الوحى شىء غير عادى فى طبيعته.. أو هو إنسان مثل بقية الناس فى شخصيته، وفى قدرته، فلا يملك أن يغير شيئاً من سنن الكون التى أودعها الله فى الحياة، ولا يستطيع أن يكتشف الغيب بخصائصه

الذاتيـة هـذه أسـئلة كـانت تـدور فى وعى الإنسـان الـذى عاصـر الرسالاـت؟ عنـدما كـان يطلب من الرسول تفجير الينابيع من الأرض القاحلـة، والصـعود إلى السـماء، والإتيـان بكتـاب غير عـادى منهـا..وهـذه أفكـار لاـ تزال تعيش فى وعى الإنسـان المتـأخر عـن عصـر الرسالات، فى اعتقاده بالنبى، كشخصـيـة غيبيـة فى قدراتها، حتى اعتبرها البعض ذات ولايـة تكوينيـة على الحياة، وعلى الناس فيما جعلها الله له من ولايـة، كما أن الكثيرين يعتقدون، بأنه يعلم الغيب، إذا أراد من غير حدود.. إلى غير ذلك من الاعتقادات ألتى أبعدت النبى فى تحديـد شخصـيتهم عن مسـتوى شخصـيـة الإنسـان فى طبيعته وقـدرته. إن الآيـة ـ التى أمامنا تحـدد لنا المسألـة، كغيرها من الآيات المماثلـة، من دون فرق بين أن تكون جواباً عن الفكرة التى تتطلب فى النبى، شخصـيـة الملـك وبين أن تكون جواباً عن الفكرة التى تتطلب فيه شخصـيـة القادر على التغيير التكوينى للواقع ["..٢٠٧] . ويقول فى تفسـير قوله تعالى.. ("قُل،لا أقول لكم عنـدى خزائن الله ولاـ أعلم الغيب ولاـ أقول لكم إنى ملـك إن أتبع إلاـ مـا يوحى إلى قل هل يسـتوى الأعمى والبصـير أفلا تتفكرون..) (سورة الأنعام، الآيـة٥٠) وهذه هى الصورة المشـرقة الواقعية للشخصـيـة النبوية التى يريد الله للنبى أن يقدم بها نفسه إلى الناس، فهو لا يريده كائناً غيبياً يبرز إليهم من خلال الجو الغيبى الضـبابى الـذى يوحى إليهم بالأسـرار الخفيـة المقدسة للذات بعيداً عن التصور البشـرى الطبيعى، ولا يريـد له أن يبـدو فى نظرهم شخصـيـة أسـطورية تملـك فى حوزتها كل خزائن الله الذهبيـة والفضـيـة ونحو ذلك مما يـدخل فى عالم التقييم المادى بالمستوى الذى يستطيع أن يغرف منها ما يشاء من المال لمن يشاء من الناس، ولا يريده إنساناً يقف بين الناس ليتحدث للناس عن أسـرارهم الكامنة فى صدورهم وعما ينتظر كل واحد منهم من أحداث المسـتقبل الخاصة والعامة، على أساس ما يحمل من علم الغيب الإـلهى، كما يتصوّر الكثيرون هـذا الـدور لشخصـيـة النبى، كما هى شخصـيـة الكاهن الـذى كان يمثل بعضاً من ذلك.. ولا يريـد له الشخصـيـة الملائكيـة ليأخذ لنفسه دور الملك السـماوى الذى يأخذ بألباب الناس فيدهش العقول بأجنحته المتنوعة المتعددة، وقدرته الأسطورية الخارجة عن كل حد.. لأن الله يريد للناس أن يؤمنوا به من خلال رسالته بعيداً عن كل ضغط نفسى أو مادى.. وعن كل ألوان الإغراء الذاتى، أو الاسـتعراض الانفعالى، الذى يوحى للإنسان بالانجذاب العاطفى، والانسـحاق الشعورى.. وهكذا أراده أن يقف بينهم عبداً خاشـعاً بين يدى الله، لا يملك أيـة مقومات ذاتيـة، كبيرة، أو أيـة قدرات شخصـيـة مطلقة.. رسولاً أميناً على الدور الذى أوكله الله إليه فهو ينتظر أمر الله ووحيه فى كـل صـغيرة وكبيرة ليتبعه ويبلغه للنـاس.. وربمـا كـان الحـديث عن الأتبـاع موحيـاً بالصـفة المطيعـة المتواضـعة التى تجسـدها شخصـيته ليكون فى ذلك بعض الإيحاء لهم بالطاعـة لله من خلال الإسـتغراق فى دور العبد المطيع الـذى يتمثل فى حركـة العبـد ـ النبى، ليتمثل ـ من خلاله ـ فى شخصـيـة العبد المؤمن.. وإذا كان التوجه الإلهى يفرض على الرسول أن يقـدم نفسه إلى الناس بهذه الصـفة فقد نجد فيه الدرس الفكرى الذى يريدنا أن لا نغرق أنفسـنا بالأسـرار العميقة التى يريد البعض أن يحيط بها شخصـيـة النبى، ليحصل له اللون الإيحائى الـذى يرتفع به فوق مسـتوى البشـر فى إمكاناته الذاتية، وقدراته الكبيرة.. بل يعمل على أن يربطنـا بصـفته الرسالـيـة من حيث أخلاقه وخطواته ومشاريعه المتصـلة برسالته.. وذلك هو السبيل للتعامل مع شخصـيـة الأنبياء، والأوليـاء، بالأسـلوب القريب إلى الوعى الإنسـانى العـادى، فيمـا يمكن للإنسـان أن يعيشه ويتصوّره ويتمثله فى نفسه، ليشـعر بأن النبى قريب منه بصـفاته البشرية المثلى التى يمكن أن تكون أساسا للتمثّل والإتباع والإقتداء.. وفى ضوء ذلك.. نجد فى الأبحاث السائرة فى هـذا الاتجاه، انحرافاً عن الخط القرآنى الـذى يرسـمه القرآن للناس فى دراسـتهم لشخصـيـة النبى (ص) [٢٠٨] . ويقول أيضـاً.. ": وقد نسـتوحى من هاتين الآيتين.. أن الأنبياء لا يتحدثون عن أنفسهم كثيرا للناس ليثيروا فى حياتهم الشعور بالتعظيم والتقديس لهم.. بل هم ـ على العكس من ذلك ـ يعملون على تأكيد جانب البشـريـة فى ذواتهم بشـكل صـريح مؤكّد.. ويبرزون نقاط الضعف البشرى بطريقة واضـحة.. كمـا نجـد ذلك فيما حكاه الله عن رسوله فى حواره مع المشـركين.. الـذين طلبوا منه فعل بعض خوارق العادة التى يقترحها للدلالـة على نبوته انطلاقاً من عقيـدتهم فيه بأنه مزوّد بطاقات هائلـة يسـتطيع أن يقوم من خـلالها بـكـل شـىء يطلب منه.. فقد أجابهم بقوله (.. قل سـبحان ربى هل كنت إلّا بشـراً رسولا..) وفيما حدثنا الله.. قل لو كنت أعلم الغيب لاسـتكثرت من الخير وما مسـنى السوء إن أتّبع إلا ما يوحى إلى ربى وهكـذا نلاحظ أن القرآن لم يتحـدث عن الأنبياء إلا من خلال صـفاتهم الذاتيـة المتصـلة برسالتهم كما

حدثنا عن حركة الرسالة فى حياتهم وما لاقوا من عنت واضطهاد وتشريد.. وعن بعض نقاط الضعف البشرى التى عاشوا فى واقعهم الداخلى والخارجى.. من أجل إبعاد الناس عن الضلال والغلوّ ليظل التصور فى العقيدة مشدوداً إلى الواقع، بعيداً عن كل ضروب الخيال والمثال الذى قد يطوف فى أخيلة الكثيرين وأفكارهم. "ثم هو يقول: الفكرة فى خط التربية الإسلامية.. " وقد نحتاج إلى استيحاء هذا الأسلوب التربوى فى دراساتنا وأبحاثنا التى فيها حياة الأنبياء والأئمة والأولياء، فنستغرق فى الجوانب العملية فى حركة الإسلام فى حياتهم الشخصية والعامة لنبقى فى خط الارتباط بالشخص من خلال الفكرة والرسالة والعمل، فيزيدنا ذلك ارتباطا بالخط الصحيح وابتعاداً عن مواطن الخطأ والضلال فى الطريق ولا نستغرق فى الأسرار الخفية والغامضة التى يثيرها البعض فى حديثه عن هذه الشخصية أو تلك ممن نعظّم من شخصيات الأنبياء والأولياء. لأن الاستغراق فى الجوانب الضبابية الغامضة التى لا نستطيع فهمها ولا تعقلها قد يؤدى بنا إلى الإنحراف فى التصور أو الوصول إلى درجة الغلوّ.. إن القضية ليست فى واقعية هذه الصفات الممنوحة لهذه الشخصية أو تلك وعدم واقعيتها ليتجه الحديث إلى إثبات صحّة ذلك بالروايات الصحيحة أو غير الصحيحة، فى عملية نقاش علمى طويل بل القضية هى.. أن ذلك الأمر ليس من ضرورات العقيدة ولا- من فروض العمل، فلماذا نكلف أنفسنا الجهد والتعب فى الدخول فى أبحاث ليس لها قيمة عقيدية أو عملية، بل قد تؤدى فى بعض الحالات إلى ما يشبه عبادة الشخصية، إذا لم تؤدِّ إلى الغلو المفرط عصمنا الله من الزلل ووقانا شر الإنحراف عن الخط الإسلامى فى العقيدة والعمل ["..٢٠٩] .

وقفة قصيرة

إن ما نقلناه عن هذا البعض آنفا من كلام، يتضمن الكثير من الموارد التى تستحق التوقف عندها، وحيث إن ذلك سيدخلنا فى بحوث مطولة ومتشعبة، فلا بد من الاقتصار على ما لا يخل بالحد الأدنى من الانسجام فى مطالب الكتاب، فنقول: ١ ـ إن هذا البعض لا يزال يؤكد ـ فى كتبه ومحاضراته ـ على أن مهمة الأنبياء تنحصر فى التبليغ والدعوة، وان كل دورهم هو أن يغّيروا العالم فى صفته الفكرية العملية، لا التكوينية. ٢ ـ ثم يدعى هذا البعض أن الأنبياء بشر عاديون، لا قدرة لهم على التصرف والتأثير فى الأمور التكوينية. وهو يبدى استغرابه ممن يقول ذلك.. ٣ ـ إنه لم يزل يستشهد لمقولاته هذه بالآيات التى تضمّنت التصريح بأن النبى بشر،كما فى قوله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب، فتفجّر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء ـ كما زعمت ـ علينا كسفا، أو تأتى بالله والملائكة قبيلا. أو يكون لك بيت من زخرف، أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيّك حتى تنّزل علينا كتاباً نقرؤه قل: سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولا) [٢١٠] . ثم هو يضيف أن الآيات قد دلت على أن النبى لا يقدر على شىء مما ذكر، وليس لديه خارج قدرة البشر أى قدرة ذاتية غير عادية. ولذا لم تنسب الخوارق فى القرآن إلى الشخص إلا فى قصة عيسى وإبرائه الأكمه والأبرص، وإحيائه الموتى. ٤ ـ فإذا كانت مهمات الأنبياء هى التبليغ والإرشاد، وفقاً لقوله تعالى (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً) [٢١١] . فان التصرفات الإعجازية وغير العادية تبقى محصورة فى دائرة التحدى وإثبات النبوة وحاجات التبليغ والدعوة. ثم يستنتج من ذلك أن:كل النصوص التى تثبت كرامات أو معجزات أو تصرفات غير عادية للأنبياء ـ خارج هذا النطاق ـ لا يلتفت إليها، بل تخرج عن دائرة السيرة والتاريخ الصحيح، أو الذى يمكن أن يكون صحيحا. ٥ ـ ثم هو تبعا لذلك لا يرتضى القول بأن النبى (ص) قد يعلم الغيب ـ بلا حدود ـ إذا أراد [٢١٢] . ٦ ـ إنه يقول: من يقول إن بإمكان النبى أن يمارس التغيير الكونى كمن يقول: بأن النبى ملَك. فكلام هذا الرجل يدور حول هذه الأمور التى قدمناها، ولذلك فإننا سنقتصر على الحديث عنها. فنقول: ١ ـ آيات التحدى لبشرية الرسول: إن الآيات التى ذكرت تحدى الناس للرسول بالمطالب التعجيزية، فلم يستجب النبى (ص) لمطالبهم، لكونه بشراً وليس ملكاً، إنما جاءت رداً على ما يزعمونه من لزوم كون النبى من غير البشر، ولذلك عقب الله تعالى هذه الآيات بقوله: (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا: أبعث الله بشراً رسولا. قل: لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلّنا عليهم من السماء ملكا رسولا) [٢١٣] . ولأجل هذا نجد أنه (ص)

لم يستجب لمطالبهم التعجيزية لأن ذلك يعنى ترسيخ اعتقادهم الخاطئ فى نفوسهم وإقرارهم عليه بصورة عملية. علما أنه قد ثبت فى علم الكلام أنه لا يجب على النبى الاستجابة لكل المطالب من المعاجز الاقتراحية التى يطلبها آحاد أو جماعات القوم الذين بعث إليهم ويكفيه فى إثبات صدقه معجزته التى يلقيها من تلقاء نفسه. ٢ ـ مهمة الأنبياء وعلومهم: إن مهمة الأنبياء لا تنحصر بالتبليغ والدعوة،وإنما تتجاوز ذلك ليكونوا القادة والذادة والحكام على الناس، المهيمنين على مسيرة البشرية، حيث يريدون ايصالها إلى الله سبحانه، من خلال تربيتهم وهدايتهم لها، وحاكميتهم وهيمنتهم على كل شؤونها، فى مسيرتها إلى كمالها، الذى ينتهى بها إلى معرفته سبحانه وتعالى. ولهم إشراف على كل الواقع الروحى، والعقيدى والتربوى، والسلوكى للأمة، وعلى كل علاقاتها بأى شىء فى هذا العالم، سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة. ولأجل ذلك يرفع للإمام عمود من نور يرى فيه أعمال الخلائق. وهذا يحتم أن يكونوا على درجة كبيرة من المعرفة، وان يملكوا قدرات وطاقات كبيرة، تتناسب مع حجم المهمة الموكلة إليهم على مستوى البشرية بل والعالم بأسره. والعنصر الأساس والضرورى والحساس فى هذه الهيمنة الشاملة هو العلم، وهو الأمر الذى ظهر لنا من قصة داود (ع): انه هو الوسيلة الأعظم تأثيراً فى ذلك. وقد قال تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما) [٢١٤] . وقد قال سليمان (ع): (عُلِّمنا منطق الطير) [٢١٥] . و وصف الله سبحانه داود: بيس=سورة ص الآية ١٧. @.وقال: (وشددنا ملكه، وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) [٢١٦] . بل إن أحد أتباع سليمان (ع) قد جاء بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف، بواسطة العلم، قال تعالى: (قال الذى عنده علم من الكتاب: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، فلما رآه مستقراً عنده) [٢١٧] . وحين فهم سليمان (ع) كلام النملة: (تبسم ضاحكاً من قولها)، واعتبر ذلك نعمة إلهية تستوجب الشكر، الأمر الذى يشير إلى أنه هو الذى فهم قولها بما أنعم الله عليه من معرفة لغات الطير والحيوان وتعلّمه لها. كما أن معرفة سليمان (ع) بوجود عرش بلقيس لم تكن بواسطة المعجزة بل بواسطة الهدهد. وتسخير الجبال، والجن، الطير، والريح لآل داود (ع)، وحتى لين الحديد لداود (ع) قد كان ـ فيما يظهر ـ من خلال المعرفة والعلم، لا لمجرد الإعجاز، وإلا لما كان يحتاج سليمان (ع) إلى مراقبة الجن الذين كانوا يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، ولما كان بحاجة إلى تشغيلهم بالبناء، وبالغوص فى البحار لاستخراج خيراتها. فقد كان بإمكانه إيجاد ذلك بالمعجزة، ولم يكن أيضا بحاجة إلى أن يقرن شياطين الجن بالأصفاد كما لم يكن بحاجة لتهديد الهدهد ووعيده، ما لم يأته بسلطان مبين.. وكذلك الحال بالنسبة لموسى (ع)، فإن الأمر لو كان يقتصر على الإعجاز المجرد، لم يكن ثمة حاجة إلى ضرب البحر بعصاه، ولا إلى تحول عصاه إلى ثعبان، بل كان البحر ينفلق وإبطال السحر يتم بدون ذلك، بصورة إعجازية. فهل كانت هذه الأسباب مجرد أدوات صورية لتقريب الفكرة إلى الناس؟!!.أم كانت شيئا آخر لم يدركه البعض، فقال ما قال، وكتب ما كتب!؟. ٣ ـ المعصوم يعلم إذا أراد: وأما استغرابه المعبر عن رفضه للقول بأن النبى يعلم الغيب ـ بلا حدود ـ إذا أراد (ويلاحظ، أنه أقحم كلمة: بلا حدود لغرض لا يخفى). فهو عجيب منه وغريب، فإن من يراجع الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت (ع) يجد أنهم هم الذين صرّحوا بهذا الأمر، وأعلنوه وأشاعوه، فهو مأخوذ منهم وعنهم، فما هو الوجه فى استغرابه واستهجانه. كما أن طبيعة المهمة الموكلة إليهم تقضى بصحّة ـ بل بضرورة ـ مثل هذه العلوم لهم، وأن يتمكنوا من الحصول عليها كلما وجدوا حاجة إلى ذلك.. على أن الحديث عما لديهم عليهم السلام من علوم، وعن كيفية حصولهم عليها هو بحد ذاته من الأمور الغيبية، التى لا سبيل لعقل البشر إليها، فلا بد من أخذها عنهم (ع)، لأنها لا تعرف إلا من قبلهم. ٤ ـ معجزات الأنبياء خارج نطاق التحدى: وملاحظة أخرى نسجلها هنا وهى أن ما أسماه بـ "الخدمات غير العادية "لسليمان ولداود (ع)، هى من الأمور المعجزة التى كانت خارج دائرة التحدى واثبات النبوة وقد نطق بها القرآن الذى هو معجزة النبى (ص)، خارج نطاق التحدى وإثبات النبوة، فهل أن حديث القرآن عن غيبيات الأنبياء يعدّ من الحديث الضبابى الذى لم يفهمه البعض؟!. أما قضية الإسراء، و قضية المعراج ونحوها مما لا يستطيع ذلك البعض أن ينكره، فليست هذه كلها هى معجزته الرئيسية العامة. هذا، مع أن كرامات ومعجزات النبى (ص) والأئمة من بعده، تعد بالعشرات، بل المئات، إلى درجة أن إنكارها وعدم ثبوتها يفسح المجال أمام إنكار واحدة من واضحات الإسلام. فراجع ما ينقلونه عنه (ص) من إطعامه (ص) جيشا بأكمله قبضة من تمر، أو من شاة، وتسبيح الحصى بيده، وتسليم

الشجر والحجر عليه، وتكليم الحيوانات له، وغير ذلك كثيراً جداً. ولم يكن ثمّة تحدّ يقتضى المعجزة، ولا كان ثمة ضرورة لإقامة الحجة لإثبات النبوة. مع تذكيرنا بأن المعجزة لا تعنى خرق سنن الكون وتغييرها. أما قولهم: لم يذكر فى القرآن ما ظاهره نسبة الفعل إلى الشخص إلا بالنسبة لعيسى (ع). فلا يمكن قبوله. إذ قد تقدم ما يشير إلى مثل ذلك فى آل داود وغيرهم بل ثمّة ما يشير إلى ذلك بالنسبة لأحد أتباع سليمان (ع) وهو آصف بن برخيا، الذى نسب الإتيان بعرش بلقيس إلى نفسه: أنا آتيك به.. الخ.. على أن تعقيب الحديث عن عيسى (ع) بقوله (بإذن الله) لا يمنع من نسبة الفعل إلى هذا النبى، واختياره فيه كما اعترف به،.. فهى على غرار قوله تعالى، (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله)، مع أن مدار العقاب والثواب،على الإيمان. وكل ذلك يدل على أن قوله تعالى (بإذن الله) غير ظاهر الفائدة فيما يرمى إليه البعض، إذ إن كل معجزات وكرامات الأنبياء صدرت بإذن الله تعالى وكانت من فعلهم واختيارهم. وقول الله لموسى: اضرب بعصاك، أو: ألق عصاك. إذن منه تعالى، فلا يختلف الأمر بالنسبة إليه عن عيسى (ع). بل ربما كان فعل موسى أظهر فى نسبة الفعل إلى صاحبه من فعل عيسى، لأن موسى لم يأتِ بكلمة بإذن الله مع أنه بإذن الله قطعا. وكل ذلك يدل على أن لهم قدرة ذاتية،وهبهم الله إياها، وهم يتصرفون فيها فى الكون، كما يريد الله وفى طاعته سبحانه، (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون). وذلك يؤكد على أن ما يجرى ليس لأجل أن لدى الأنبياء والأئمة قدرات ذاتية بمعزل عن إرادة الله تعالى، كما أن ما يجرى على أيديهم بإذن الله هو فعلهم وباختيارهم، لا انه فعل الله أجراه على أيديهم بصورة جبرية،ومن دون أى اختيار منهم. ٥ ـ لا قيمة لغير العقائد الضرورية. إننا نستغرب قوله: إن ما ليس من ضروريات العقيدة ولا من فروض العمل لا قيمة له، لا عقيدية، ولا عملية. فان معنى ذلك هو أن تعّرض النبى (ص) والأئمة (ع) لها كان أمراً عبثياً،لا قيمة له ويكون قد ارتكب أمراً جزافاً. كما أن الإسلام قد طلب من الناس الاعتقاد بها، وحرم عليهم رفضها وذلك مثل عقيدة الرجعة ونحوها، فهل يصح أن يقال لما هو من هذا القبيل: إنه لا قيمة له:لا عقيدية ولا عملية؟!. وإذا كان البحث فى غير العقائد الضرورية لا قيمة له، فلماذا أفتى بوجوب الاعتقاد ب ـ (الرجعة) مع حكمه بأنها ليست من ضروريات الدين [٢١٨] ثم قوله بلزوم تأويل أحاديثها كما جاء فى مقالته: (مع الشيخ المفيد فى تصحيح الاعتقاد) [٢١٩] . ٦ ـ لا داعى للبحث فى غير العقائد الضرورية: أما قوله بعدم وجود داع للبحث فى غير العقائد الضرورية، فلا نرى حاجة للتذكير بعدم صحته، فان الكلام المتقدم يكفى لرده، وبيان بطلانه. ٧ ـ العلاقة المميزة بين الله وبين اوليائه: وأما ما ادعاه من أن العلاقة المميزة بين الله وأنبيائه تقتصر على الوحى، فهو غير صحيح. وكيف نفسر العلاقة المميزة لمريم عليها السلام، مع الله سبحانه، حتى إنها كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا، قال: (يا مريم أنى لك هذا؟ قالت هو من عند الله).. مع أن مريم ليست من الأنبياء!! وكيف نفسر قوله تعالى: (واصطنعتك لنفسى) وقوله تعالى: (ولتصنع على عينى) وكيف نفسر تكليم عيسى للناس فى المهد وجعله مباركا أينما كان.. وإيتاء يحيى الحكم صبيا.. ألا يدل ذلك على علاقة إلهية مميزة مع كل هؤلاء الأنبياء صلوات الله عليهم خارج نطاق الوحى؟! وكيف نفسر (الخدمات غير العادية) التى أعطاها الله لداود ولسليمان (عليهما السلام). أليست هى الأخرى خارج نطاق الوحى. وخارج نطاق المعجزة فى مقام التحدى؟!.. ٨ ـ الولاية التكوينية للأنبياء: ثم إن هذا البعض قد صرّح بمعارضته للقائلين بأن الله قد أعطى الأنبياء والأوصياء القدرة على التصرف فى الأشياء المادية، والهيمنة عليها، وهو ما يعبر عنه بالولاية التكوينية. وقد صرح أيضا ـ كما يأتى فى فصول لاحقة من هذا الكتاب وهو متواتر عنه [٢٢٠] ـ بأنه يراها شركاً، وأن القرآن كله دليل على عدم الولاية التكوينية. وقد ذكرنا هناك بضع نقاط لا تخلو المراجعة إليها من فائدة. ونحن هنا لا نريد أن نتوسع فى الحديث عن هذا الأمر، لأن ذلك يحتاج إلى وقت طويل، وجهد مستقل، وإلى مساحة لا يتسع لها، ولا ينسجم معها هذا الكتاب، بملاحظة طبيعة أسلوبه، وما توخينا معالجته فيه. ولكننا نذكر القارئ بأمور قد يكون وقوفه عليها مفيداً وسديداً، فنقول: الولاية التكوينية ضرورة حياتية: المقصود بالولاية التكوينية هو المقدرة على التصرف والتأثير فى الموجودات المحيطة إلى حد تجاوز القدرة العادية فى التعامل مع النواميس الطبيعية، مثل أن يفجر للناس ينبوعاً، أو أن يرقى فى السماء، أو أن يكلم الحيوان، أو أن تطوى له الأرض، أو أن يأتى بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين قبل ارتداد الطرف، أو تحريك الرياح، وما إلى ذلك. ونحن بغض النظر عما اشتملت عليه الأحاديث الكثيرة

من تفاصيل فيما يرتبط بالولاية التكوينية، نستطيع أن نقرب للقارئ الكريم هذا الأمر على النحو التالي:

مقدمة ضرورية

إن الغاية من تأسيس الدول، هو أن تضطلع بمهمات، وتعالج أموراً، أدرك الناس أنها ضرورية لحياتهم وبقاء وجودهم، فتصدوا لمعالجتها، وتفادى سلبياتها، وللهيمنة عليها فى المجالات التى تعنيهم. وإذا ألقينا نظرة فاحصة على هذه الأمور فإننا نجد أنها محدودة جداً، ومحصورة فى نطاق خاص، وهو عيّنات قليلة مما يتعامل معه هذا الإنسان فى حياته العملية الجوارحية، فتنشأ الوزارات، والأجهزة، والمؤسسات العظيمة والواسعة لإنجاز هذا المهم. ولكنها برغم كل ما توظّفه من إمكانات وقدرات مادية، وبشرية وفكرية، وغيرها، تبقى عاجزة عن حماية حفنة من التشريعات والقرارات المحدودة جدا التى تنشؤها، مع أن ما تضطلع به هذه الدول وتتصدى له ما هو إلا ـ نقطة فى بحر بالقياس إلى ما يدخل فى نطاق اهتمامات الإسلام، ويأخذ على عاتقه مهمة التعاطى معه، ويريد أن يفرض نظامه وهيمنته عليه، وأن يجريه وفق مفاهيمه، ويدخله فى أطره ومناهجه، التى وضعها بهدف إقرار حالة التوازن العام فى مسيرة التكامل باتجاه الهدف الأسمى والأمثل الذى تسعى إليه المخلوقات بحسب مقتضيات خلقتها.

الهدف من الخلقة، و ضروراتها الطبيعية

وإن من الواضح: أن الله قد خلق هذا الإنسان وأراد له أن يدخل هذا الوجود ليقوم بدور هام فيه،وهو أن يعرف الله تعالى، ويعبده؛ قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وقد اباح له فى هذا السبيل أن يعمر هذا الكون، ويتكامل فيه،ومعه، ومن خلاله، قال تعالى (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) [٢٢١] نعم، إنه أراد له أن ينطلق فى هذه الحياة فى مسيرة تكاملية سليمة وقويمة، تستطيع أن تحقق الأهداف السامية من خلقته،وهى العبودية المطلقة والحقيقية لله سبحانه وتعالى. هذا مع العلم أن ما فى هذا الكون ليس جماداً بقولٍ مطلق، وقد دلت الآيات الكثيرة، والروايات المتواترة: أن لدى الكثير من الموجودات إن لم يكن كلها درجة من الشعور، تجعل التعاطى معه ذا حساسية معينة. وذلك كله يستدعى رسم ملامح شخصية هذا الإنسان بصورة تتناسب مع الدور الكبير الذى أعده الله له. كما أنه يتطلب أن يقدم له أطروحة تشتمل على ضوابط ومناهج تحفظه من الزلل والخطأ فى تعاطيه الإيجابى أو السلبى فى جميع المواقع والمواضع على أن تكون تلك المناهج موضوعة من قبل من يملك المعرفة الحقيقية والكافية، ومن له الحق فى ذلك. كما لا بد من أن يمنحه قدرات وإمكانات تفى بحاجاته، ويستفيد منها فى نطاق انطلاقته فى هذه الحياة، وتعاطيه الإيجابى مع كل ما يحيط به من منطلق المعرفة التى تمكنه من تسخير ما فى هذا الكون، والاستفادة مما أودعه الله فيه من خلال الهيمنة على نواميسه الطبيعية وتفعيلها، وبث الحياة فيها، وإثارتها، واستكناه الكثير من أسرارها، وتحريك كوامن هذا الكون وتوظيف ذلك كله فى مجال تحقيق الهدف الأسمى وبناء الحياة، ومساهمته الحقيقية فى إعمار هذه الأرض، وفى إسعاد الإنسان وتكامله، وبإنمائه المطرد فى خصائصه الإنسانية، فيما يرتبط بحالاته الروحية، والنفسية، والفكرية، والعقيدية، فضلا عما سواها مما يدخل فى تكوينه الإنسانى، وله دوره فى فاعليته الحياتية، وتأثيره الإيجابى فى كل ما يحيط به. ومن هنا نجد الإسلام يرصد هذا الإنسان ثم يتدخل فى أدق تفاصيل وجوده وحياته، ومختلف حالاته، وفى كافة شؤونه وعلاقاته، ويواكبه فى حركته نحو الأهداف الإنسانية والإلهية: (يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه) [٢٢٢] . ويفرض عليه أن يلتزم بضوابط محددة، لأنه يريد من خلال ذلك كله أن ينشئه بصورة متوازنة ومتكاملة، تنشئة خاصة، تؤهله للإضطلاع بدوره الكبير والخطير، وتتوازن وتتكامل مع كل ما سخره الله للإنسان ليفجر من خلاله ـ وبالايحاء الصحيح ـ روافد الحياة فى هذا الكون الفسيح، فيشرع له فى جميع ميادين الحياة ما يعينه على السير فى هذه الطريق. ولأجل ذلك نجده يتدخل حتى فى أفكاره ونواياه، ويلاحقه حتى فى خياله الرحب، بل حتى فى خطرات قلبه وأوهامه، فضلا عن طموحاته وأحلامه.. فهو يريد منه أن يكون عطوفاً رحيماً فى موضع، وقاسياً وحازماً بل وغليظاً (وليجدوا فيكم غلظة) فى موضع

آخر. ثم هو يريده أن يحب تارةً، وأن يبغض أخرى، وأن يتراجع فى موضع، وأن يكون شجاعاً مقداماً فى موضع آخر، وأن ينطلق فى خياله فى حالة، و أن يمحو حتى الصورة التى كان حضورها عفويا فى حالة أخرى، إنه يريد أن يرافق الإنسان فى كل موقع، وفى كل مجال، وأن يكون هو القائد والرائد وله كلمة الفصل، فى كل صغيرة وكبيرة من قضاياه. ومن جهة أخرى، إنه تعالى حين سخّر هذا الكون كله لخدمة هذا الإنسان، ليستعين بما أودعه الله فيه على تحقيق أهدافه، وأراد له أن يعمر الأرض، فإنما أراد أن يتم ذلك من خلال شخصيته الإنسانية التى نمت وتكاملت وتتكامل بعين الله ورعايته وتربيته. وأراد أيضا لهذا التسخير أن ينبسط على مساحات شاسعة على هذا الكون الفسيح من موقع الهيمنة على نواميسه وتفعيلها إيجابيا فى نطاق إعماره، واستكناه الكثير من أسراره.. على أن يتم ذلك كله من موقع الرعاية الإلهية المتمثلة بمقام الإمامة والنبوة التى تقف فى موقع الرصد الدقيق، والمعرفة الواعية، والهادية، والقادرة على التدخل الحقيقى حيث تمس الحاجة إلى ذلك.. وذلك ينتج أنه لا بد من تزويد النبى (ص) والإمام (ع) الهادى والمهيمن على المسيرة بحاجاته ووسائله المؤثرة فى نجاحه، وفى نجاح المهمة الموكلة إليه، فلا يتعاطى مع الأمور من موقع القاصر فى معارفه وفى إمكاناته، لأن ذلك يجعل دوره دور الواعظ لا دور المربى والراعى، ولا دور المهيمن والحاكم الذى انزل الله معه الحديد فيه بأس شديد، ليقوم الناس بالقسط.. قال تعالى: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد، ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز) [٢٢٣] . فلا غرو إذن فى أن يعرف الأنبياء والأئمة لغات البشر، بل أن يعرفوا حتى لغات الطير والحيوان وغيرها.. بل لقد كان الحجر والشجر يكلمهم عليهم الصلاة والسلام، ويسبح الحصى فى أيديهم.. ولا غرو أيضا أن تطوى لهم الأرض ليذهب الأمام السجاد (ع) من الكوفة إلى كربلاء لدفن أجساد الشهداء، بمعونة قبيلة بنى أسد [٢٢٤] ، ويأتى أمير المؤمنين على (ع) بسرعة خاطفة من المدينة فى الحجاز إلى مدائن كسرى فى العراق ليتولى تجهيز سلمان الفارسى رحمه الله والصلاة عليه ودفنه. وأن يذهب الأمام الجواد النقى (ع) من مدينة الرسول إلى خراسان ليجهّز أباه الأمام الرضا عليه السلام ويصلى عليه، صلوات الله وسلامه عليهما. إلى غير ذلك من موارد كثيرة حفل بها التاريخ القطعى، والحديث المتواتر، الذى لا ريب فى صحته.. لأن ذلك هو من مسؤوليات النبى والإمام عليهما السلام. ولأجل مسؤولية هذا النبى عن كل شىء فى هذه الحياة، كان لابد لسليمان (ع) أن يسمع ما تقوله النملة، وان يتعاطى مع الهدهد، ومع الريح، ومع الجن، ومع الجبال، من موقع مسؤوليته ليقدم نموذجا مصغرا للحكم الإلهى المطلوب تحقيقه على يد الأنبياء والأوصياء، وليقدم تجسيداً حياً لنوعية تعاطيهم ومستواه فى هذا النطاق. ومن جهة أخرى،إذا كنا نعلم أن الله سبحانه قد أرسل النبى للناس جميعا، حيث قال تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) [٢٢٥] . ويقول: (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) [٢٢٦] . وقال تعالى: (وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين) [٢٢٧] . فلا بد أن يكون هذا النبى قد أبلغ رسالته لكل من على وجه الأرض، لا لخصوص أهل الحجاز، أو أهل المنطقة العربية، ولا لخصوص الملوك الذين أرسل إليهم رسائل يدعوهم فيها إلى الإسلام. إننا نقطع بأن النبى (ص) والإمام والأئمة من بعده قد أقاموا الحجة، وقاموا بمسؤولياتهم تجاه كل الناس من ملوك وغيرهم وقد تعاملوا معهم باللغات التى يفهمونها، وبالطريقة التى يتعقلونها.. ولا بد أن تكون لديهم القدرة على الاتصال بهم، وعلى الانتقال إليهم لهدايتهم ورعايتهم، وتدبير أمورهم، وحل مشاكلهم، لأنهم رعيتهم، فيكون النبى (ص) والإمام (ع) هو المسؤول عنهم، والشاهد عليهم، والمعنى بهم. وحين يصعد هذا الإنسان إلى الأجرام السماوية، فإن عليه أن يكون معه، وأن يهيمن عليه من موقع المعرفة والقدرة على التصرف فى أى موقع كان، و إلى أى جهة اتجه، حتى وهو خارج دائرة السماوات.. فيما لو استطاع هذا الإنسان أن ينفذ بعلمه ووسائله من أقطارها حسبما أشارت إليه الآية الكريمة التى تقول (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) [٢٢٨] . وذلك كله يفسر لنا ما ينقل عن النبى والأئمة عليهم السلام من كرامات وخوارق للعادات [٢٢٩] . ثم هو يفسر لنا قضية الإسراء والمعراج لنبينا الأكرم (ص) حسبما نطق به القرآن الكريم. ويفسر لنا أيضا علم الأنبياء والأئمة بلغات الحيوان وشكواها لهم بعض ما تعانيه من مشاكل. هذا فضلا عن معرفتهم عليهم السلام بلغات جميع البشر كما دلت عليه

النصوص الكثيرة.

اعادة توضيح وبيان

إنه ما دام أن المفروض بالإنسان هو أن يتعاطى مع جميع المخلوقات التى سخرها الله تعالى له، فقد كان لا بد من أن يخضع تعامله هذا، وكذلك تعامله مع نفسه ومع ربه ومع أى شيء آخر لضوابط تحفظه من الخطأ أو التقصير أو التعدى.؟ ولأجل قصور الإنسان الظاهر فقد شاءت الإرادة الإلهية من موقع اللطف والرحمة أن تمد يد العون له وأن تقوم بهدايته فى مسيرته الطويلة المحفوفة بالمزالق والأخطار، هداية تامة تفضى به إلى نيل رضا الله سبحانه وتثمر الوصول إلى تلك الأهداف الكبرى السامية وتحقيقها وهى إعمار الكون وفق الخطة الإلهية، التى تريد من خلال ذلك بناء إنسانية الإنسان وإيصاله إلى الله سبحانه وتعالى حيث يصبح جديراً بمقامات القرب منه تعالى حيث الرضوان والزلفى. وإذا كان كذلك فانه يصبح واضحاً: أن المثل القرآنى الذى يتمثل فى تجربة سليمان وداود عليهما السلام، إنما أراد أن يجسّد ولو بصورة مصغّرة هذه الحقيقة بالذات ليتلمس هذا الإنسان الأهداف الإلهية وهى تتجسد واقعا حيا ملموساً، وليس مجرد خيالات أو شعارات أو آمال وطموحات غير عقلانية ولا مسؤولة ولا حتى خدمات غير عادية. وهى أيضا تجّسد معنى القيادة المطلوبة والصالحة لتحقيق هدف كهذا، حتى إن طائراً وهو الهدهد يضطلع بدورٍ حيويٍ، وفى مستوى مُلك بأسره، وكما أن أحد الحاضرين فى مجلس سليمان يأتى بعرش بلقيس – بواسطة العلم الذى عنده من الكتاب ـ قبل أن يرتد الطرف. كما أن هذه الشواهد القرآنية وتلك الكرامات والمعجزات النبوية قد رسخّت هذه الحقيقة. سواء بالنسبة لدور الإنسان فى الكون وتعاطيه معه، أو بالنسبة إلى حقائق راهنة لا بد أن تأخذ دورها وحقّها ويحسب حسابها على مستوى التخطيط وعلى مستوى الممارسة. أو بالنسبة إلى الدور الذى لاـ بد لهذه القيادة أن تضطلع به فى مقام الرعاية التامة، والهداية العامة.وما يتطلبه ذلك من طاقات، ومن إمكانات ومواصفات قيادية خاصة ومتنوعة، لا تحصل إلا بالرعاية والتربية الإلهية لها،ولا تكون إلا فى نبى أو فى وصى. وتصبح معرفة لغات الحيوانات، والوقوف على كثير من أسرار الخلقة، ونواميس الطبيعة ضرورة لا بد منها لهذه القيادة التى لا بد أن ترعى، وتوازن، وتربى، وتحفظ، لكل شيء حقه، وكيانه ودوره فى الحياة، حيث لا بدّ لها من التدخل المباشر، فى أحيان كثيرة لحسم الموقف، ولحفظ سلامة المسار، كما لا بد لها من توجيه الطاقات والاستفادة منها فى الوقت المناسب وفى الموقع المناسب بصورة قويمة، وسليمة، كما كان الحال بالنسبة لنبى الله داود أو نبى الله سليمان عليهما وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام.

النقاط على الحروف

وبذلك يتضح: أنه لا بديل عن قيادة المعصوم إذ إن كل القيادات الأخرى حتى إذا كانت عادلة لن يكون لها أكثر من دور الشرطى الذى ينجح فى درء الفتنة حينا، ويفشل أحيانا. أما إذا كانت قيادة منحرفة، فهناك الكارثة الكبرى التى عبّرت عنها الكلمة المنسوبة إلى أمير المؤمنين على عليه الصلاة و السلام حيث يقول (أسدٌ حطوم، خير من سلطان ظلوم، وسلطان ظلوم، خير من فتنة تدوم) [٢٣٠] . وقد اتضح أيضا أن وجود الأمام المعصوم فى كل عصر وزمان أمر حتمى وضرورى حتى ولو كان غائبا ومستورا، لأن هذا الأمام يحفظ ويرعى كثيراً من المواقع والمواضع فى هذا الكون المسخّر للإنسان، والتى لولا حفظه ورعايته (ع) لها وقعت الكارثة،كما أنه لولاه لساخت الأرض بأهلها، كما ورد فى الروايات المعتبرة. وبذلك نعرف السر فى أن الروايات قد ذكرت: (أنه لو بقيت الأرض بغير إمام)، أو (لو أن الأمام رفع من الأرض ولو ساعة لساخت بأهلها، وماجت كما يموج البحر بأهله) [٢٣١] . وأصبح واضحا معنى الرواية التى تقول: (وأما وجه انتفاع الناس بى فى غيبتى فكالشمس إذا جلّلها عن الأنظار السحاب). واتضح أيضا سر معرفة الأئمة بعلوم الأنبياء، وسر أنهم يعلمون إذا أرادوا، وسرّ معرفتهم بألسنة جميع البشر وبألسنة أصناف الحيوان أيضا [٢٣٢] إلى غير ذلك من خصائص وتفصيلات علومهم (ع) وفى حدود ولايتهم ورعايتهم لهذا الإنسان فى هذا الكون الأرحب [٢٣٣] . وبذلك يتضح أنه لا

مناص من الالتزام بالولاية التكوينية للأنبياء وأوصيائهم (ع).

ايضاح لا بد منه

ولكى تصبح الفكرة أكثر وضوحاً فيما يرتبط بالمعجزات والكرامات نقول: هناك معجزات وكرامات فى اتجاهات ثلاثة: الأول: معجزات وخوارق للعادات قد ظهرت للنبى الأكرم (ص) وللأنبياء السابقين، وكذلك الأوصياء، تهدف إلى مواجهة الإنسان المكابر بالصدمة التى توصد أمامه كل أبواب التملّص والتخلّص، والتجاهل للواقع، ودلائله القاهرة وأعلامه الباهرة وحججه الظاهرة، بحيث لو لم تظهر المعجزة أو الكرامة لاستطاع أولئك الشياطين أن يثيروا الشبهات المضعفة للدعوة والموجبة لزعزعة درجة الطمأنينة والوثوق لدى كثير ممن آمن بها، واطمأن إليها، أو يحدث نفسه بذلك. فتأتى المعجزة لتثبت أولئك، وتشجّع هؤلاء، ولتسحق أيضا كبرياء المستكبرين، وتكسر شوكتهم. ويكون بها خزى المعاند، وبوار كيد الماكر والحاقد. الثانى: وثمة معجزات وكرامات، وخوارق عادات أكرم الله بها أنبياءه وأولياءه تشريفا لهم، وتجلّةً وتكريماً، وإعزازاً لجانبهم. وقد يستفيد منها المؤمن القوى سموّاً ورسوخ قدم فى الإيمان، ومزيد بصيرة فى الأمر، حيث تسكن نفسه، ويطمئن قلبه، على قاعدة قوله تعالى: (قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبى) [٢٣٤] . وعلى قاعدة (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا) [٢٣٥] . ونلحق بهذا القسم ما يصدر عنهم عليهم السلام مما تقتضيه قواهم الروحية ومكانتهم النفسية وتعلقاتهم الغيبية، وهذا لا يُسأل عنه إلا على نحو السؤال عن سبب صدوره عنهم لا عن سبب وجوده فيهم، وليس بالضرورة أن يكون فيه إظهار كرامة من الله لهم أو إعجاز يظهره الله تعالى على أيديهم، بل هو من آثار طبيعتهم البشرية الصافية، التى تقتضى هذا النوع من الآثار بل تقتضى ما هو أكثر منه. الثالث: ذلك القسم الذى هو عبارة عن تجلّى السنن والنواميس الواقعية التى تحكم المسار العام، فيما يرتبط بتبلور دور الشخصية القيادية الواقعية فى نطاق هيمنتها على الواقع العام، من خلال تلك النواميس وعلى أساسها، فتجسّد الكرامة والمعجزة بصفتها ضرورة حياتية فى نطاق الهداية الإلهية على أساس نواميس الواقع، وتجليّاتها حسب مقتضياته، الأمر الذى يعنى أن تعامل النبى والإمام مع المخلوقات من موقع المدبر والراعى،والحافظ لها، باعتبارها جزءاً من التركيبة العامة، حيث لا بد من التعامل معها على هذا الأساس. وهذا القسم الأخير هو الذى يعنينا الحديث عنه هنا.

نقاط لا بد من التأكيد عليها

إن جميع ما قدمناه يمثل جوهر البحث الذى أردنا إطلاع القارئ على موجز منه. ولكن لكى يتضح ما نرمى إليه بصورة أوفى وأصفى، لا ـ بد من وضع النقاط على الحروف فى الأمور التالية: ١ ـ حجم هذا الكون حسب البيان الإلهى. ٢ ـ الآيات الدالّة على تسخير الموجودات للإنسان. ٣ ـ هذا الكون ليس جمادا،بل لديه درجة من الشعور والإدراك.. وذلك يعنى أن ثمة مسؤولية ذات طابع معين يتحمّلها هذا الإنسان فى تصرفاته مع كل ما فيه. ۴ ـ نموذج تجسّدت فيه الخطّة الإلهية فيما يرتبط بالحاكمية التى يريد الله أن يوصل الإنسان إليها ـ وهو قصة سليمان (ع).

حجم الكون حسب البيان الإلهى

واستطراداً نقول: إن سعة السموات والأرض التى سخر الله جميع ما فيها لبنى الإنسان هى فوق حدود التصّور، وأكثر بكثير مما تشير إليه الإكتشافات التى تعتمد وسائل الرصد والإكتشاف المتطورة جداً فى هذا العصر. ونوضح ذلك على النحو التالى: إن لغة العرب، قد وضعت فى بداياتها لمعانٍ حسيّة أو قريبة من الحس، فلم تكن قادرة على تحمّل المعانى الدقيقة والعميقة إلا بالإستعانة، بأساليب بيانية متنوعة باستطاعتها توجيه الفكر والخيال باتجاه الأعماق والآفاق، ليقتنص المعنى، أو يتلمسه بصورة أو بأخرى. فكانت الكنايات

والمجازات، وكان التطعيم للمعانى الحسيّة بمعان إيمائية، تعتمد على حالات الألفاظ، وطبيعة التراكيب المختلفة وخصوصياتها، حسبما تشير إليه ـ جزئيا ـ علوم البلاغة. ولكن كل ذلك لم يف أيضا بالمطلوب، فكان لا بد من ضم المعانى بعضها إلى بعض فى تراكيب متعددة، تشير كل منها إلى جزء أو إلى خصوصية فى المعنى المقصود بيانه. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك، ما روى، من أن الأمام عليا عليه السلام قد استنبط أقل الحمل من الجمع بين آيتين قرآنيتين. إحداهما تقول: (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) [٢٣٦]، والأخرى تقول: (وفصاله فى عامين) [٢٣٧] فيكون اقل الحمل ستة أشهر. أما بالنسبة لحجم السماوات التى سخّر الله كل ما فيها لهذا الإنسان. والتى ورد فى الحديث عن النبى (ص): (ما السماوات السبع فى الكرسى الا كحلقة ملقاة فى أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة) [٢٣٨]. فقد استخدم لبيان حجمها وسعتها تراكيب وكنايات متنوعة، فبين فى بعض الآيات: أن السماوات سبع، ثم بين أن هناك سماء دنيا، أى قريبة وواطئة يقابلها سموات عالية وبعيدة. وتحدث مشيراً إلى حجم السماء الدنيا والواطئة والقريبة بأسلوب آخر، حينما أشار إلى أنها هى التى تستوعب الكواكب، وتضم النجوم التى يصل نورها إلينا، حتى لو بقى يسير ملايين السنين الضوئية، فكل ما يصل نوره ـ مهما بعد ـ فهو من السماء الدنيا. قال تعالى: (انا زينا السماء بزينة الكواكب) [٢٣٩]. وقال: (فقضاهن سبع سموات فى يومين، وأوحى فى كل سماء أمرها، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا، ذلك تقدير العزيز العليم) [٢٤٠]. وقال سبحانه: (ولقد جعلنا فى السماء بروجاً وزيناها للناظرين) [٢٤١]. وقال تعالى: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم: كيف بنيناها وزيناها) [٢٤٢]. فالسماء الدنيا إذن أوسع مما نظن، وربما تصل امتداداتها إلى ما لا يعلم من السنين الضوئية، إذا كان ثمّة كواكب ونجوم يمكن أن يصل ضؤها إلينا، ونصير قادرين على رؤيتها. وأصبحت تزين هذه السماء، وتعطيها المزيد من الرّواء والبهجة والبهاء. فإذا كان هذا حال السماء الدنيا والقريبة، فما حال سائر السماوات: الثانية، ثم الثالثة، وهكذا إلى السابعة؟! ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يتعداه إلى حقيقة علمية أخرى تباريه وتجاريه، وهى: أن السماء فى اتساع مستمر، كما قال تعالى: (والسماء بنيناها بأيدٍ وإنّا لموسعون) [٢٤٣]. ثم إنه تعالى قد قرّر فى آية أخرى: أن هذا الإنسان قادر على اختراق جميع السماوات، والخروج منها جميعا إلى عالم جديد، لم يبيّن ما هو، وما هى طبيعته، وآفاقه، وامتداداته. غير أنه أشار إلى أن هذا الاختراق سيواجه بصعوبات وموانع كبيرة وخطيرة، لن يمكن التغلب عليها إلا بالإعداد، والحصول على القوة، وامتلاك قدرات فائقة وكبيرة. ثم بّين لنا طبيعة هذه الحواجز والعوائق ونوعها، ليفهمنا بأسلوب (بيان الواقع بتفاصيله): أن الكلام ليس مسوقاً على سبيل الفرض والإدّعاء بهدف التعجيز، بل هو الحقيقة التى لا بد أن تقع فى دائرة طموحات هذا الإنسان، وفى متناول أطماعه حين يريد الله له أن يفتح عينيه على هذا الكون الرحيب، ويثير شهيته للتعامل معه، و للتسلّط والهيمنة عليه. وقد أشار تعالى إلى ذلك كله فى الآية الكريمة التى تقول: (يا معشر الجن والإنس، إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا، لا تنفذون إلا بسلطان. فبأى آلاء ربكما تكذّبان؟ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) [٢٤٤]. ثم قدّم نموذجاً عملياً لإمكان هذا الاختراق لآفاق السموات، وحدوثه بالفعل، وذلك فى قضية المعراج برسول الله (ص). وهى قضية مسلمة عند المسلمين. ومعنى ذلك هو: أن البشرية بالنسبة لاكتشاف أسرار الكون ومعرفة آفاقه الرحبة وامتداداته الهائلة ربما هى اليوم لا تزال فى عصرها الحجرى السحيق. فكيف بالنسبة لتسخير ما فى السموات والأرض، والهيمنة عليه.

تسخير المخلوقات للإنسان فى الآيات القرآنية

وقد أشارت الآيات القرآنية إلى تسخير الموجودات للإنسان ويتضح ذلك بالتأمل فى الآيات التالية: (ألم تروا: أن الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) [٢٤٥]. (وسخّر لكم ما فى السموات والأرض جميعاً منه) [٢٤٦]. (وسخّر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره، وسخّر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين، وسخّر لكم الليل والنهار. وآتاكم من كل ما سألتموه، وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها) [٢٤٧]. (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طريّاً، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) [٢٤٨]

.

الشعور والإدراک لدی المخلوقات

ثم إن الإنسان يريد أن يتعامل مع عالم ليس جماداً بقول مطلق، وإنما كل الموجودات فيه تمتلك درجة من الشعور والإدراک، وإن كنّا لا نعرف كنهه، ولا حدوده. قال تعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السموات، والأرض، الجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان، انه كان ظلوما جهولا) [٢٤٩] . فليلاحظ كلمة: وأشفقن منها فإن الإشفاق يرتبط بالمشاعر، لا فی عالم الإدراک وحسب. وإضافة كلمة" والجبال "فی الآية تظهر عدم صحة التفسير الذی يقول بأن المقصود هو العرض على (أهل السماوات والأرض) من ملائكة وجن وغيرهما لو وجد. ولو سلمنا جدلا صحة هذا التفسير فإن الآيات الأخرى التی ذكرناها، تكفی فی إثبات ما نرمی إليه. وقال سبحانه عن داود (ع): (إنّا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشی والإشراق. والطير محشورة كل له أواب) [٢٥٠] . وقال فی آية أخرى عن داود أيضا: (يا جبال أوبی معه، والطير..) [٢٥١] والمراد بالتأويب ترجيع التسبيح على ما يظهر. وقال تعالى: (ويسبح الرعد بحمده) [٢٥٢] . وقال تعالى: (والنجم والشجر يسجدان) [٢٥٣] . وقال تعالى: (تسبح له السماوات السبع، والأرض، ومن فيهن وإن من شی ء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) [٢٥٤] . ولو كان المراد التسبيح التكوينی، بمعنى تنزيه الله سبحانه فلا يبقى مجال لقوله (ولكن لا تفقهون تسبيحهم). وتسبيح ما فی السموات والأرض، مذكور فی عدة آيات [٢٥٥] . وقال سبحانه: (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا، من خشية الله) [٢٥٦] . وقال تعالى: (ألم تر أن الله يسجد له من فی السماوات ومن فی الأرض، والشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، والدواب، وكثير من الناس) [٢٥٧] . وقال تعالى: (ألم تر أن الله يسبح له من فی السماوات والأرض، والطير صافات، كل قد علم صلاته وتسبيحه) [٢٥٨] . فكل ما تقدم يشير بوضوح إلى أن هذه المخلوقات تملك حالة شعورية وادراكية معينة، وليست مجرد جمادات أو حيوانات خاوية.

نماذج حية من تسخير الموجودات العاقلة

فإذا كان الله سبحانه قد سخر المخلوقات لهذا الإنسان، وكانت هذه المخلوقات تمتلك صفة الشعور والإدراک، ولها أعمال عقلانية، ومرتبطة بالشعور، ومستندة إليه، وهی على درجة من الإدراک، فما علينا إلا أن نذكر هنا نموذجا قرآنياً حياً، وواقعياً لهذا التسخير تجلّت فيه طريقته، وأبعاده ومجالاته بصورة ظاهرة، حيث ذكرت الآيات أن الله سبحانه قد سخّر الريح، والطير، والجبال، والجن، لسليمان، وداود عليهما السلام. قال تعالى: (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن،والطير، وكنا فاعلين) [٢٥٩] . وقال تعالى: (ولسليمان الريح عاصفة تجری بأمره إلى الأرض التی باركنا فيها، وكنا بكل شیء عالمين. ومن الشياطين من يغوصون له،ويعملون عملا دون ذلك) [٢٦٠] . (إنا سخّرنا الجبال معه يسبحن بالعشی والإشراق، والطير محشورة كل له أوّاب) [٢٦١] . وقال تعالى عن سليمان: (فسخّرنا له الريح تجری بأمره رخاءً حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغوّاصٍ، وآخرين مقرّنين فی الأصفاد) [٢٦٢] . وقال تعالى: (وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون) [٢٦٣] نلاحظ كلمة: فهم يوزعون. أی يمنعون.

قصة سليمان و داود نموذج فذ

وإذا راجعنا سورة النمل، فإننا نجد فيها نماذج فذة عن تعاطی سليمان وداود (ع) مع ما آتاهما الله سبحانه فی هذا المجال. وأول ما يواجهنا فی الحديث عنهما عليهما السلام أنه تعالى قد وفّر لهما الأدوات الضرورية للتعامل مع هذه المخلوقات فی نطاق رعايتها وهدايتها وتوجيهها. فنجدها تبدأ الحديث بأن الله قد آتاهما علما، وعُلّما منطق الطير، وأوتيا من كل شیء، ثم ذكرت الآيات نماذج تطبيقية لهذا العلم، وللمعرفة بجميع الألسنة. ثم لتأثير ما آتاهم الله سبحانه فی إدارة الأمور، وتوجيهها ورعايتها، والهيمنة عليها بصورة

حيويـة وبناءة وإيجابيـة، لا تأتى إلا بالخير، ولا تؤدى إلا إلى الفلاح. فقـد قال تعالى: (ولقد آتينا داود وسـليمان علما، وقالا: الحمد لله الذى فضـلنا على كثير من عباده المؤمنين. وورث سليمان داود، وقال: يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء، إن هذا لهو الفضل المبين. وحشـر لسليمان جنوده من الجن، والإنس، والطير فهم يوزعون. حتى إذا أتوا على وادى النمل، قالت نملة: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم، لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، فتبسم ضاحكا من قولها) [٢۶۴] .

مع آيات سورة النمل

وقـد أظهرت الآيات المتقدمـة كيف تم توظيف كل القدرات المادية وغيرها فى تحقيق رضا الله سـبحانه، وبناء الحياة وتكاملها باتجاه الأهـداف الإلهيـة، ووفقا للخطـة الربانيـة. بدءاً من قصة تبسّم سـليمان من قول النملة، مروراً بقصّة الهدهد والدور الذى قام به، والإتيان بعرش بلقيس من قبل أحد أتباع سـليمان (ع) بعلم من الكتاب قبل ارتداد الطرف، ثم تنكير عرشـها لها، وانتهاءً بأمرها بدخول الصـرح الذى حسـبته لجة، مع أنه صـرحٌ ممرد من قوارير. وقد تجّسّد ذلك كله من خلال حاكمية وإمامة سـليمان عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسـلام،ورعايته وهـدايته التامـة والشاملـة. وقـد كانت هـذه الهداية والرعاية مسـتندة إلى علم آتاه الله إياه، وإلى إمكانات ذات صـفة شموليـة. (وأوتينا من كل شـىء) فلم يكن ثمـة أى قصور فى القدرات الذاتية، فقد علم سـليمان منطق الطير، وأوتى من العلم ما يكفيه فى مهمته الكبيرة والخطيرة. كما أنه لم يكن ثمّـة نقصٌ فى الأمكانات المادية، كما أشـرنا وكان سـليمان أيضا يحظى برعاية الله تعالى له، ولطفه به، وتسديـده وتأييـده له، فى درجـة العصـمة وغير ذلك. فلم يبق والحالة هذه إلا المبادرة إلى القيام بالدور المرصود له فى نطـاق الإسـتفادة الواعيـة والإيجابيـة والبنـاءة من كـل المخلوقات المسّـخّرة لهـذا الإنسان، وتوجيهها لتؤدى دورها فى الحياة كاملاً غير منقوص. وهـذا مـا حصل بالفعل، فكانت المعجزة الكبرى، وكان الإنجاز العظيم وهـذا ما سوف يتحقق بحول الله وقـدرته بصورة أكثر رسوخـاً وشـموخاً وعظمـة فى عهـد ولى الأمر قـائم آل محمـد عجـل الله تعالى فرجه الشـريف. وجعلنا من جملـة العاملين فى نصـرته والمدركين لأيامه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين المعصومين.

پاورقى

[١] رؤى ومواقف، عدد ٢، سنة ١۴١٧هـ ١٩٩۶م، دار الملاك، وجريدة فكر وثقافة. [٢] الندوة، ج٢، ص ۴۴۴. [٣] الزهراء المعصومة: ص ۴٧ و ۴٨. [۴] الزهراء القدوة ص ٢۴٠. [۵] و قد اعترف هذا البعض: أنه كان يتكلم باللهجة العامية وذلك فى شريط مسجل له، مع أحـد أصـدقائه الموجودين فى قطر، وذلك فى نفس الشـريط الذى قال فيه: لعل الزهراء لم تكن تدرى: أنها يجب أن تستيقظ لصـلاة الصبح، وقـد أراد النبى (ص) أن يعلمهـا هـذا الحكم، حين حركهـا برجله (!!) وقـال لها: قومى يا بنيـة لا تكونى من الغافلين.فإذا كان يتكلم بالعاميـة، فيكون قوله لا تكون منطلقاتكم، يريـد به: لا تكن منطلقاتكم.. لأن المقصود هو العاميـة باللهجـة العراقية، وهى اللهجة التى يفضل أن يتحـدث بها، وأن لا يتخلى عنها، الأمر فى اللهجة اللبنانية أيضاً كذلك. فإن المعنى أحذرك أن تكون قد فعلت ذلك سواء باللهجـة العامية اللبنانية أو العراقية. [۶] سورة يونس الآية ٣۵. [٧] ندوة فى مناسـبة ولادة الزهراء فى هذه السنة ١۴١٨ ه. ق. (قاعة الجنان). [٨] نشـرة بينات العدد الصادر فى ٢۵ ـ ١٠ ـ ١٩٩۶. [٩] بينات العـدد الصادر بتاريخ ٢۵ ـ ١٠ ـ ١٩٩۶. [١٠] المصدر السابق. [١١] نفس المصدر. [١٢] جريدة النهار بتاريخ ٢٩/٧/١٩٩٧ م. [١٣] تأملات فى آفاق الإمام الكاظم ص ۴٠ ـ ۴۴ ولاسيما ص۴٣. [١۴] تأملات فى آفاق الإمام الكاظم ص ۴٠ ـ ۴۴. ويلاحظ: أن هـذا البعض ينسب هنـا كتاب الإختصاص المتضـمن للمصائب التى جرت على الزهراء للشـيخ المفيـد رحمه الله تعالى الـذى ينسب إليه إنكار ذلك أو على الأقل عـدم ذكره لهذا الأمر فى مؤلفاته... [١۵] مجلة المنطلق عدد١١١ ص ٧۶ ـ ٧٩. [١۶] مجلة المرشد عدد ٣ ـ ۴ ص ٢۴۴. [١٧] نشرة فكر وثقافة العدد ٢٢ بتاريخ ٢٣ ـ ١١ ـ ١٩٩۶. [١٨] دنيا المرأة ص٢٩. [١٩] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ٩ ص ٢١٢ و ٢١٣. [٢٠] إرشاد الفحول ص ١۵٩. [٢١] إرشاد الفحول ص

٢٦١. [٢٢] إرشاد الفحول ص ٧٨. [٢٣] نهاية السؤل ج ۴ ص ۵۶۰ وراجع ص ۵۵۸ وراجع: الأحكام للآمدى ج ۴. [٢۴] نهاية السؤل ص ۵۶۷. [٢۵] راجع: حوارات فى الفكر والسياسة والإجتماع ص ۴۸۰. [٢۶] فكر وثقافة عدد ١٧٧ ص٣ بتاريخ ٢٩ /٣/ ١۴٢١ هـق. [٢٧] فقه الشريعة ج١ ص٧ الطبعة الأولى سنة ١۴٢٠ هـ [٢٨] فكر وثقافة عدد ١۶٧ صادر فى ١٧/١/١۴٢١ هـ [٢٩] المصالح المرسلة: قد يجد المجتهد فعلا من الأفعال ورد من الشارع فيه حكم، ويرى فيه وصفا يناسب حكما آخر، من حظر، أو طلب، أو إباحة، أو لم يرد عنه حكم فى ذلك الفعل أو الوصف ليناسب حكما، وهذا الوصف قام الدليل على اعتباره بنوع من الإعتبارات الثلاثة السابقة بأن ورد عن الشارع ما يؤذن باعتبار عينه فى جنس الحكم المراد إعطاؤه له أو اعتبار جنسه فى عين ذلك الحكم، أو جنسه.وهذا الحكم يسميه الأصوليون: المناسب المرسل الملائم، ويسميه المالكية المصالح المرسلة، ويسميه الغزالى: الإستصلاح. مجلة المرشد العددان ٣و۴ هامش ص٢۴۶ عن محمد الخضرى، أصول الفقه ص ٣١١ طبعة دار الفكر. [٣٠] للإنسان والحياة ص١۶٩. [٣١] فكر وثقافة بتاريخ ۶/٧/١٩٩۶. ص ٢. [٣٢] راجع مجلة المرشد ص ٢۶۵. [٣٣] من وحى القرآن الطبعة الثانية، دار الملاك، ج۴ ص٢٠٢ ـ ٢٠۵. [٣۴] المصدر السابق ج٢ص٢۴۵. [٣۵] الندوة ج٢ ص ۴۶٠و ۴۶١. [٣۶] الندوة ج٢ ص۴۶١. [٣٧] الندوة ج١ص ٨٢٨ وتحديات المهجر ص١٣٩. [٣٨] راجع: فقه الحياة ص٣٣و٣۴ متناً وهامشاً. [٣٩] بحار الأنوار ج۴ص١۴٣ و١۴١ وج۵٨ ص٢۵٢و٢۵٣، وكتاب التوحيد للشيخ الصدوق ص١٢٢ و١٢٣ و١٢٧و١٣٠ نشر دار المعرفة بيروت لبنان. [۴٠] المعارج ص ۵۴۴ و ۵۴۵. [۴١] كتاب النكاح ج١ ص۵٨. [۴٢] نفس المصدر. [۴٣] كتاب الوصية ص١٢١. [۴۴] مجلة المنطلق عدد ١١٣ ص٢۴. [۴۵] الندوة ج١ ص۵٠٣. [۴۶] الندوة ج١ ص ۵٣٩. [۴٧] فكر وثقافة عدد ۶ بتاريخ ٢٧ ـ ٧ ـ ١٩٩۶. [۴٨] البحار ج٢ ص ٢٢۵ وج ۵٠ ص ٨٠ عن الاحتجاج. [۴٩] البحار ج٢ ص٢٢٩ وج٣۴ ص١۶٩ عن الخصال وعن نهج البلاغة وعن تحف العقول وعن غيبة النعمانى وعن الاحتجاج ج١ ص٢۶٣ ط بيروت. [۵٠] تأملات فى المنهج البيانى للقرآن ص١١ ـ ١٣. [۵١] كتاب النكاح ج١ص۴٨. [۵٢] من وحى القرآن، الطبعة الثانية دار الملاك، ج۴ ص٣١١. [۵٣] كتاب النكاح ج١ ص۴٨. [۵۴] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج١۵ ص ١۵۶ ١۵٧. [۵۵] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ١۴ص ١٢/١۴. [۵۶] البحار ج٢ ص ١٨۶ والكافى ج٢ ص٢٢٣ حديث ٧. [۵٧] البحار ج٢ ص ١٨۶ وراجع ص١٨٧ و ١٨٨ وراجع المحاسن للبرقى ص ٢٣٠ و٢٣١. [۵٨] مجلة المنطلق، العدد ١١٣ ص٣٢. [۵٩] من وحى القرآن: الطبعة الثانية دار الملاك، ج ١٧ ص ٣١٣. [۶٠] بينات عدد ١٩٩ بتاريخ ٢٢ جمادى الثانية ١۴٢١هـ/ الموافق ٢٢ أيلول ٢٠٠٠م. [۶١] بحار الأنوار ج١ ص٢٢۵. [۶٢] سورة يونس، الآية: ٩. [۶٣] سورة محمد، الآية: ١٧. [۶۴] البحار ج٧۵ ص١٨٩. [۶۵] الكافى ج١ ص۵۶. [۶۶] الكافى ج١ ص۵۴. [۶٧] الكافى ج١ ص۵۴. [۶٨] الكافى ج١ ص۵۴. [۶٩] الكافى ج١ ص۵۴. [٧٠] الكافى ج١ ص۵۶. [٧١] الكافى ج١ ص۵٨. [٧٢] فى بعض النسخ بالغين المعجمة وفى بعضها بالمهملة وبهما قرئ قوله تعالى: (قد شغفها حباً) وعلى الأول معناه: دخل حب كلام البدعة شعاف قلبه أى حجابه وقيل سويداءه، وعلى الثانى غلبه حبه وأحرقه فإن الشغف بالمهملة شدة الحب وإحراقة القلب (آت). [٧٣] بفتح الهاء وسكون المهملة أى السيرة والطريقة. [٧۴] كذا فى أكثر النسخ من قولهم عنى فيهم أسيراً أى أقام فيهم على اسارة واحتبس وعند غيره حبسه والعانى: الأسير، أو من عنى بالكسر بمعنى تعب، أو من عنى به فهو عان أى اهتم به واشتغل. وفى بعض النسخ بالغين المعجمة من الغنى بالمكان كرضى أى أقام به، أو من غنى بالكسر أيضاً بمعنى عاش. والغبش بالتحريك ظلمة آخر الليل (آت). [٧۵] أى لم يلبث يوماً تاماً. [٧۶] أى خرج للطلب بكرة وهى كناية عن شدة طلبه واهتمامه فى كل يوم أو فى أول العمر إلى جمع الشبهات والآراء الباطلة. [٧٧] أى شرب حتى ارتوى، والآجن: الماء المتغير المتعفن. [٧٨] أى عدّ ما جمعه كنزاً وهو غير طائل. أى ما لا نفع فيه. [٧٩] العشوة: الظلمة أى يفتح على الناس ظلمات الشبهات؛ والخبط المشى على غير استواء. [٨٠] أى كما أن الريح فى حمل الهشيم وتبديده لا تبالى بتمزيقه واختلال نسقه كذلك هذا الجاهل يفعل بالروايات ما تفعل الريح بالهشيم؛ والهشيم ما يبس من النبت وتفتت. [٨١] الملىء بالهمزة: الثقة والغنى، والاصدار الارجاع. [٨٢] الكافى ج١ ص۵٨ ـ ۵٩ والبحار ج١٠١ ص٢۶٧/٢۶٧ ونهج البلاغة ج١ الخطبة رقم ١٧ ومصادر نهج البلاغة عن: غريب الحديث لابن قتيبة وعن قوت القلوب ج١ ص ٢٩٠

وأمالى الطوسى ج١ ص٢٤٠ وعن الاحتجاج ج١ ص٣٩٠ وعن الإرشاد للمفيد ص١٠٩ وغيرهم. [٨٣] إرشاد الفحول ص٢٠٢ عن أحمد، وأبى داود، والترمذى وغيرهم والسنن الكبرى ج١٠ ص١١٤ والإحكام فى أصول الأحكام ج٧ ص١١١ وج٦ ص٢٦ لابن حزم وأعلام الموقعين ج١ ص٢٠٢ وسنن أبى داود ج٣ ص٣٣٠ والأحكام السلطانية ص٨٥ والبرهان فى أصول الفقه ج٢ ص٧٧٢ و١١٨٦ و١٣٥٦ والإحكام فى أصول الاحكام للآمدى ج٤ ص١٢٣ و٢٨٠ ونصب الراية ج٤ ص٦٣ وسنن أبى داود ج٢ ص٣٠٣ والجامع الصحيح ج٣ ص٦١٦. [٨٤] عون المعبود ج٩ ص٥١٠. [٨٥] الإحكام فى أصول الأحكام ج٧ ص١١٢ وراجع ج٦ ص٣٥. [٨٦] عون المعبود ج٩ ص٥١٠. [٨٧] الإحكام فى أصول الأحكام ج٧ ص١١٢ وج٦ ص٣٥ ونصب الراية ج٤ ص٦٣ وعون المعبود ج٩ ص٥١٠ و٥١١. [٨٨] راجع: الإحكام فى أصول الأحكام للآمدى ج٤ ص٢٩. [٨٩] سنن ابن ماجة ج١ ص٢١، وراجع: أعلام الموقعين ج١ ص٢٠٢. [٩٠] عون المعبود ج٩ هامش ص٥٠٩. [٩١] الكافى ج١ ص ٢٣٩ والوسائل ج ٢٩ ص ٣٥٦ وبصائر الدرجات ص ١٥١– ١٥٢ حديث ٣. [٩٢] الكافى ج ١ ص ٢٤٠ وبصائر الدرجات ص ١٥٠ و١٥١ والبحار ج٢٦ ص٣٧ و٣٨. [٩٣] الكافى ج١ ص٢٤١. [٩٤] الكافى ج١ ص٢٤٢. [٩٥] بصائر الدرجات ص١٤٧. [٩٦] راجع معانى الأخبار ص١٠٢ و١٠٣ والخصال ج٢ ص٥٢٧ وعيون أخبار الرضا ج١ ص٢١٢ و٢١٣ والبحار ج٢٥ ص١١٦. [٩٧] بحار الأنوار ج٧٥ ص٢٤٧ وج١٠١ ص٢٦٣ و٢٦٤ والكافى ج٧ ص٤٠٧. [٩٨] شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج١ ص٨٨، ونهج البلاغة ج١ الخطبة رقم ١٨ ومطالب السؤل ج١ ص٦٤١ والاحتجاج ج١. [٩٩] بحار الأنوار ج١٠١ ص٢٧٠ ودعائم الإسلام ج١ ص٩٢ و٩٣ ومستدرك الوسائل ج١٧ ص٢٤٥. وبصائر الدرجات. [١٠٠] سورة المائدة الآية: ٦٧. [١٠١] الكافى ج١ ص٣٧٥. [١٠٢] سورة يونس الآية ٣٢. [١٠٣] سورة القلم، الآيتان ٣٥ و٣٦. [١٠٤] سورة فاطر، الآيات ١٩ –٢١ وقريب من ذلك فى سورة الرعد الآية ١٦. [١٠٥] سورة الحشر، الآية ٢٠. [١٠٦] سورة الزمر، الآية ٩. [١٠٧] سورة السجدة، الآية ١٨. [١٠٨] سورة فصلت، الآية ٣٤. [١٠٩] نشرة فكر وثقافة عدد ٦٧ بتاريخ ١٧ ـ ١٤٢١ هـ ص ٣. [١١٠] المصدر السابق ص ٤. [١١١] المصدر السابق ص٢. [١١٢] للإنسان والحياة ص٣١٠. [١١٣] راجع فيما تقدم: هذا الكتاب: خلفيات ج١ ص٢٨٨و٢٨٩. [١١٤] نشرة بينات العدد ١٨٤. [١١٥] سورة المائدة الآية ٣٢. [١١٦] للإنسان والحياة ص٣٠٧ ـ ٣١٠. [١١٧] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ١٥ ص ١٠. [١١٨] من وحى القرآن ج١٧ص ٢٩٨ و ٢٩٩. [١١٩] للإنسان و الحياة ص٣٠٧ و٣١٠. [١٢٠] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ٨ ص ٩١/٩٣. [١٢١] للإنسان والحياة ص ٣٠٧و٣١٠. [١٢٢] للإنسان والحياة ص٧ ٣٠و٣١٠. [١٢٣] سورة الأعراف آية ٥٢و٥٣. [١٢٤] سورة يونس آية ٣٩. [١٢٥] سورة يوسف آية ٣٧. [١٢٦] سورة آل عمران آية ٧. [١٢٧] سورة يوسف الآية ٦. [١٢٨] سورة يوسف الآية ١٠١. [١٢٩] سورة يوسف الآية ٢١. [١٣٠] الكافى ج ١ ص٢١٣ وتفسير البرهان ج١ ص ٢٧٠و٢٧٢ عنه وعن تفسير العياشى ج١ ص١٦٤. [١٣١] الكافى ج ١ ص ٢١٣ والبرهان فى تفسير القرآن ج ١ص ٢٧٠ و٢٧١ وتفسير القمى ج ١ ص ٩٦و٩٧ وعن العياشى ج ١ص ١٦٤. [١٣٢] تفسير العياشى ج١ ص ١٦٤ والبرهان فى تفسير القرآن ج ١ ص ٢٧١. [١٣٣] بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٣٥٩عن الأمالى للشيخ المفيد. وعن الأمالى للشيخ الطوسى ص ١٢٠ ط مؤسسة البعثة ـ دار الثقافة. [١٣٤] كنز العمال ج٢ ص ١٨٦، وليراجع ج١ ص ٣٣٧، وحياة الصحابة ج٣ ص ٤٥٦ عنه وعن العسكرى، وراجع: نور القبس ص ٢٦٨/٢٦٩. [١٣٥] الزهد والرقائق، قسم ما رواه نعيم بن حماد ص٢٣ وفى الهامش عن المشكاة ص ٢٧، وراجع الإتقان ج٢ ١٨٤ و ١٢٨، والموافقات للشاطبى ج ٣ص ٣٨٢ وفى الهامش عن روح المعانى وعن المصابيح، وراجع غرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج ١ ص ٢٣ و٢١ ولباب التأويل للخازن ج ١ ص ١٠ والفائق ج ٢ ص ٣٨١ وراجع التراتيب الإدارية ج ٢ ص ١٧٦. [١٣٦] الزهد والرقائق، قسم ما رواه نعيم بن حماد ص٢٣. [١٣٧] الإتقان ج٢ ص ١٨٥ عن ابن أبى حاتم. [١٣٨] كنز العمال ج١ ص ٤٨٨ عن أبى عبيد فى فضائله وعن أبى نصر السجزى فى الإبانة. [١٣٩] المصنف للصنعانى ج١١ ص ٢٥٥، والإتقان ج ٢ ص ١٨٥ عن ابن سبع فى شفاء الصدور، وحلية الأولياء ج١ ص ٢١١ والطبقات الكبرى ج ٢ قس ٢ ص ١١٤ والغدير ج٣ ص ٩٩ وج ٢ ص ٤٥ عن أبى نعيم وعن مفتاح السعادة ج١ ص ١٠٠. [١٤٠] نهج البلاغة ج ٢ ص١٥٠بشرح عبده قسم الكتب والوصايا رقم ٧٧. [١٤١] مثل المحاسن البرقى ص ٢٧٠ والبحار ج٩٢ ص ٧٨ ـ

١٠٦ وتفسير العياشي ج ١ص ١١ وتفسير البرهان ج ١ ص ١٩ ـ ٢١ وتفسير الصافي ج١ ص ٢٩و ٣١. ومعاني الأخبار ص ٢٥٩ والغدير ج٧ ص ١٠٨ عن ابن مسعود وميزان الحكمة ج١ ص ٩٥. [١٤٢] كفاية الأصول آخر مبحث (استعمال اللفظ في أكثر معنى) ووسائل الشيعة للكاظمي ص١٣. [١٤٣] التراتيب الإدارية ج ٢ ص١٧٩. [١٤٤] سورة آل عمران، آية ٧. [١٤٥] البحار ج٩٢ ص ٨٢ عن تفسير القمي ج١ ص٤. [١٤٦] أصول الكافي ج ٢ ص ٤٣٨. [١٤٧] البحار ج٩٢ ص١٠٣ و٢٠ وج ٧٨ ص ٢٧٨ عن كتاب الأربعين، وعن الدرة الباهرة، وجامع الأخبار ص ٤٨/٤٩. [١٤٨] التراتيب الإدارية ج٢ ص ١٨٣ وبحار الأنوار ج ٨٩ ص ١٠٣ و٩٣ عن أسرار الصلاة، ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٥٣ وتفسير البرهان ج١ ص ٣ وينابيع المودة ص ٦٥ وجامع الأخبار والآثار للأبطحي ج٢ ص٤٨ وإحقاق الحق (الملحقات ج٧ ص ٥٩٤ كلاهما عن: أسرار الصلاة ص ١٣٨ وعن شرح ديوان أمير المؤمنين ص ١٥ مخطوط، وشرح عين العلم وزين الحلم ص ٩١ والروض الأزهر ص٣٣ وجالية الكدر ص ٤٠ وتاريخ آل محمد ص ١٥٠. [١٤٩] إحقاق الحق (الملحقات ج ٧ص ٥٩٥ عن ابن طلحة في مطالب السؤل ص٢٦، وراجع: كشف الغمة ج١ص ١٣٠ والتفسير الكبير للرازي ج١ ص ١٠٦ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص ٢٣١ و٣١٦. [١٥٠] بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٨٦ عن مشارق أنوار اليقين. [١٥١] بحار الأنوار ج ٨٩ ص ١٠٤. [١٥٢] مستدرك سفينة البحار ج١ ص ٢٣١ وإحقاق الحق ج٧ ص٥٩٥ عن الشعراني في لطائف المنن ج١ ص ١٧١ وراجع: جامع الأخبار والآثار للأبطحي ج٢ ص٤٨. [١٥٣] مستدرك سفينة البحار ج١ص ٢٣١. [١٥٤] سورة الحجر آية ٨٧. [١٥٥] تفسير البرهان ج١ ص ٤٠و٤١و٤٢ وغرائب القرآن (بهامش جامع البيان) ج١ ص٢٨وتفسير العياشي ج١ ص ٢١. [١٥٦] راجع البحار ج٨٢ ص ٢١ و ج٨٩ ص ٢٣٨ عن العياشي ج١ ص ٢٢ و٢١ ومجمع البيان ج١ ص ١٩. وتفسير البرهان ج١ ص ٤٢ والتفسير الكبير ج١ ص ٢٠٤ ومستدرك الوسائل ج٤ ص١٦٦و١٦٧ وجامع الأخبار والآثار ج٢ص ٦٢ و٦١ و٦٣ عن من تقدم وعن مواهب الرحمن ص ٢١. [١٥٧] التفسير الكبير ج١ ص٥ والتراتيب الإدارية ج ٢ ص ١٨٣ عنه. [١٥٨] التراتيب الإدارية ج٢ ص ١٨٣. [١٥٩] المصدر السابق. [١٦٠] من وحي القرآن ج١٥ ص١٧٦. [١٦١] من وحي القرآن: الطبعة الأولى، ج ٥ ص ١٧١ / ١٧٢. [١٦٢] من وحي القرآن: الطبعة الأولى، ج ١٤ ص ٣٨٤. [١٦٣] نشرة فكر وثقافة عدد ١ تاريخ المحاضرة ٢٩ ـ ٦ ـ ١٩٩٦. [١٦٤] الندوة ج١ ص ٣٦٠. [١٦٥] من وحي القرآن: الطبعة الأولى، ج ١٣ ص ٣٨٨ و ٣٨٩. [١٦٦] من وحي القرآن: الطبعة الأولى، ج ٨ ص ١٧٠. [١٦٧] من وحي القرآن: الطبعة الأولى، ج ٢٣ ص ١٨٦/١٨٧. [١٦٨] الوسائل ج ٢٠ ص ١٩٦. ومن لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٨ والخرائج والجرائح ج ٢ ص ١٩٠. [١٦٩] الوسائل ج ٢ ص ٢١١ و٢١٢. وبصائر الدرجات ص ٢٦١ وقرب الاسناد ص ٢١ والارشاد ص ٢٧٣ وكشف الغمة ج ٢ ص ٢٨٨ والخرائج والجرائح ج٢ ص ١١٦٦ و٢٢٦ ورجال الكشي ١٧٠ ـ ٢٨٨. [١٧٠] الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) ج ٨. [١٧١] من وحي القرآن: الطبعة الأولى، ج ١٤ ص ١٥٧. [١٧٢] من وحي القرآن: الطبعة الأولى، ج ٩ ص ١٤١ ـ ١٤٢. [١٧٣] المعارج: عدد ٢٨ ـ ٣١، ص ٥٤٣. [١٧٤] المصدر السابق: ص ٥٤٤. [١٧٥] المعارج: ص ٦١٠ ـ ٦١٢. [١٧٦] الصحيح: غير العادية. [١٧٧] المعارج: ص ٦٥٤، ٦٥٦، والحوار في القرآن ص ١٠٣و١٠٤. [١٧٨] سورة الجمعة، آية ٢. [١٧٩] راجع أجوبة البعض على فتاوى المرجع الديني الشيخ جواد التبريزي، الجواب رقم١١. [١٨٠] المصدر السابق. [١٨١] راجع الولاية التكوينية ص١٣٤ للشيخ جلال الدين الصغير، عن شريط مسجل بصوت البعض، وقد استبدلنا الكلمات العامية بمشابهاتها الفصيحة. [١٨٢] الجواب رقم ١١. [١٨٣] وحي القرآن: الطبعة الثانية دار الملاك، ج ٥ ص ٣٨. [١٨٤] المعارج: ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨. [١٨٥] من وحي القرآن: الطبعة الثانية دار الملاك، ج ٦، ص ٢٦ ـ ٣٤. [١٨٦] المعارج: العدد ٢٨ ـ ٣١، ص ٥٦٧ و ٥٦٨. [١٨٧] سورة الحديد، الآية: ٢٥. [١٨٨] سورة الإسراء: الآية ٩٤ ـ ٩٥. [١٨٩] الموسم، العددان: ٢١، ٢٢ ص ٢٤٣. [١٩٠] المصدر السابق. [١٩١] المصدر السابق: ص٢٤٢. [١٩٢] الكافي ج ٢ ص ٢٢٣، والبحار ج ٧٢ ص ٧٦، وراجع: ج ٢٥ ص ٣٦٥/٣٦٦، عنه وعن مختصر بصائر الدرجات ص ٩٨. [١٩٣] راجع: نشأة الأشعرية وتطورها ص٢٣٤ فما بعدها، واللمع ص ٧٦ و٧٨. [١٩٤] سورة يونس، الآية: ١٠٠. [١٩٥] سورة البقرة، الآية: ٢٤٩. [١٩٦] سورة ابراهيم: الآية: ٤٠. [١٩٧] سورة النمل: الآية: ١٩، وسورة الاحقاف: الآية: ١٥. [١٩٨] مصباح الشريعة ص ١٧٧ وبحار الأنوار ج ٦٧ ص ١٧٩. [١٩٩] سورة الجن:

الآية ۲۷. [۲۰۰] سورة التكوير: الآية ۲۴. [۲۰۱] سورة آل عمران: الآية ۴۹. [۲۰۲] سورة يوسف: الآية ۳۷. [۲۰۳] سورة آل عمران: الآية ۴۴. [۲۰۴] قد تقدم ذلك عن كتابه من وحى القرآن الطبعة الجديدة ج۶ ص۳۴. [۲۰۵] سورة الأحقاف: الآية ۹. [۲۰۶] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۱۷ ص۲۱. [۲۰۷] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۱۳ ص ۲۸۲ و۲۸۳. [۲۰۸] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۹ ص ۷۹ ـ ۸۱. [۲۰۹] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۶ ص ۸۲/۸۳/۸۴. [۲۱۰] سورة الإسراء الآية ۹۰ ـ ۹۳. [۲۱۱] سورة الأحزاب الآية ۴۵ ـ ۴۶. [۲۱۲] يلاحظ إقحامه كلمة (بلا حدود) ولا يخفى على الناقد البصير سبب هذا الإقحام. [۲۱۳] سورة الإسراء الآيات ۹۴ ـ ۹۵. [۲۱۴] سورة النمل الآية ۱۵. [۲۱۵] سورة النمل الآية ۱۶. [۲۱۶] سورة ص الآية ۲۰. [۲۱۷] سورة النمل الآية ۴۰. [۲۱۸] المسائل الفقهية ج ۱ ص ۳۱۲. [۲۱۹] مجلة المعارج، السنة الثامنة ص ۳۲۸و۳۲۹. [۲۲۰] وقد سمعنا عن بعض المولعين بالبعض. انه يبنى على شرك القائل بها، تبعال له ولكنه بنفس الوقت يقول بطهارة القائل بها بناء على ما يذهب اليه هذا البعض من طهارة كل انسان. [۲۲۱] سورة هود الآية ۶۱. [۲۲۲] سورة الانشقاق الآية ۶. [۲۲۳] سورة الحديد الآية ۲۵. [۲۲۴] ولعل هذا ما يفسر لنا الحديث الذى يكثر السؤال عن معنا ه: (من رآنا فقد رآنا، فإن الشيطان لا يتمثل بنا) حيث يكون هذا القول قد جاء ليعالج شائعات ربما كان أعداء أهل البيت من الأمويين وغيرهم يطلقونها فى مواجهة الناس الذين كانوا يخبرون عن مشاهداتهم للأئمة فى المواضع البعيدة جدا عن محل سكناهم، كبنى أسد وأهل المدائن. فيتخلص اؤلئك الحاقدون من الاحراجات بالقول: إن الذى رأيتموه شيطان. فيأتى الرد من قبل الأئمة عليهم السلام:: (من رآنا فقد رآنا، فإن الشيطان لا يتمثل بنا). أما قولهم عليهم السلام: (من رآنا فكذبوه) فربما يكون المراد به رد من يدعى رؤية الإمام قائم آل محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف فى أيام الغيبة بهدف تضليل الناس واستغلال طهارتهم، فأوصدوا (ع) هذا الباب الذى قد يحاول الطامحون أو المستغلون النفاذ منه إلى عقول الناس الأمر الذى تترتب عليه سلبيات كثيرة وخطيرة فيما يرتبط بسلامة المسيرة الإيمانية. [۲۲۵] سورة الأنبياء الآية ۱۰۷. [۲۲۶] سورة الفرقان الآية ۱. [۲۲۷] سورة يوسف الآية ۱۰۴ ـ وراجع سورة الانعام الآية ۹۰. [۲۲۸] سورة الرحمن الآية ۳۳. [۲۲۹] راجع على سبيل المثال: السيرة الحلبية الجزء ۳ ص: ۲۸۳ ـ ۲۸۴ ـ والسيرة النبوية لدحلان مطبوع بهامش السيرة الحلبية الجزء ۳ ص ۱۲۸وما بعدها. [۲۳۰] البحار الجزء ۷۵ ص ۳۵۹. عن كنز الفوائد للكراجكى وراجع دستور معالم الحكم صفحة ۱۷۰ وغرر الحكم ودرر الكلم ج۱ص۴۳۷ وج ۲ ص ۷۸۴. [۲۳۱] راجع بصائر الدرجات ص ۴۸۸ ـ ۴۸۹ والكافى ج۱ ص ۱۷۹ ـ ۱۹۸ والغيبة للنعمانى ص ۱۳۸ ـ ۱۳۹. [۲۳۲] راجع كتاب بصائر الدرجات وفيه التفاصيل حول الأئمة عليهم السلام فى جميع المجالات وراجع أيضا البحار للعلامة المجلسى والكافى ج۱ وغير ذلك. [۲۳۳] راجع كتابنا الصحيح من سيرة النبى الأعظم (ص) ج ۸ ص ۳۴۷– ۳۶۰. [۲۳۴] سورة البقرة الآية ۲۶. [۲۳۵] سورة الإسراء الآية ۱. [۲۳۶] سورة الأحقاف، آية: ۱۵. [۲۳۷] سورة لقمان آية: ۱۴. [۲۳۸] راجع: البحار: ج ۵۷ ص ۵و۱۷ وج۷۷ ص ۷۱ و۷۳ عن الآمالى للطوسى ج ۲ ص ۱۳۸ وفى هوامشه عن معانى الأخبار ص ۳۳۳ وعن الخصال ج ۲ ص ۱۰۳ و ۱۰۴ والدر المنثور ج ۱ ص ۳۲۸. [۲۳۹] الصافات، آية ۶. [۲۴۰] سورة فصلت الآية ۱۲ وراجع سورة الملك الآية ۵. [۲۴۱] سورة الحجر، الآية ۱۶. [۲۴۲] سورة ق الآية ۶. [۲۴۳] سورة الذاريات، الآية ۴۷. [۲۴۴] سورة الرحمن، الآية ۳۳ ـ ۳۵. [۲۴۵] سورة لقمان الآية ۲۰. [۲۴۶] سورة الجاثية الآية ۱۳. [۲۴۷] سورة إبراهيم: الآيات ۳۲ ـ ۳۴. [۲۴۸] سورة النحل من آية ۱۴ حتى آية ۱۸. [۲۴۹] سورة الأحزاب الآية ۷۲. [۲۵۰] سورة ص الآية ۱۸ ـ ۱۹. [۲۵۱] سورة سبأ الآية ۱۰. [۲۵۲] سورة الرعد الآية ۱۳. [۲۵۳] سورة الرحمن الآية ۶. [۲۵۴] سورة الإسراء الآية ۴۴. [۲۵۵] راجع: سورة الحشر الآيات ۱ و ۲۴ والتغابن ۱ والصف ۱ والجمعة ۱ والحديد ۱. [۲۵۶] سورة الحشر الآية ۲۱. [۲۵۷] سورة الحج الآية ۱۸. [۲۵۸] سورة النور الآية ۴۱. [۲۵۹] سورة الأنبياء الآية ۴۱. [۲۶۰] سورة الأنبياء الآيات ۸۱ ـ ۸۲. [۲۶۱] سورة ص الآيتان ۱۸ ـ ۱۹. [۲۶۲] سورة ص الآيات ۳۶ ـ ۳۸. [۲۶۳] سورة النمل الآية ۱۷. [۲۶۴] سورة النمل الآيات ۱۵ ـ ۱۹.

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَیْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة "الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ یوم. مركز "القائمیّة "للتحرِّی الحاسوبیّ– بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (كتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة –فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الكمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت– علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمكِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَی. – من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مكتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدینیّة، السیاحیّة و... د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب كشك، و الرّسائل القصیرة SMS ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماكن الدینیّة كمسجد جَمكرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكین فی الجلسة ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَةَ المكتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة "تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة) رقم التسجیل: ۲۳۷۳ الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البرید الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: المیزانیّة الحالیّة لهذا المركز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حكومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلك، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفّقَ الكلَّ توفیقاً متزائداً لإعانتهم – فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والدراسات الکمبیوتریة
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹